
سلسلة بناء العبد الرباني
إنسان جديد
مصطفى حسني


إنسان جديد
مصطفى حسني


دار نهضة مصر
للنشر

إنسان جديد

تأليف:
مصطفى حسني

مراجعة علمية:

د/ سيد عبد الباري
مدير عام المراكز الثقافية
بوزارة الأوقاف ومن علماء الأزهر

الأستاذ/ أحمد الأعور
أخصائي علم نفس سلوكي

إشراف عام:

داليا محمد إبراهيم

حسني، مصطفى
إنسان جديد / مصطفى حسني
الجيزة: دار نهضة مصر للنشر، 2018
336 ص، 14 سم
تدمك: 9789771456223
1 - ثقافة إسلامية
أ-العنوان

الترقيم الدولي: 978-977-14-5622-3
رقم الإيداع: 1699 / 2018
طبعة: يناير 2018



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

تليفون: 33466434 - 02 33472864
فاكس: 02 33462576
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

إهــداء

إلى كل إنسان تسيطر عليه الأفكار السلبية، ويعيش كالســجين في ظلمـة الإحــباط وكهف الأحــزان .. أهديك يا صديقي هذا الكتاب؛ ليكون عونًا لك لكي تنتفض من يأسك، وتُنقِّي فكرك، وتتحرر من عُزْلتك؛ لترى النور بداخلك، وتلبس عباءة الأمل؛ لتصبح إنسانًا جديدًا مليئًا بالخير والجمال والتفاؤل والإيمان والثقة بالله.

المقدمة

جلست مع نفسي وقت الفجر وشَعَرت ببعض ضيق الصدر، فحاولت جاهدًا معرفة سبب هذا الضيق، وصارحت نفسي وواجهتها بما كنت أخشاه حقًّا، أخشاه أمام نفسي وليس من أي شخص آخر، اكتشفت أني مررت بتجربة مؤلمة كوَّنت لدي فكرة سلبية ومبدأ خاطئًا لم أكن أتوقع ظهوره في عقلي بمثل هذه القوة الآن .. وجلست أفكر: **ما الذي أوصلني لمثل هذا الحال؟**

ما سبب تلك المشقة التي أعانيها بين ثنايا صدري لكي أعيد إصلاح تلك الفكرة الخاطئة التي سيطرت عليَّ دون أن أعيها كمال الوعي؟ فهذه الأفكار قد سببت ضغطًا وعبئًا نفسيًّا لم أكن أفهم سببه، حتى صارحت نفسي بالحقيقة.

ومن هنا جاء الهدف من هذا الكتاب .. كم من فكرة سلبية سيطرت على أذهاننا وكونت لدينا معتقدات راسخة خاطئة وعشنا بها نشعر بالتعاسة، دون أن نعي أن السر .. فكرة خاطئة!

كم من تجربة سلبية مررنا بها ولم تكن النتيجة مُرضية كما توقعنا، فقمنا بتعميم النتيجة على كل المواقف المشابهة؛ فتحولت الفكرة إلى معتقد راسخ سلبي عظيم أدى إلى خسارتنا لأنفسنا ولأرواحنا وللسلام النفسي قبل أي شيء آخر!

أتمنى من خلال صفحات هذا الكتاب أن نجد الإجابة والحلول الممكنة لكل معتقد سلبي ترسَّخ في أذهاننا دون وعي منا، ونواجهه بكل قوة وشجاعة مثلما يواجه الفارس الشجاع معاركه الحاسمة.

البداية «نقطة ومن أول السطر»

الحياة رحلة طويلة مليئة بالناس والأحداث، بها أيام جميلة مليئة بالحب والعطاء والكرم والخير، ولكن بها أيضًا صراعات وتنافسًا على الأرزاق والوظائف والمقتنيات والمكانة الاجتماعية.. وفي وسط أحداث الحياة التي نمرُّ بها وأيامها الصعبة وأيامها الجميلة تترسخ بعقولنا أفكار جديدة كل يوم.

أين النجاة في زمن التحديات؟

تأمل
عدد الأفكار السلبية التي تمر عليك يوميًا

أثبتت إحدى الدراسات الأخيرة أن 80٪ من الأفكار التي يتلقاها الإنسان يوميًا تحتوي على أفكار سلبية[1] .. وهذا هو الواقع بالفعل! فالعالم في السنوات الأخيرة يمر بأحداث كثيرة جدًّا، خاصة في أوطاننا العربية، حتى أُطلِق على هذه الفترة *(زمن التحديات)*..

فالأحداث التي تمر عليك لا بد أن تترك فيك أثرًا.. فهي لا تمر هباءً!!

فمن الممكن أن تقول الصِّدق في موقف ما ثم ينجيك اللّـه، فتترسخ في ذهنك فكرة إيجابية أن ***«الصِّدق نجاة»***.

(1) Russ Harris, *The Happiness Trap: How to Stop Struggling and Start Living: A Guide to ACT*, New Zealand, 2008

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ.....»[1]

ومن الممكن أيضًا أن تصدُق في موقف آخر فيحدث لك العكس، وتقع في مشكلة فتقول: «ياليتني كذبت» فتتكون في عقلك فكرة أن ***«الكذب هو النجاة!»***.

وقد تُحب في يوم من الأيام وحبيبك يُقدِّر حبك هذا، وتقول حينها: ***«إنَّ أحلى شيء في الدنيا هو الحب»***. ومن الممكن أن يحدث العكس، وحبيبك يؤلمك ويخونك فتقول حينها: ***«لا أحد يستحق»***. ومن الممكن أن تجتهد فيجازيك مَن أمامك على اجتهادك وتطورك في الحياة فتعلم حينها أن ***«لكل مجتهدٍ نصيبًا»*** وتتكون الفكرة في بالك، ومن الممكن أن تتعب وترى العكس، وترى أن شخصًا آخر لم يجتهد وعلى الرغم من هذا **«يعلو قدره في الدنيا»** فتعتقد أن لا شيءَ يستحق التعب وتقرر أن ***«تعيشها بالتحايل والمراوغة!»***.

كل هذه معانٍ وأفكارٌ تتشكل في أذهاننا باستمرار.

---

(1) رواه البخاري.

هل تدرك التغيير الذي يحدث لك في كل يوم؟

الشخص الواعي هو من يُركز في الأفكار السلبية والإيجابية التي تراوده وتتنازعه، ويقوم بتصفية السيئ منها خارج عقله، ويحمي عقله، لكنّ كثيرًا من الناس تتكون بداخلهم أفكار سلبية ومشاعر خفية دون أن يُدركوها! وبعد فترة يُفاجأ هؤلاء الناس بحدوث تغيُّر في الأحوال؛ نتيجة لتراكم تلك الأفكار.. فنبدأ نتساءل عن الأحوال التي تغيرت فينا وجعلت:

- نسبة الطلاق تصل إلى 40 ٪ من إجمالي عقود الزواج التي تبرم في الوطن العربي(1).
- *«الاكتئاب»* أحد الأسباب المؤدية للذبحة الصدرية وأمراض القلب(2)، ويأتي في المرتبة الثانية (بعد آلام منطقة أسفل الظهر) في إعاقة (عدم مقدرة) المريض عن القيام بواجباته اليومية (البيتية والوظيفية) من حيث عدد سنوات حياته، وذلك على مستوى العالم(3).

---

(1) إحصائيات مركز معلومات دعم اتخاذ القرار، الذي يتبع مجلس الوزراء المصري، حيث ارتفعت نسبة حالات الطلاق من 7 ٪ لتصل إلى 40 ٪ في الخمسين عامًا الأخيرة فقط.

(2) أشارت جمعية أمراض القلب في أستراليا إلى أن نصف المرضى الناجين من الذبحات الصدرية لديهم درجة متوسطة من الاكتئاب، بينما يعاني حوالي 15 ٪ منهم من مشاكل نفسية أكثر خطورة.

(3) دراسة أجرتها الدكتورة Alize Ferrari من جامعة Queensland في أستراليا، صدرت نتائجها في 5 (نوفمبر) من العام 2013 تحت عنوان:
Burden of Depressive Disorders by Country, Sex, Age, and Year: Findings from the Global Burden of Disease Study 2010.

- معدل إنتاجية الموظف الحكومي في وطننا العربي 18 إلى 25 دقيقة يوميًا من أصل 8 ساعات[1]!

في هذا الكتاب نُريد أن نقف على تلك الأحوال السلبية السيئة، ثم نقارنها بتلك التي أراد اللَّـه - عزَّ وجلَّ - لنا أن نعيش عليها، حتى إذا أدركنا الفرق الواسع والبون الشاسع بينهما؛ وجب علينا أن نبحث عن الإنسان الجديد والحال الجديد الذي أمرنا اللَّـه ورسوله أن نكون عليه.

إنسان جديد في النور:

لو تأملت الشريعة الإسلامية فستجد أن اللَّـه - سبحانه وتعالى - **أنزل القرآن والكتب السماوية لتُغيِّر الإنسان وتصنعه إنسانًا جديدًا.** فلقد أُنزلت الكتب السماوية لتبديل أخلاق البشر إلى الأفضل، قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1].

وأرسل اللَّـه النبي ﷺ لصناعة إنسان أسمى وأرقى مما كان عليه قبل بَعثته ﷺ، قال - عزَّ وجلَّ - في كتابه الكريم: ﴿.. قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ۝١٠ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ

---

(1) دراسة أعدها اتحاد تنمية الموارد البشرية في مصر.

صَٰلِحًا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴾ [الطلاق: 10، 11]، فيخرج الإنسان من ظُلمات الجهل إلى نور العلم، من ظـُلمات الحقد والغل والحسد إلى نور الحب والعطاء وحُسن الأخلاق، من ظلمات الإنسان التعيس في أخلاق الجاهلية إلى نور الإنسان الذي تَعرَّف على الأخلاق الربانية.. هناك - إذَنْ - أمر سديد رشيد.. هناك صناعة للإنسان الجديد.

أدبني ربي فأحسن تاديبي

وتجربة النبي ﷺ الفريدة من نوعها مع الصحابة، وبَعثته الشريفة التي أظهرت فكرة صناعة الإنسان الجديد.. الإنسان الذي كان يعيش الحياة بطريقة غير سوية فغيّرها النبي ﷺ إلى حياة كريمة عالية، سامية راقية، والصحابة شعروا وتحدثوا بذلك، وبرز النموذج النبوي في تربية الصحابة الكرام عندما تحدث جعفر بن أبي طالب أمام ملك الحبشة النجاشي عن الأخلاق التي كانوا عليها قبل مجيء النبي ﷺ ؛ أنهم كانوا قومًا أهل جاهلية يعبدون الأصنام، ويأتون الفواحش، ويسيئون الجوار، ويأكل القويُّ منهم الضعيف، حتى جاء إليهم رسول حاله سويّ، يعرفون نَسَبه وصِدقه، فأمرهم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك الفواحش، وإحسان الجوار، كل هذا لصنع إنسان جديد، وإصلاح الأحوال الظلمانية وتغييرها إلى الأحوال النورانية، فأسأل اللّـه أن يُبدل أحوالنا إلى أحسن حال.

الله يريد لك بداية جديدة:

الله أعطانا لفتة في القرآن، وكذلك رسولنا الكريم في سنته عليه أفضل الصلاة والسلام، أنَّ اللّـه يُحب أن يساعدك لتكون إنسانًا جديدًا، وكلنا لدينا ذنوب كثيرة ومع ذلك يغفرها -سبحانه وتعالى- بعفوه وكرمه.

وكما قال ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[1].

... فعليك أن تبدأ مع اللّـه *«أيها الإنسان الجديد»* كيوم ولدتك أمك، فهو يُحب أن يساعدك لتكون شخصًا جديدًا.

اللهم إنا نعوذ بك من قسوة القلب وطول الأمد.

خطورة تراكم الأفكار السلبية:

في البداية يجب أن تقف وتراجع أفكارك؛ لأن كثرة تراكُم الأفكار السلبية تُسبب للإنسان مشقة في حياته وأعباء وضغوطًا نفسية، وبمرور الوقت ينسى الإنسان نفسه ولا يراجعها، ولا يلتفت لقول الرسول الكريم ﷺ: **«لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ»[2] .. وطول الأمد هو «أن تترك الأفكار السلبية تُكوِّن داخلك عادات سيئة حتى تُفاجأ وقد صرت إنسانًا سيئًا!»،**

---

(1) رواه البخاري.

(2) رواه مسلم.

وكان النبي ﷺ يستعيذ ويقول: «وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ»[1].
فمن الممكن أن يكون حال أحد منَّا كذلك دون أن ينتبه، والله يقول في كتابه: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: 16] أي نسي نفسه فأصبح قلبه قاسيًا جدًّا مع اللَّـه - سبحانه وتعالى - وهو لا يدري!

خطورة عدم إدراك التغيير داخلك.

وبعد أن تحدَّث اللَّـه عن قسوة قلوب هؤلاء، فتح بابًا للإنسان الجديد فقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: 17] فلتفهم من هذه الآية أن اللَّـه - *سبحانه وتعالى - كما يُحيي الأرض الميتة بقدرته، فكذلك يوقظ القلب من غفلته!..حتى وإن ظن بعضهم أن الأمل بعيد ... ليكون بداية بناء الإنسان الجديد..*

اللهم إن رأيت قسوة من قلوبنا فأحيها بحبك ونورك يا أرحم الراحمين.

وقفت مع كتاب اللَّـه ومع علماء الاجتماع والنفس، ووجدت في كتاب اللَّـه أن هناك أحوالًا معينة تجلب على الإنسان الحزن والخوف، فتسلبه الإحساس بجمال الحياة، وتجعله يفقد نفسه المُطمئنة الساكنة، ورجعت إلى علماء النفس فوجدت أن تلك الأحوال التي تكلم عنها رب العالمين - سبحانه وتعالى - في كتابه والنبي ﷺ في سنته، ذكرها أيضًا علماء النفس في قسم يسمى

(1) سنن الترمذي.

الضغوط والأعباء النفسية، ووجدت أن هناك أشياء كثيرة جدًّا مشتركة بين الشريعة العظيمة والعلم الحديث، فهناك سلوكيات وعادات تُسيطر على الإنسان فتجعله إنسانًا تعيسًا كئيبًا، وتجعل الحياة حِملًا كبيرًا عليه فيفقد نفسه، وسنتحدث عن هذه الأحوال ونساعدك لكي تتخلص منها وتُصبح إنسانًا جديدًا.

يقول العالم المسلم ابن قيم الجوزية: «ما ذكر اللَّـه الخوف والحزن في القرآن إلا بالذم!» .. فحاجز بينك وبين اللَّـه أن تعيش دائمًا خائفًا أو حزينًا أو مكتئبًا، مع أنَّ الأصل أنّ اللَّـه خلقنا لكي نكون سعداء في الدنيا والآخرة.

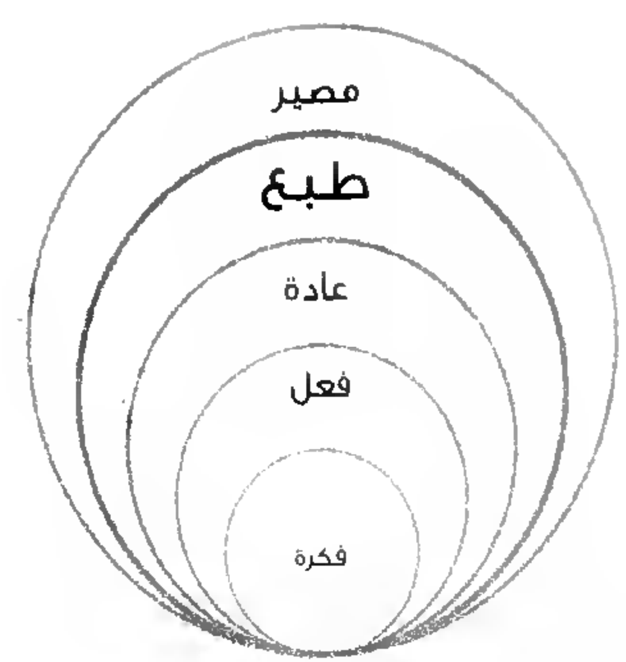
كيف تتكون هذه الأحوال؟

مجموعة من الأفكار السلبية	⬅	تتراكم حتى تتحول إلى حال	=	سيطرة الحال عليك واستقرار المعتقد السلبي في ذهنك لتعيش به

«راقب أفكارك لأنها ستصبح كلمات، راقب كلماتك لأنها ستتحول إلى أفعال، راقب أفعالك لأنها ستتحول إلى عادات، راقب عاداتك لأنها تكوِّن شخصيتك، راقب شخصيتك لأنها ستحدد مصيرك!».

الفيلسوف الصيني لاوتسو[1]

(1) ولد في القرن الرابع قبل الميلاد في الصين، ومن أشهر كتبه (الطريق وقوته) ويقال: إنه في يوم من الأيام تقابل لاوتسو مع الفيلسوف الصيني الكبير كونفوشيوس وكانا يتكلمان في موضوع ثم رحلا دون أن يتفقا على فكرة واحدة!!



فلتراقب أفكارك!

الهدف من كتاب «إنسان جديد»:

1 **إلقاء الضوء في كل مرة على فكرة سلبية اكتسبناها من أحداث** الحياة، فتمكنت منا، حتى أصبحت حالًا نعيش به.

2 **البحث عن أصل هذه الفكرة التي كوّنت الحال السلبي** الذي أصبحنا عليه، فنتعلم كيف نتخلص منه؛ لنصل إلى **النفس المُطمئنة.**

3 **تغيير الأفكار السلبية إلى إيجابية:** فالعالم حاليًّا يتجه لتغيير الأفكار .. لماذا؟! .. لأن رؤية الإنسان للحياة نابعة من أفكاره، فإن كانت سلبية فإنه يعيش حياة مليئة بالضغوط النفسية! أما إذا كانت إيجابية فإنه يعيش حياة حافلة بالتجارب الجميلة.

فالحكمة الهندية[1] تقول:

(1) والحكمة تُنسب أيضًا إلى جيمس ألان وهو كاتب وفيلسوف وشاعر، ولد في إنجلترا عام 1864، وكانت أعماله جميعًا تدور حول العقل وقدراته والأفكار وأثرها على حياة الإنسان ومصيره.

«أنت اليوم حيث أنت أفكارك، وستكون غدًا حيث تأخذك أفكارك، فأنت مجموعة من الأفكار!».

فرسولنا الكريم ﷺ عمل على تصحيح العقيدة أولًا لدى صحابته - رضوان اللّـه عليهم أجمعين - باعتبارها أهم ركن في الدين الإسلامي، والعقيدة ما هي إلا تصورات الإسلام للكون والإنسان وما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق اللّـه، ولما كانت الحياة مليئة بالتحديات، كما يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: 6]، وجب عليك إذن أن تعي كيف تصنع إنسانًا جديدًا منك:

لكي تعلم كيف تُخْرج منك هذا الإنسان .. عليك أن تعلم أن الإنسان القديم هو ذلك الإنسان صاحب النفس المنطفئة الذي سُلب رؤية الجمال في الأشياء، ولا يستطيع أن يستمتع بالنعم الكثيرة من حوله.

الذي كانت معادلة حياته عبارة عن:

تحديات الحياة + أفكار سامة = حياة مليئة بالأعباء والضغوط النفسية

بينما حياة الإنسان الجديد:

تحديات الحياة + الإنسان الجديد الذي نحلم به = حياة غنية مليئة بالتجارب والخبرات، ومشاهدة ألطاف اللّـه - سبحانه وتعالى.

وهذا هو الحلم الكبير، نُسلم أنفسنا لله لكي يغير أحوالنا بتغييره لأفكارنا، قال رب العالمين لسيدنا آدم: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: 123]، ولن نَضل أبدًا ولن نشقى ونحن في معيته - سبحانه وتعالى - وسيتبدل كل ما لدينا من الأحزان والمخاوف أملًا في اللّـه وحسن ظن به جل في علاه.

هدفنا هو الوصول إلى النفس المطمئنة

«العالم الخارجي هو من صنيع أفكارنا، ولن يتغير هذا العالم حتى تتغير أفكارنا!».

«ألبرت أينشتاين[1]»

صفات الإنسان الجديد:

يقول ابن تيمية[2]: «ماذا يصنع بي أعدائي، إن جنتي وبستاني في صدري، أينما ذهبت فهي معي»... تأمل كَمَّ السعادة التي تملأ قلبه! نحن نسعى لأن نكون هذا الإنسان الذي مهما تعرض لأحزان وضغوطات، يظل قادرًا على أن يصنع السعادة! ولهذا

(1) عالم فيزياء ألماني المولد، سويسري وأمريكي الجنسية، يشتهر بأبي النسبية لكونه واضع النظرية النسبية الخاصة والنظرية النسبية العامة الشهيرتين اللتين كانتا اللبنة الأولى للفيزياء النظرية الحديثة، حاز في عام 1921 على جائزة نوبل في الفيزياء عن ورقة بحثية عن التأثير الكهروضوئي.

(2) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني (661 هـ - 728 هـ / 1263م - 1328م) المشهور باسم «ابن تيمية». هو فقيه ومحدث ومفسر وعالم مسلم مجتهد منتسب إلى المذهب الحنبلي. وهو أحد أبرز العلماء المسلمين خلال النصف الثاني من القرن السابع والثلث الأول من القرن الثامن الهجري.

الإنسان الجديد ثلاث صفاتٍ يسميها علماء النفس (**صحة نفسية متزنة**)، وعلماء الشريعة يسمونها (**نفسًا مطمئنة**) مليئة بالسكون الداخلي ورؤية جمال العالم، وهذه الصفات هي :

صفات الإنسان الجديد

3	2	1
قادر على التعامل مع تحديات الحياة	قادر على إدارة علاقات اجتماعية سوية	لا يدمر نفسه

1 **لا يدمر نفسه**: قادر على أن ينهض مرة أخرى إذا فشل في شيء.

2 **قادر على إدارة علاقات اجتماعية سوية**: يعرف كيف يُحِب ويُحَب، حياته ليست مليئة بالصراعات والمشاحنات مع من حوله!

3 **قادر على التعامل مع تحديات الحياة**: بمعنى التكيف مع الظروف المحيطة سواء أكانت نِعَمًا جميلة فيحمد اللـه عليها، أم ابتلاءات فيصبر عليها ليرتقي بها في مدارج السالكين إلى اللـه.

وهذا هو التدين، هذه هي الصلة بالله، وما أُنزلت الشرائع وما أُرسلت الرسل إلا لإصلاح أحوال الإنسان.

فعن عبد اللّه بن سَرْجسَ أنَّ رَسولَ اللّهِ ﷺ كان إذا سافَرَ قال: «اللهم إني أَعوذُ بكَ من وَعثاءِ السّفرِ، وكَآبَةِ الْمنْقَلَبِ، وَالحَوْرِ بَعدَ الكَوْرِ، وَدَعوَةِ الْمَظْلومِ، وَسوءِ الْمَنْظَرِ في الأَهْلِ وَالمَالِ»[1]

(1) مصنف ابن أبي شيبة.

و(الكَوْر) كناية عن استقرار الإنسان، وحمايته من الأشياء التي تؤذيه في الحياة، و(الحَوْر) كناية عن التفكك والتشتت!... فيا رب نسألك أن تحفظ لنا استقرار أحوالنا، وأن تعصمنا من التشتت والتفكك.

نحن نبحث عن إنسان جديد، صاحب نفس مطمئنة ساكنة، يتخلص من كل ما لديه من أفكار سلبية تتراكم لتشكل ضغوطًا نفسية شديدة، وتسلبه نفسه المطمئنة، فيعيش خائفًا حزينًا.

أرجو أن نكون أنا وأنت ممن ذكرهم اللّـه في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس 62 : 64] أرجو أن أكون أنا وأنت الإنسان الجديد.

الخلاصة:

لكي تكون إنسانًا جديدًا اعلم أن:

الأحوال تتكون من: أفكار سامة تتراكم حتى تسيطر على الإنسان، وتجعله يعيش بالمعتقد السلبي طوال حياته، والنتيجة

تحديات الحياة + أفكار سامة = حياة مليئة بالأعباء والضغوط النفسية.

الهدف من الكتاب هو: صناعة الإنسان الجديد.

تحديات الحياة + الإنسان الجديد الذي نحلم به = حياة غنية مليئة بالتجارب والخبرات، ومشاهدة ألطاف اللّـه - سبحانه وتعالى.

التشدد

إن علاقة العبد بربه مبنية في أصلها على الحب، ولكن لا يستطيع الإنسان أن يملأ قلبه بحبِّ الإله إلا بعد معرفته.. فكيف تحب من لا تعرف؟!

معنى التصـــور

وتبدأ المعرفة بما يُسمَّى التصور.. وهو مجموعة المعلومات التي تشكل المعنى في الذهن، فقد استودع اللّـه تصورًا عن نفسه في صدر كل إنسان وسمّاه الفطرة؛ رب عظيم، وواسع المغفرة، كريم اليد، رحمته تغلب غضبه، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ ﴾ [النجم: 32]، وغيرها مئات الآيات فقط لتكوين تصور تراكمي عن جمال وكمال الإله، وبمواقف لا تُحصى كان الرسول الأمين ﷺ أشد حرصًا على ترسيخ عظمة الإله ومحاربة كل ما يشوهها، وقد سطر القرآن قصصًا عن رحمة الإله وتقبله لأعذار البشر، ورأفته بأحوالهم المتغيرة والمتفاوتة، **وكما أخبرنا القرآن أن الشيطان سيفني حياته في تضييق تصور المؤمن عن سعة الرحمن ليحولها لصورة قاسية مجردة من معاني الحب والقرب، فلا يسيطر على العلاقة بين العبد والرب إلا العبودية الجافة، بل المصلحة الخالية من المودة، فتنقلب العبادات إلى وسائل للهروب فقط من عذاب وعتاب الرب دون الإحساس فيها بلذة الوصال والقرب، ويغيب الجمال الرباني.**

معنى التشدد:

والتشدد الحقيقي المقيت هو محاولة من افتقد في ذهنه كمال الإله فرض هذه الصورة على أذهان من حوله، ومحوه لكل رؤية أخرى تتعارض مع رؤيته، بل وصفه لمن يخالفه بالمائع أو الخائن لعهد الإله، وقتها يغيب عنه الجانب الجمالي لصفات الرحمن، فترى كلامه يدعو إلى اللَّـه، وأفعاله تصرخ لا تسيروا في طريقه الوعر.

نبئ عبادي أني.. أنا الغفور الرحيم

فاطمئن يا عبد اللَّـه.. ربك أحبَّ خلقه، وأحبَّ إكرامهم، وأحبَّ قربهم في الدارين.. حذرهم من ظلمهم لأنفسهم وقسوة بعضهم على بعض، لكنه سبحانه وفي الوقت نفسه قدّر نقصهم وضعفهم، وخفف عنهم وعذر مسيئهم حتى يساعدهم على مواصلة السير في طريقه بقلوب تذوب شوقاً إلى لقائه ورؤيته.

فابدأ خطوتك الأولى بالتعرف إلى الإله الرحيم، وأعد ترتيب أوراق قلبك في الفهم عن هذا الإله، ولا تجعل التشدد والغلو يسيطران على قلبك فيشوها أسمى علاقة حب يمكن أن تشعر بها في الكون، إنها علاقة حبك بمن خلقك وأوجدك وأحبك قبل أن تفهم معنى الحب.

فالكل يسعى للقرب من اللَّـه - عزَّ وجلَّ - ويريد أن يستمتع بهذا القرب، ولكن تختلف الطرق؛ لذا نجد النبي ﷺ يُخبرنا أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق..

وكأنه وضع لنا القاعدة الأساسية لذلك، **فهناك من الطرق ما قد يؤدي إلى إحداث قطيعة بين العبد وربه، وبينه وبين الناس، وهذه الحالة تجعل من التدين همًّا ثقيلًا عـلى قلب الإنسان حتى وإن** أنكر ذلك.

ولهذا حذرنا النبي ﷺ من الغلو في الدين، فعنِ ابن عبَّاسٍ قال: قال لي رسول اللّهِ غدَاةَ جمْع: «**هلُمَّ الْقـطْ لي**». فلَقَطْتُ له حصَيَاتٍ من حصَى الْخذْفِ، فلما وضَعَهُنَّ في يدِهِ قال: «نعم بِأمْثَالِ هؤُلَاءِ، وإِيَّاكُمْ والْغُلُوَّ في الدِّينِ، فإِنَّمَا هلَكَ مَن كان قبْلَكُمْ بِالْغلُوِّ في الدِّينِ»[1].

والمقصود بحصى الخذف؛ أي أن حجم الحصى الذي يرمى به شاهد إبليس مثل حجم حبة الفول.

ولكن انتبه حتى لا يختلط الأمر عليك، فالتشدد حال مُركب، لا علاقة له بحال من يتمسك بحدود اللّـه، كأن يصلي أحدهم كل الصلوات بالمسجد مثلًا، أو أن يرفض فعل الحرام بكل درجاته ويجاهد نفسه في ذلك، فهذا ليس تشددًا!

الإنسان القديم:

كمثل أي صورة أو لوحة تظهر حدودها وأضلاعها الأربعة، **نجد أن صورة المتشدد تتكون من أربعة أضلع .. وهي:**

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل.

1 يأخذ بالأصعب دائمًا.

2 يلزم الآخرين برأيه.

3 يظن أن رأيه هو الحق الوحيد.

4 يكون لديه تصور قوي أن خلاف اختياره تسيب وتمييع.

المتشدد من الداخل:

التشدد حال يحدث نتيجة لأسباب عديدة؛ منها ما هو مرتبط بالمجتمع، ومنها ما ينبع من داخل الإنسان، فداخل الشخص المتشدد شخص لديه:

1	2	3
خوف زائد من فتن المجتمع	علم قليل	غلبة الطبع الجلالي

1 **خوف زائد من فتن المجتمع:** ولا أخفيك سرًّا؛ فالمجتمعات مليئة بالفتن، لكن عندما يسيطر على الإنسان الشعور بالخوف الشديد من الفتنة مع الحرص في الوقت نفسه على الحفاظ على دينه؛ فإن هذا الإحساس يدفعه نحو التقوقع والبعد عن المجتمع، بل وصف المجتمع بالتسيب والانحلال.

2 **علم قليل:** فالمتشدد شخص لا يملك المعلومات الكافية عن الدين؛ فأصبحت الحدود بين الحلال والحرام غيرَ واضحة بالنسبة له؛ لذلك يقول سيدنا سفيان الثوري: «الدين هو الرخصة من العالم، وإن التشديد يُحسنه كل أحد». أي أن الدين هو تيسير وتبسيط من العلماء لجمال العلاقة مع اللَّـه

ومع الخلق، أما التشدد فأي شخص منا يستطيع أن يكون متشددًا، يُحرّم باستمرار ويُلزِم غيره ذلك.

3 **غلبة الطبع الجلالي**: بعضنا يغلب عليه الطبع الجلالي؛ فيزيد الخوف عنده على الرجاء، وتسود فكرة العذاب لديه على فكرة الرحمة، وهذا يجعله عرضة للتشدد، فيخاف الخطأ دائمًا، ويَنفُر من الناس والمجتمع، بل يرى التيسير تسيبًا، فانتبه إذا كان طبعك جلاليًا؛ فأنت عرضة أن يسيطر عليك حال التشدد!

إذًا كيف تعرف إذا كنت متشددًا أم لا؟

يقول علماء الاجتماع وعلماء الشريعة: إن حال التشدد تنكره الأغلبية، فتجد الواحد منهم يقول: أنا متدين ولست متشددًا. بينما هو في الواقع لا يدري حقيقة حاله.

علامات الشخص المتشدد:

1 **التنافر الشديد مع المخالف**: أن تعظم معلوماتك أمام نفسك فلا تتصور أن هناك معلومات أخرى غير التي تعرفها، فيكون لديك تنافر وخلاف شديد مع أي شخص يخالفك في المعلومة، حتى ولو على سبيل السخرية.

ففي البخاري أن سيدنا أبا برزة الأسلمي[1] كان يصلي وحصانه بجانبه على ضفاف أحد الأنهار، فترك حصانه حتى يشرب من النهر ويسير يبحث عن طعام حول النهر، وبدأ يصلي صلاة النافلة، فركض الحصان بعيدًا، فقطع أبو برزة الصلاة وركض وراءه حتى يأتي به ويربطه بجانبه، فسبّه أحد الناس وقال: انظر لأبي برزة يترك الصلاة من أجل الفرس. فعاد أبو برزة إلى صلاته مرة أخرى، وبعد أن انتهى منها قال: «والله ما سبني أحد ولا عنفني منذ أن تركت رسول اللّه ﷺ وانتقل للرفيق الأعلى، ولقد شهدت مع رسول اللّه ﷺ ست أو سبع غزوات فرأيت من تيسيره، وإن بيت أهلي لبعيد، ولو تركت فرسي ما ذهبت لهم إلى الليل».

فهو صحابي وفقيه فكر في المصالح والمقاصد والمفاسد، بينما الآخر تنافر معه ولم يعجبه التصرف، ***وقد أظهر هذا الموقف علامة من علامات التشدد ألا وهي التنافر الشديد وتصور أن غيري مادام يفعل شيئًا خلاف الذي أعرفه فهو جاهل أو يُمَيع الدين.***

(1) من صحابة النبي ﷺ واسمه نَضْلة بن عبيد، وقيل: نَضْلة بن عبد اللّه بن الحارث. روى عدة أحاديث. قال ابن سعد: أسلم قديمًا وشهد فتح مكة. وقال أبو نعيم: هو الذي قتل عبد العزى بن خطل تحت أستار الكعبة بإذن النبي ﷺ. يقال: مات أبو برزة بالبصرة. وقيل: بخراسان. وقيل: بمفازة بين هراة وسجستان. وقيل: شهد صفين مع علي. ويقال: مات قبل معاوية في سنة ستين. وقال الحاكم: توفي سنة أربع وستين. وقال ابن سعد: مات بمرو.

2 أن ترى أن التيسير والأخذ بالرخص ميوعة: فدائمًا تريد أن تأخذ بالأشد؛ لأن هذا هو الدين من وجهة نظرك، فقد ورد أن:

أحد الناس - اسمه أبو إسرائيل - في عهد النبي ﷺ نذر ألا يتكلم ولا يستظل ولا يقعد ويصوم، فرآه النبي ﷺ فسأل الصحابة، لماذا يفعل في نفسه هكذا؟ لماذا يقف في هذا الحر هكذا ولا يجلس؟ ولماذا لا يتكلم مع أحد؟ فقالوا: يا رسول اللّـه، إنه نذر ألا يتكلم وألا يستظل وألا يجلس ويصوم. فأمره أن يتكلم، ويجلس، ويستظل، ويتم صومه».

3 إذًا خفف عن نفسك، هذه ليست ميوعة ولا تسيبًا، وانتبه أن ترى التيسير ميوعة، فهذه من علامات سيطرة حال التشدد.

فما المشكلة في أن تكون متشددًا؟

- **هذا يشكل ضغطًا وعبئًا نفسيًّا، فيجعل الدين حِملًا ومُعاناة، *مما* ينتج عنه:**

- **الظلمانية وغياب الجمال:** فالله أنزل كتابه ليدعونا لجمال العلاقة معه - سبحانه وتعالى - ومع المخلوقين، لكن الإنسان المتشدد الدائم الصراعات مع نفسه ومع من حوله يغيب عنه هذا الجمال.

وعنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ هَذا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»[1].

فنهى عن الغلو في الدين، وأن يكلف الإنسانُ نفسَه فوق طاقتها.

كما قال ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»[2].

---

(1) رواه النسائي.

(2) رواه مسلم.

إطعام الناس حرام !!!

تحكي امرأة فتقول: «زوجي ترك عمله؛ لأنه يرى أن مال الحكومة حرام، ثم فكر أن يفتح مطعمًا، لكنه عدلَ عن ذلك حتى لا يأكل الناس ويذهبوا بعدها لارتكاب المعاصي!! وهو الآن لا يعرف ماذا يعمل؟».. انظر لأحكامه المليئة بعدم العلم، والحكم على الخلق، والتحليل والتحريم! وهكذا حياة المتشدد نجد فيها أن الحبَّ قليل، والمشكلات كثيرة، وفيها ظلمانية وغياب للجمال!

التعثر في الطريق إلى اللّـه: قال سيدنا النبي ﷺ: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»(1).

معنى التنطع:

والتنطع هو التكلف والتشدد في الدين.

مثلما حذَّر النبي ﷺ عندما دخل مجموعة من الناس وسألوا السيدة عائشة: كيف كانت حياة النبي ﷺ؟ فقالت: يصلي ويدخل لينام، ويحب زوجاته وقريب منهن، وأوقات يصوم وأوقات نأكل مع بعض ولا يصوم. فقالوا: كيف؟ أما أنا فلا آكل اللحم، وأما أنا فلا أنام، وأما أنا فلا أقرب النساء! فجمع النبي الناس وخطب فحمد اللّـه وأثنى عليه فقال: «مَا بَالُ أَقْوَام قَالُوا كَذَا وَكَذَا؛ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَام، وَأَصُومُ وأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(2).

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

وقال ﷺ في حديثه عن الشخص المتشدد وأنه سيسقط ويتعثر في الطريق:

«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[1].

كيف يمكن أن يكون فينا مظهر من مظاهر جمال الله؟

من هو الإنسان الجديد؟ وماذا أراد اللّـه منك؟

أرادك اللّهُ مظهرًا من مظاهر جمال اللّـه، فكما يحب اللّـه أن تظهر رحمته فينا، وكرمه يظهر في أيدينا، كذلك يحب أن يظهر جماله في تصرفاتنا.

تأمل قوله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا، ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى»[2].

.. أي ذُكر جماله ورحمته - عزَّ وجلَّ - يقول سفيان الثوري[3]: «وَكَانُوا يَرَوْنَ السَّعَةَ عَوْنًا عَلَى الدِّينِ». كان العلماء دائمًا يرون أنهم عندما يوسعون على الناس، وييسرون عليهم أمور دينهم، فإن ذلك سيكون عونًا لهم في القرب من اللّـه - سبحانه وتعالى - وامتثال أوامره.

(1) رواه البخاري.

(2) مسند أحمد.

(3) أبو عبد اللّـه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الربابي التميمي من بني تميم، ولد في عام (97 هـ) وتوفي في (161 هـ)، كان أحد أئمة الإسلام، يقول عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: «هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد اللّـه الثوري الكوفي المجتهد... مصنف كتاب الجامع».

كيف تتخلص من حال التشدد؟

لكي تتخلص من حال التشدد عليك بثلاثة أشياء:

1	2	3
التخلص من خدعة الإله المُتربص	التعلم	التيسير

1 **التخلص من خدعة الإله المُتربص:** وهو ما يطلق عليه العلماء: «وهم الإله المُتربص».. سأشرحها لك بشكل بسيط - ***ربنا مش قاعد على الواحدة للناس!*** - أي أن اللَّـه لا ينتظر ارتكاب العبد للذنب ليعاجله بالعقوبة، فهذا الوهم يسيطر على المتشدد، مع أنّ اللَّـه لا يحب أن يعذب الناس، بل يرضى - سبحانه وتعالى - منهم بالقليل من العمل ليجازيهم بجزيل الثواب، ومجرد النية في عدم العودة للذنب يقبلها اللَّـه - عزَّ وجلَّ - قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: 143]، فالله - سبحانه وتعالى - رءوف رحيم لن يضيع أعمالك الصالحة إذا أخطأت، ولكن انتبه **أنا لا أشجعك على الخطأ**، ولكن هوِّن على نفسك، سِر مع اللَّـه - سبحانه وتعالى - وأنت مطمئن إليه، ولست قلقًا من غضبه عليك، أو بطشه بك، فهذا لا يتفق وحسن الظن به - سبحانه وتعالى.

2 **التعلم:** كلما تعلمتَ عرفتَ حدود الحلال والحرام، وازددت قربًا من اللَّـه دون أن يسيطر عليك حال التشدد، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي: «كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي.. وكلما

ازددت علمًا زادني علمًا بجهلي». فكلما تعلمتَ أدركتَ أن الطريق ما زال طويلًا، وأن هناك الكثير من المعلومات يعرفها غيرك ولا تعرفها أنت، فلا تندفع في الحكم على غيرك.

«العلم ثلاثة أشبار: من تخطى الشبر الأول تكبر، ومن تخطى الشبر الثاني تواضع، ومن تخطى الشبر الثالث علم أنه لا يعلم».

«الإمام الشافعي»[1]

فكلما ازداد علم المرء صار أكثر تواضعًا وسكينة، يُحسن الظن بكل من حوله، فلا تصدر منه أي تصرفات متشددة، ويعيش مع اللّـه ومع خلقه بالجمال.

3 التيسير: «يَسِّروا»: إذا افترضنا أن الشريعة دواء القلوب، فطبيب القلوب سيدنا النبي ﷺ قد أخبرك بالوصفة السليمة التي بها تعرف كيفية السير إلى اللّـه دون أن تتعثر، فما خُيِّر رسول اللّـه ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، وكان يُعلم الأمة أن تختار الأيسر حتى تسير في طريقها إلى اللّـه يغشاها السكون والجمال

(1) أبو عبد اللّـه محمد بن إدريس الشافعيّ المطَّلِبيّ القرشي. هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه، وهو أيضًا إمام في علم التفسير وعلم الحديث.

فكان ﷺ يقول: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»[1].

وعن عَائشَةَ أنَّ رَسولَ اللّهِ ﷺ قال: «إذا نعَسَ أحدكم وهو يصَلِّي فَلْيَرْقدْ حتى يَذهَبَ عنه النَّومُ، فإن أَحَدَكمْ إذا صلى وهو نَاعسٌ لا يَدْري لعَلَّهُ يَسْتَغْفرُ فَيسبُّ نَفسَهُ»[2].

أي إذا كنت تصلي النافلة وغلبك النعاس فاذهب للنوم، فربما تقصد أن تستغفر فتدعو على نفسك من حيث لا تدري، أي بدلًا أن تقول أستغفر اللّـه العظيم، تقول اللهم لا تغفر لي! فإذا شعرت بالنعاس فاذهب للنوم، وعندما تستيقظ قم وصلِّ.

وبهذا تصل إلى الإنسان الجديد المُتخلص من الضغط النفسي الذي يسببه حال التشدد، وتسير إلى اللّـه في غاية الجمال والسكون، بنفس مطمئنة، فيكون ما بينك وبين اللّـه، وما بينك وبين من حولك عامرًا، لا تنافر ولا تشدد فيه.

يا رب ساعدني أن أكون إنسانًا جديدًا... ساعدني أن أكون مظهرًا من مظاهر جمالك يا رب العالمين.

---

(1) رواه البخاري.

(2) رواه البخاري.



الخلاصة:

حتى تبتعد عن التشدد تذكر أن:

التشدد يؤدي إلى إحداث قطيعة بين العبد وربه، وبينه وبين الناس.

صفات المتشدد:

1. يأخذُ بالأصعب دائمًا.
2. يلزمُ الآخرين به.
3. يظن أن هذا هو الحق الوحيد.
4. يكون لديه تصور قوي أن خلاف اختياره تسيب وتمييع.

أسباب التشدد:

1. خوف زائد من فتن المجتمع.
2. قلة العلم.
3. غلبة الطبع الجلالي.

نتائج التشدد:

1. الظلمانية وغياب الجمال.
2. التعثر في الطريق إلى اللّـه.

كيفية التخلص من حال التشدد:

1. التخلص من خدعة الإله المُتربص.
2. التعلم.
3. التيسير.

راقب نفسك في نقاشاتك مع الناس .. وسجل مشاعرك وردود فعلك .. واجتهد أنك لو لاحظت فيك أي علامة من علامات التشدد أن تتخلص منها.

سوء الظن

ما أتعس هذا الإنسان الذي امتلأ قلبه بالشكوك في كل همسة أو لمسة أو كلمة تخرج ممن حوله، بسبب انقلاب صدره إلى جحيم ملتهب؛ لأنه مليء بالتفسيرات السلبية الدائمة لأقوال وأفعال الآخرين، فأصبح لديه تصور دائم أنه يحيا وسط مؤامرة كبيرة، وأن الكل ينوي له الشر! وكأنه دائم الإيمان بالمثل الشهير «جزاء سنمار»[1] ذلك المهندس البارع الذي أفنى حياته في بناء قصر مشيد للملك النعمان، وكان من أصدقائه وخواصه.

هل سمعت يوما عن (جزاء سنمار)؟

- سأله الملك: هل هناك أحجار في هذا القصر إذا سقطت يسقط القصر؟
- قال سنمار: نعم، وحدي يعرفها!

فألقاه النعمان من شرفة القصر؛ بسبب امتلاء قلبه بالشكوك غير المبررة في صاحب العمر وأنه سيأتي يوم ويهدم القصر على رأسه!

إذن؛ فالحذر مطلوب، لكن الحذر حكمة مبنية على تأمين النفس من الأخطار المحتملة، وليس إرهاق وإتعاس النفس بالأوهام والتفسيرات الخبيثة لنيات المقربين أو الأقران.

الفرق بين كل من الحذر وسوء الظن

(1) سنمار مهندس، يقال إنه آرامي نبطي من سكان العراق الأصليين، وينسب له بناء قصر الخورنق الشهير في عهد نعمان بن امرئ القيس في القرن الرابع الميلادي، ويضرب به المثل «جزاء سنمار»، وهو من الأمثلة العربية الشهيرة، والتي ما زالت تستعمل حتى اليوم.

والجزء الأكبر من ظنون البشر الوهمية سببها عيوب داخل الإنسان يسقطها على من حوله، فلو أصلح نفسه لانصلحت ظنونه!

فمن خُبث نفس بني إسرائيل؛ أنهم اتهموا السيدة مريم عليها السلام بالفاحشة بمجرد رؤيتهم عيسى في يدها على الرغم من نقاء سمعتها وسمعة عائلتها الطاهرة.

فعندما يسيء الإنسان الظنَّ بغيره يغلق كل منافذ تلقِّي الخير من هذا الإنسان، فمن حقك أخذ الحذر من إيذاء الآخرين إذا رأيت ما يبعث على القلق، لكن لا تُلْقِ بنفسك في تهلكة الأوهام، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، فألزم قلبك بالاستعاذة بالله من شيطان الفرقة والضغينة، وفوِّض أمرك لله فهو حاميك وناصرك وكُن إنسانًا جديدًا.

فمن الأوهام ما قتل، ومن الظنون ما أفسد العقل والروح؛ لذا، عزيزي القارئ، وجدت أن سوء الظن من أهم الأحوال التي لم ألتق بعالم رباني، أو عالم من علماء النفس، إلاَّ وحدثني عنه؛ نظرًا لأهميته وخطورته على القلب والروح والسلوك أيضًا، فهو يصيب النفس المطمئنة في مقتل، ويجعلها تبتعد كثيرًا عن صفات النفس الساكنة الراضية المرضية.

ملامح الإنسان القديم:

1
سوء السريرة

2
تعميم التجربة السلبية

1 سوء السريرة: لعل أهم وأول ملمح يميز الشخص سيئ الظن بالناس هو اتصافه بما يسمى بـ «سوء السريرة»، فهذا الشخص يحمل قدرًا من السوء والشر في داخله يرى بهما من حوله؛ لأنه يرى الناس بطبع نفسه.

«الشرير لا يظن بأحد خيرًا؛ لأنه لا يراهم إلا بطبع نفسه».

«الإمام عليّ بن أبي طالب»

«يتشدد الكريم مع نفسه، وسيئ السريرة يتشدد مع الآخرين».

«كونفوشيوس»[1].

ثياب الجيران متسخة!

أتذكر قصة سيدة كانت تقول لزوجها: انظر لثياب الجيران كم هي متسخة! ثم تعود في اليوم الآخر فتقول لزوجها: انظر ما زالت ثيابهم اليوم متسخة أيضًا. فرد عليها زوجها وقال: اذهبي ونظفي زجاج النافذة. وعندما نظفته اكتشفت أن عدم نظافة النافذة هو الذي جعلها ترى عدم نظافة ثياب جيرانها، فكانت تنظر إلى

(1) كونفوشيوس هو أول فيلسوف صيني يفلح في إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي، فلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية، ولقد كانت تعاليمه وفلسفته ذات تأثير عميق في الفكر والحياة الصينية والكورية واليابانية والتايوانية والفيتنامية. ولد في 28 سبتمبر 551 ق.م وتوفي 479 ق.م (72سنة)

حال جيرانها من خلال نافذتها المتسخة فيبدو لها وكأن حالهم كذلك.

«إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه»

«المتنبي»[1].

2 تعميم التجربة السلبية: أما الصفة الأخرى للشخص سيئ الظن، فهي مروره بتجربة سلبية مريرة في الماضي، فظلت هذه التجربة حاضرة معه يعممها على كل من يراه، كتعرضه مثلًا للخيانة أو الغدر، فتظل معه هذه الذكرى ويخشى أن تتكرر مرة أخرى فيبني بسوء الظن حاجزًا بينه وبين عدم تكرارها، مُطبقًا المثل المصري: **اللي يتلسع من الشوربة، ينفخ في الزبادي**[2].

سوء الظن من مجرد فكرة إلى فعل:

ولأن المعتقدات هي التي تؤدي إلى سلوكياتنا وأفعالنا، نجد أن سوء الظن يصل بصاحبه إلى الأفعال التالية:

---

(1) أبو الطيب المتنبي أحد أعظم شعراء العرب، واسمه أحمدُ بن الحسين بن الحسن ابن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي المولد، نسب إلى قبيلة كندة نتيجة لولادته بحي تلك القبيلة في الكوفة لانتمائه لهم، تاريخ الولادة 303هـ 915 م، وتاريخ الوفاة 354هـ 965 م عن عمر يناهز الخمسين عامًا.

(2) مثل مصري مشهور بمعنى: من تلهب لسانه الشوربة الساخنة يرتعب من أن يأكل الزبادي البارد، ويقال عمن له خبرة سيئة بشيء فيشكك بكل ما شابهه.

سوء الظن من مجرد فكرة إلى فعل:

ولأن المعتقدات هي التي تؤدي إلى سلوكياتنا وأفعالنا، نجد أن سوء الظن يصل بصاحبه إلى الأفعال التالية:

1	2
كثرة التجسس	الحكم على نوايا الناس وبواطنهم باستمرار

1 **كثرة التجسس**: حتى يطمئن قلبه من نوايا الآخرين تجاهه؛ لذا وضع اللّـه - عزَّ وجلَّ - سوء الظن والتجسس مع بعضهما حينما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: 12].

2 **الحكم على نوايا الناس وبواطنهم باستمرار**: أي أن الفعل الظاهري له معنى باطنيّ سيئ عنده دائمًا.

والجدير بالذكر أن سوء الظن له مستويات علينا أن ندركها، **فما هي مستويات الظنون والافتراضات التي نفترضها ونظنها فيمن حولنا؟**

مستويات الظنون والافتراضات:

1	2	3	4
قطعية	غلبة الظن	ظنية	وهمية

1 **قطعية**: أي تُدركها بالحواس وعليها إجماع، فعلى سبيل المثال لو أن أحدهم يُصوب مسدسه نحوك ويراه الجميع وقد أجمعوا أنه يريد بك شرًّا، فهذا ظنٌّ قطعي.

2 **غلبة الظن**: افتراض تُدركه بالحواس لكن ليس عليه إجماع، فمثلًا لو أني كنت أتحدث معك واحتد النقاش بيننا فوجهت لي كلمة شديدة، فيمكن لأحدهم أن يقول إنك لم تقصد إهانتي على الرغم من أن الموقف يحتمل هذا منك، إذن فهذا افتراض يغلب عليه الظن السيئ.

3 **ظنية**: وهي لا تُدرك بالحواس، وإنما بالتحليل والتفكير ويؤثر فيها ترميزك لمن تتعامل معه، فلو أنني مثلًا لم أدعُك إلى زفافي فيمكن أن تظن أني فعلت ذلك لأنك لم تدعُني إلى زفافك أنت أيضًا، مع أنه يمكن أن أكون قد سهوت عن دعوتك ولم أقصد أن أبادلك ما فعلت معي.

4 **وهمية**: افتراض ليس عليه أي دليل، مثلًا من يمتلك سيارة فارهة فلا بد إذن أن يكون كسبه من حرام، أو فتاة لا ترتدي الحجاب لا بد أن تكون سيئة الخلق، أو أن رجلًا له لحية فلا بد إذن أن يكون متشددًا، وعلى هذا فكل ما سبق من الظنون أو الافتراضات لا بد لك أن تتخلى عنها إلا القطعي منها.

روح الإنسان القديم:

1 **الظن وهم لا يأتي إلا بالهم وفساد الروح؛ لأنه يُعكر صفوها** ويجعلها مشتتة، وغير ساكنة، كما أنه يملأ الإنسان بالوساوس

والمخاوف ويجعله يشعر دائمًا أنه يحيا في مؤامرة من الناس، عكس الإنسان صاحب النفس الساكنة لربه تجده يرى الجمال في الناس وفي كل ما حوله، ويُفسر تصرفات من حوله تفسيرات إيجابية.

وقد كان ﷺ يحمي أصحابه من فساد الروح، فبينما كان معتكفًا ﷺ في المسجد وجاءته زوجته أم المؤمنين صفية رضي الله عنها تُحدثه، ثم خرج كي يرافقها إلى البيت، وكانت كعادة، أمهات المؤمنين منتقبة لا يُرى منها شيءٌ، رآه اثنان من الصحابة فابتعدوا عن الطريق، فقال لهم رسول اللّـه ﷺ: «تعالَيَا، إنَّهَا صَفيَّةُ بنتُ حُييٍّ». قالا: سُبْحانَ اللّهِ يا رسُولَ اللّهِ! قال: «إنَّ الشّيْطَانَ يَجْري من الإنْسَانِ مجْرَى الدّمِ، وَإنِّي خَشيتُ أنْ يُلْقيَ في أنْفُسِكُمَا شيئًا»[1].

فكان صلوات ربي وسلامه عليه يحمي أصحابه من الوساوس التي يمكن أن تُعكر عليهم صفاء أرواحهم، وفي ذلك يقول الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «أسوأ الناس حالاً من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ومن لا يثق به أحد لسوء فعله».

2 **إن الحكم على البواطن يُزعج الإنسان ويستخرج منه الكثير من المعاصي، حيث يجعله في سلسلة من الأوهام المتتالية التي يسلم بعضها إلى بعض، وهذا ما أشار اللّـه عز وجل إليه**

---

(1) رواه البخاري.

في كتابه في سورة الحُجرات، حيث ذُكِر كل من سوء الظن والتجسس والغيبة، فجميعها معاصٍ مرتبط بعضها ببعض ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [الحجرات: 12].

ولأننا في حياتنا اليومية يجب أن يسعى كل منا لأن يكون صاحب خلق حسن مُحترِمًا للناس، يسعى دائمًا لمساعدتهم ومد يد العون لهم؛ لذا وجب عليك أن تدرك حقيقة أن ليس كل الناس ناكرًا للمعروف، فحتى لو كان منهم من يضمر لك الشر ويتربص بك؛ فلا عليك، فقط فوِّض أمرك إلى اللـه.

وكما قال طبيب القلوب ﷺ: «واعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعتْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ إلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ.... ومَا أَصَابكَ لَم يَكن لِيُخْطِئَك، وما أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُن لِيُصِيبَكَ»[1]

فقط كل ما عليك أن تفعله أن تكون حذِرًا بالقدر المناسب، ودعك من الظنون التي تُعكر عليك صفو حياتك وتملأ قلبك بالوساوس، وفي هذا يقول ابن القيم[2]: «يصعب على المرء أن

---

(1) سنن الترمذي.

(2) ابن قيّم الجوزية من علماء المسلمين في القرن الثامن الهجري وصاحب المؤلفات العديدة، عاش في دمشق ودرس على يد ابن تيمية الدمشقي ولازمه قرابة 16 عامًا وتأثر به. ومن أشهر مؤلفاته حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح..وغيرها. المولد 691هـ والوفاة 751هـ

يعرف نيته في عمله، فكيف يتسلط على نوايا الآخرين؟!». فإذا كنت أنت نفسك من الصعب أن تُدرك أفعالك إذا كانت لله أم للخلق، فكيف إذن تكون متيقنًا من نوايا الآخرين؟! ومن هنا يجب عليك أن تكون شخصًا مُتزِنًا، ولن تُصبح كذلك إلا عندما تعلم جيدًا أن هناك إلهًا فوقك يحميك، حتى لو شعرت أنك تعيش في مؤامرة تذكَّرْ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: 15، 16] فكن واقعيًا أخي القارئ، فنحن لا يمكن أن نعيش في هذا الكم من المؤامرات مع كل من حولنا سواء أكانوا أقارب أم زملاء في العمل أم جيرانًا، فقط فوض أمرك إلى اللّه عالم السر وأخفى حتى تُفرِغ قلبك لذكر اللّه والصلاة بخشوع وحب الآخرين.

ملامح الإنسان الجديد:

الإنسان الجديد ما هو إلا شخص حاول المحافظة على صفاء قلبه لينعم بعلاقته مع اللّه ومع الخلق؛ لذا أصبح:

1	2
لا يتكلم بما يظن	**ترك مجالس الغيبة والنميمة**

1- لا يتكلم بما يظن: لأنه ببساطة أدرك أنه ربما يتكلم مع الشخص غير المناسب فيُضيف له مشاعر سلبية أخرى ليرضيه فيحول ظنّه هذا ليقين، فكان الإمام الكبير سفيان الثوريّ[1] يقول: «الظن ظنان: ظن فيه إثم وظن ليس فيه إثم،

(1) فقيه كوفي وأحد أعلام الزهد عند المسلمين وهو من تابعي التابعين.

فالذي فيه إثم الذي يتكلم فيه أحدهم».. فسوء الظن هو غيبة القلب، وأخبرنا اللـه تعالى أنه يعفو عن الوساوس والخواطر، فإذا تكلمت بها صارت في ميزان سيئاتك. وأذكر هنا قصة ذلك الشخص الذي أُصيبت ابنته في حادث ونُقلت إلى المستشفى فاتصل بأخيه يطلب منه أن يأتي مسرعًا ويُحضر معه مالًا، فتأخر الأخ كثيرًا فعاود الأب الاتصال به فوجد هاتفه مغلقًا، فأخذته الظنون في أخيه غير أنه لم يتحدث بها، وأخذت زوجته تلوم على هذا الأخ الذي لم يُسرع لنجدة أخيه، ومع ذلك ظلّ الأب صامتًا لا يتحدث وتكاد الظنون في أخيه تقتله ومع ذلك لم يتحدث بها، وإذا به يُفاجأ بقدوم الأخ ومعهُ ألفا جنيه، فسأله: أين كنت؟ ولِمَ تأخرت؟ حاولنا الاتصال بك وهاتفك لا يزال مغلقًا. فأجاب الأخ: «لقد بعت هاتفي لأني لم يكن معي أية نقود أُحضرها لك». فانظر كيف حمى الصمت هذا الأب من أن يخوض في أخيه أمام زوجته والآخرين، وهذا يشير إلى أهمية الصبر في معالجة الظنون، وأن الوقت كفيل أن يبين لك مدى صحة هذه الظنون.

2. ترك مجالس الغيبة والنميمة: قال الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ: «من أدمن صحبة الأشرار أساء الظن بالأخيار». فمجالس الغيبة والنميمة يكثر فيها الحديث عن أفعال الناس وتصرفاتهم وبواطنهم، وستؤثر بالتأكيد على قلبك دون أن تشعر، وتُغير قلبك تجاههم، لأنك إذا ما سمعت أن أحدهم قد آذى أخاه أو فعل به كذا وكذا، فإن ذلك لن يمر على سمعك مرور الكرام،

بل لا شك أنه سيترك في قلبك أثرًا سلبيًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36].
فقَرَن اللَّـه تعالى بين هذه الجوارح؛ لأن كلها يؤثر بعضها في بعض، فإذا كنت في مجلس يُغتاب فيه شخص ما فاعلم أن قلبك حتمًا سيفسد تجاهه.

ماذا أراد اللَّـه من الإنسان الجديد؟

اقرأ معي وصية سيدنا عُمر بن الخطاب ﵁ عندما قال:
«لا تَظُنَّنَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملًا».

فاحرص على:

1. **أن تكون - على الأقل - أول عشرة تفسيرات لتصرفات من حولك تفسيرات إيجابية، فكلنا يا صديقي نتمنى أن يقبل اللَّـه أعذارنا يـوم القيامة، فلماذا لا تلتمس العـذر لأخـيك؟!**
فقط.. فكِّر قليلًا قبل الظن في محاولة منك لإيجاد العذر لمن حولك والتفكير في خيرية تصرفهم أو كلماتهم.
2. **ليكن همك إصلاح نفسك فهي أولى وأحق، كما قال أحد الصحابة وأهل العلم: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس». حتى تستثمر عمرك في إصلاح ذاتك دون الانشغال بالبحث في أفعال غيرك، فتأتي يوم القيامة كحال من يقول: كنت فارغ العقل فجعلت من نفسي حاكمًا على النوايا والقلوب.**

فيا رب يا سميع يا عليم، طَهِّر أرواحنا من سوء الظن بخلقك.



الخلاصة:

احترس من سوء الظن الذي هو:

- سوء الظن هو: امتلاء قلب الإنسان بالشكوك في كل همسة أو لمسة أو كلمة تخرج ممن حوله.
- الإنسان السيئ الظن يتصف بـ:
  1. سوء السريرة.
  2. تعميم التجربة السلبية.
- **نتيجة حال سوء الظن بالآخرين:**
  1. كثرة التجسس.
  2. الحكم على نوايا الناس وبواطنهم باستمرار.
- روح الإنسان القديم مليئة بـ:
  1. الهم وفساد الروح.
  2. الحكم على البواطن يُزعج الإنسان ويستخرج منه الكثير من المعاصي.
- ملامح الإنسان الجديد:
  1. لا يتكلم بما يظن.
  2. يترك مجالس الغيبة والنميمة.
  3. تكون أول عشرة تفسيرات لتصرفات من حوله تفسيرات إيجابية.
  4. همه الدائم إصلاح نفسه.
- **راقب نفسك وأين أنت من سوء الظن .. وإذا وجدت فيك من روح الإنسان القديم فابدأ بالخطوات العملية، وعند كل خطوة نجاح في البعد عن سوء الظن كافئ نفسك وقلبك بأحب الأشياء لك لأنك تركت ما يكرهه الله.**

الإحساس باليأس من اللـه

في اللحظة الأولى التي نفخ اللَّـه من روحه في آدم فعطس، فقال له اللَّـه: يرحمك ربك. كانت البداية.. بل هكذا أرادها اللَّـه أن تكون، إنها أول قصة في القرآن ملخصها..

أنعم الرب.. فعصى العبد..

ثم تاب الرب واصطفى العبد الذي عصى.. نـبـيًّا.

لم تكن هذه البدايات عبثية! إنما سطر فيها الإله أهم المعارف التي يجب أن تستقر عنه في أذهان عباده، إن رحمتي تغلب غضبي، قال إدوارد ينج[1]: «**الرب الذي يغفر كل شيء رب ظالم!**». فهذا كلام من لم يعرف واسع المغفرة، فكيف يكون هذا صحيحًا وقد رأينا آباءً غفروا عقوق أبنائهم الذي دام عقودًا؟ **هذه رحمة الأب فكيف برحمة الرب؟!**

ورحمتي وسعت كل شيء «الأعراف»

هكذا صفته، وهذا فعله، وهو يحب ذلك، فلا تستغرب أن يكون شعار أشهر ليلة عند المؤمنين *«اللهم إنك عفو تحب العفو»*. تقف الكلمات عاجزة والعقول حائرة في إدراك عظمة وسعة عفو إله

أرسل رسولًا يخبر أتباعه: «لو لم تُذْنبُوا لذَهَبَ اللَّـه بكُمْ ولَجَاءَ بقَوْمٍ يُذْنبُونَ فَيَسْتَغْفرُونَ اللّهَ فَيَغْفرُ لهم»[2].

---

(1) شاعر إنجليزي عاش بين (1683-1764م)، ومن أشهر أعماله الشعرية Night-Thoughts.

(2) رواه مسلم.

فالعبد منه الشهوة والخطيئة والنقص، والرب منه الصفح والحلم.. وهو يحب ذلك.

كيف تيئس من رب كتب على نفسه الرحمة؟! كيف تهزمك جيوش القنوط من إله يعرض المصالحة في كل يوم؟!

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «ينزلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»[1].

كيف تسمح لإبليس الحزين أن ينقل لدمك من دمائه اليائسة حتى إن الرب غضب وعاقب من قال لأخيه: « والله لا يَغفِرُ اللّـه لك، أو: لا يُدخِلُكَ اللّـه الجَنَّةَ»[2]. واعتبر هذا تدخلًا في خصائص الإله؟!

فلو كانت لك حاجة فلا تيئس من طرق باب صاحبها، فكيف بمن حاجته النجاة من ويلات الدنيا وعذاب الآخرة؟ ومن بيده حاجته بابه دائمًا مفتوح! فقط اذهب إليه، فلا تيئس مهما كان حجم ذنبك فسوف يغرق في بحر رحمة الإله.. فقط عد إليه كلما جنت يداك واطلب منه أن ينصرك على نفسك الشهوانية الشرهة، وأفض بالرحمة على مخلوقاته تجد رحمته أغرقت حياتك، وحارب تلك الوحدة التي تسربت إلى داخل القلب اليائس الحزين من ذنبه الذي

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) سنن أبي داود.

أصابه في مقتل، وأخذ من قلبه كل ما يحتويه من سلام وطمأنينة، وأصبح الذنب كتلة كبيرة غطت على نظر العبد الضعيف عن سعة رحمة الرحمن الرحيم، وظلت تتحرك معه في كل مكان، فنظر للحياة بنظرة اليائس فهو من المطرودين من رحمة اللّـه! بل هو من القانطين كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم: 36]

> قل يا عبادي الذين أسرفوا علي أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم
> «الزمر»

فحينما أخطأ يئس من رحمة الرحيم، وقنط من غفران الكبير! فكأن ذنبه حجبه عن فهم صفات اللّـه العظيم وما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقه، فتلك المعاني هي أبجديات العقيدة عند المسلم.

من هو اللّـه؟

لذا كانت أول خطوة في فهم علاقة العبد بالرب هي التعرف على صفات كل منهما، ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق اللّـه تعالى:

1. ما يجب: أي الصفات التي لا بد أن تكون في ذهنك تجاه اللّـه -سبحانه وتعالى- مثل أنه غفورٌ رحيم.
2. ما يستحيل: أي الصفات التي يستحيل وجودها في اللّـه - سبحانه وتعالى - مثل النسيان؛ لأنه ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: 52]

أو الندم؛ لأن اللَّـه هو الحكيم العليم يستحيل أن يندم على فعل بسبب وجود معلومات استجدت عليه!

لذا حينما جاء شاب يرى نفسه ملحدًا... يحكي لي أنه ألحد بسبب فهمه الخاطئ بأن اللَّـه يغضب بسهولة كالطفل! وأثار فهمه تعجبي، فسألته عن مصدر تلك المعلومة، فأخبرني أنها من قريب له هو من حدثه عن اللَّـه وصفاته، وقال له إنه إذا أذنب ذنبًا فسيعاقبه عليه أشد العِقاب ولن يغفر له! فقلت: كيف ندرك المعاني بعكس حقائقها؟ فالله يغفر ويعفو صباحًا ومساءً، والذنب الوحيد الذي إذا مات عليه الإنسـان ولن يُغفَر له هو (الشرك بالله)، قـال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48] ولكنه - بسبب الشخص الذي حدثه بكلام خاطئ عن اللَّـه تعالى - قال لي: «***بحس إن ربنا قاعد لنا على الواحدة***»! فانظر كيف أصبح كلام الشباب اليوم به جرأة! ولكن هذا إحساسه الداخلي، فأجبته بأن هذا الشيء يستحيل في حق اللَّـه - سبحانه وتعالى - وبدأت معه من أول خطوة «**من هو اللَّـه؟**» ولكن للأسف من علَّمه عن اللَّـه علمه تصورًا خاطئًا.

يأتي **الضلع الآخر** في العلاقة مع اللَّـه وهو الخلل في فهم طبيعة العبد وصفة الرب، فالعبد منه الذنب والتقصير، والرب منه الكمال والعفو والمغفرة، والإمام الشافعي علمنا ذلك حين قال:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ!
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ فبمن يلوذُ ويستجير المجرمُ؟

فالعبد منه التقصير، والله - سبحانه وتعالى - يعلم ذلك ويقبله حين يرجع إليه.

هل أنت يائس من اللـه؟

إذا أردت أن تعلم هل أنت يائس من الله أم لا، فراقب نفسك في إحدى هذه العلامات:

- العلامة الأولى: **العبادة اليائسة**: مثل الكسل وغياب الخشوع عن العمل، والاعتقاد بأن اللـه - سبحانه وتعالى - لن يقبل منك عبادتك، وأنه أعرض عنك ولم يعُد ينظُر إليك ولا يُريدك.

ولذلك قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة في الحديث القدسي: **«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي. يَا بْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي. يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»** [1].

(١) رواه الترمذي.

وكأن اللّـه - سبحانه وتعالى - يقول للبعيد إنه مشتاقٌ إليه، وهذا حاله مع المُدْبرين، فكيف حاله مع المُقبلين؟! فما أقربك يا ألله منا وما أبعدنا عنك!

- **العلامة الثانية: أن تعتقد أن اللّـه ينتقم منك في كل محنة تصادفك:** وكأن كلَّ لحظة صعبة في حياتك هي جزء من سيناريو الانتقام الذي تعيش فيه؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود: 9]، فليس معنى أن اللّـه - سبحانه وتعالى - أزال منك بعض النعم التي ستعود إليك مرة أخرى سواء في الدنيا أو في الآخرة أن تيئس من رحمة اللّـه، فسبحانه وتعالى هو الذي يُربيك وفي الوقت المناسب يُعطيك وفي وقتٍ آخر يمنعك، فانتبه لهذه المسألة ولا تعتقد أن أي شيء يُصيبك هو انتقام من اللّـه.

متى يعد اليأس من الله عبئًا عليك؟

وذلك عندما:

1 **يُغيِّب عنك الجمال الرباني:** فلا تشعر بوجود ورضا اللّـه - سبحانه وتعالى - في حياتك، ففي كل فعل رباني يظهر جمال اللّـه،

ويقول عنه النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجَمالَ»[1].

---

(1) رواه مسلم.

وفي كل بلاء تظهر معية اللَّـه، تجده بجانبك يرعاك فتستشعر جماله جلَّ في علاه، وترى أنه سخر لك الخلق للوقوف بجانبك فترى جماله مرة أخرى، فهو الذي أرسلهم لك ليساعدوك؛ أما الإنسان اليائس من رحمة اللَّـه فيرى النعمة وكأن اللَّـه عجلها له في الدنيا؛ ليأكل ويلعب ويظُن أنه في الآخرة مأواه جهنم، ويرى أن البلاء هو انتقام من اللَّـه فيغيب عنه اللطف في البلاء، ويغيب عنه أُنس اللَّـه ومعيته، فيعيش وكأنه يتنفس من ثقب إبرة؛ لأنه لا يشعر بوجود اللَّـه بجانبه.

2 **تنغمس في المعاصي:** أي يُذنب الرجل ذنبًا ثم يقول: لن يُغفَر لي! فييئس من رحمة اللَّـه - سبحانه وتعالى - وينهمك في المعاصي أكثر وأكثر. قال أحد الصالحين وهو أبو قلابة: «الرجل يُذنب الذنب فيقول: لن يغفر اللَّـه لي. فييئس من رحمة ربه فينهمك في المعاصي» فنهاهم ربّ العالمين عن ذلك فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: 87] فكونك مُوحدًا لله - سبحانه وتعالى - فإن هذا يُشعرك بإقبال اللَّـه عليك، وما دُمت تقول يا رب ليس لي غيرك، فمهما كان حالك فاعلم أنه مُقبل عليك.

ولهذا أخبرنا -سبحانه وتعالى- على لسان رسوله الكريم - عليه الصلاة والسلام: « وَالَّذِي نَفْسِي بيده لو لم تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّـه بِكُمْ ولَجَاءَ بقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لهم»[1].

(1) رواه مسلم.

كيف يُريدك اللّه أيها الإنسان الجديد؟

يريدك اللّـه متخلصًا من حال اليأس من رحمته، وتكون «راجيًا»: تخيل أنه اسمك الذي أضيف لك للتو؛ فلان الراجي، أي من يرجو اللّـه، فهو الأمل الوحيد الذي يسكن القلب، وهو القادر على كل شيء - سبحانه وتعالى.

ففي حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : «أن عبدًا أذنب ذنبًا فقال : رب أذنبت ذنبًا فاغفر لي. قال اللّـه تعالى: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء اللّـه، ثم أذنب ذنبًا آخر، فذكر مثل الأول مرتين أخريين»[1].

فقلبه قد امتلأ بالأمل والرجاء في اللّـه -سبحانه وتعالى- وهذا الذي يريده اللّـه منك، فلم يسأله النبي ﷺ عن ذنبه؛ لأنه مهما كان حجم الذنب فرحمة اللّـه أوسع، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222] فالله - سبحانه وتعالى - يُحب التوابين، والتوابون هم من يفعلون الذنوب ثم يَتُوبونَ إلى اللّـه - سبحانه وتعالى - ويُحب المتطهرين من هذه الأدناس والذنوب، وتعلمنا من المشايخ والعلماء شيئًا

(1) متفق عليه.

في منتهى الرقي وهو حال «**الخوف عند الطاعة والرجاء عند المعصية**»، ومعناه عندما أفعل طاعة أخاف ألا تُقبل، وعندما أفعل معصية أرجو اللّـه أن يسامحني.

فمن أين أتى مشايخنا بهذا الكلام؟ من قول اللّـه - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: 60]

عن عَائشَةَ قالت: قلت: يا رسُولَ اللّهِ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أهُوَ الرّجُلُ يزني وَيَسْرقُ ويَشْرَبُ الْخمْرَ؟ قال: «لَا يا بنت أبي بكْرٍ. أو: لَا يا بنت الصّدِّيقِ، وَلَكنّهُ الرّجُلُ يصُومُ ويصلي ويَتَصَدّقُ وهو يخَافُ أَلّا يُقْبلَ منه»[1].

فهذا الشخص يعمل العمل ويطلب من اللّـه أن يقبله منه على تقصيره ﴿ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ فهذا تفسير الخوف عند الطاعة، أما تفسير الرجاء عند المعصية فهو من قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53] فلا تقنط من رحمة اللّـه إذا كنت بعيدًا عنه - سبحانه وتعالى - وكن من هذه اللحظة إنسانًا جديدًا راجيًا.

كيف تُصبح الإنسان الجديد غير اليائس من اللّـه؟

حتى تصبح إنسانًا جديدًا غير يائس من الله عليك:

(1) مسند أحمد بن حنبل.

- أولًا: أن تعرف قانون الدخول على اللّـه، والقانون به وليس بك:

فالله لا يعاملك بصفاتك ولا بعملك، وإنما بصفاته جلّ وعلا..

فمن يعرف اللّـه ويرى كرمه - سبحانه وتعالى - هو من يعرف اللّـه حقًّا! فالقانون الحقيقي هو أن الدخول على اللّـه به وليس بنا، والله - سبحانه وتعالى - قال ذلك، قد تعتقد أن هذا الأمر يُشجع البعض على المعصية، ولكنه - سبحانه وتعالى - أخبرنا بأن عفوه عن أصحاب القلوب المليئة بالخير المدركة لمعنى عفو الرحمن لا يشجع على الاجتراء عليه أبدًا.

قال تعالى في حديث قدسي: «يا بن آدمَ، إنّكَ لو أتَيْتَنِي بقُرابِ الأرض خطَايَا ثمَّ لقِيتَنِي لا تشْرِكُ بي شيئًا لأتَيْتُكَ بقُرابِهَا مغْفِرَةً»[1].

أي إذا جئت بوزن الأرض إلى السماء خطايا وعُدت إلى اللّـه وأنت مُوحد له، فسبحانه وتعالى سيقابلك بوزنها مغفرةً، **وهذا لا يعد سببًا لتجرؤ الناس على اللّـه - سبحانه وتعالى** - بل هو قول الصدق والحق الذي أخبرنا به النبي ﷺ **وقال هذا الكلام كما في** سنن الترمذي، فالله - سبحانه وتعالى - **يُريدك أن تعرف عنه ذلك.**

(1) سنن الترمذي.

«لا يَعْظُم الذَّنْب عِنْدَكَ عَظَمَةً تَصُدُّكَ عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ عرَفَ رَبَّهُ اسْتَصْغَرَ في جَنْبِ كَرَمِهِ ذَنْبَهُ».

«ابن عطاء اللّـه السكندري»[1]

- **ثانيًا: ألا تمل من التوبة:** فكلما أحدثت ذنبًا أحدِث بعده توبة أو حسنة.

قال رسول اللّـه ﷺ في حديث من أهم الأحاديث في الشريعة كما قال الإمام النووي: «اتّقِ اللّهَ حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنةَ تمحُها، وخالق الناس بخُلقٍ حسن»[2].

من طبيعة العبد العصيان، ومن طبيعة الرب الغفران، **فلا تمل من فعل حسنة تمحو بها ذنبًا مضى.**

كما قال النبي ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحُها وخالق الناس بخلقٍ حسن».

وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء: 25] وفسر سعيد بن المسيب التابعي - وهو أحد كِبار علماء التابعين - معنى الأوابين فقال: **إن الأواب هو الذي يُذنب ثم يعود ثم يُذنب ثم**

(1) ابن عطاء اللّـه السكندري: فقيه مالكي، ولد في مصر بمحافظة الإسكندرية، وتوفي في القاهرة، وعاش بين (658م - 709م).

(2) سنن الترمذي.

يعود، والله دائمًا يغفر ويسامح - سبحانه وتعالى، جل في علاه - والقلوب الطيبة لا تستغل هذا لارتكاب الذنوب.

حدثنا إسحاقُ بنُ عبدِ اللَّـهِ بنِ أبي طلحةَ، حدثنا أَنَسُ ابنُ مالِكٍ -وهو عمُّهُ- قال: قال رسول اللّهِ ﷺ: «اللَّهُ أشَدُّ فرَحًا بتوْبَةِ عبْدِهِ حين يتُوبُ إليه من أحَدِكُمْ كان على راحِلَتِهِ بأرْضِ فلَاةٍ، فانْفَلَتَتْ منه وعَلَيْهَا طعَامُهُ وشَرَابُهُ، فأَيِسَ منها، فَأَتَى شَجَرَةً فاضْطَجَعَ في ظِلِّها قد أَيِسَ من راحِلَتِهِ، فبَيْنَا هو كذَلِكَ إذا هو بها قائِمَةً عِنْدَهُ، فأَخَذَ بِخطامِهَا ثُمَّ قال من شِدَّةِ الْفرَحِ: اللهم أنت عبْدِي وأنا ربُّكَ. أخْطَأَ من شِدَّةِ الْفرَحِ»[1].

أي أن اللَّـه تعالى يفرح بتوبة العبد أكثر من الذي ضلّ وتاه جمله في الصحراء فتيقن بالهلاك، وحفر لنفسه حفرة كالقبر ينتظر الموت، وفجأة عاد الجمل إليه، ومن الذي حُرِمَ من الإنجاب طوال عمره ثم رَزَقه اللَّـه بمولودٍ؛ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف 46]، ومن الذي كان سيموت من العطش في شدة الحرّ ثمّ وجد البئر.

فما هي إجابتك إذا سألك اللَّـه - سبحانه وتعالى - يوم القيامة عن عدم توبتك، وقد أخبرك على لسان نبيه وحبيبه بأنه يفرح بتوبتك

---

(1) رواه مسلم.

أكثر من فرحة رجُل كان على وشك الموت وعاد إلى الحياة مرة أخرى؟!

الخلاصة:

إذا أصابك اليأس من رحمة الله فتذكر أنه:

- **لكي تتعرف إلى اللَّـه يجب عليك أن تعرف:**
  1. ما يجب.
  2. ما يستحيل.
- **علامات اليائس من اللَّـه:**
  1. العبادة اليائسة.
  2. أن تعتقد أن اللَّـه ينتقم منك في كل محنة تصادفك.
- **لماذا يُعَدُّ اليأسُ عبثًا؟**
  1. يُغيب عنك الجمال الرباني.
  2. يجعلك تنغمس في المعاصي.
- **كيف تُصبح الإنسان الجديد غير اليائس من اللَّـه؟**
  1. تعرف قانون الدخول على اللَّـه، والقانون به وليس بك.
  2. ألا تمل من التوبة.

اشتهاء ما في أيدي الآخرين

قال سيدنا عُمربن الخطاب: «ما أعدل الحسد.. بدأ بصاحبه فقتله!»[1]

وقد كان التاريخ خيرَ شاهد على وقوع أغلب من حسد في أعظم الخطايا، وكانت نظرته لما في أيدي الناس سر حسرته على الذي بين يديه وأغلق باختياره أبوابَ السعادة المتاحة أمام نفسه. فإبليس الجن الصالح، كان زين العابدين، عاش وسط الملائكة، لكن أصبح مصيره الطردَ من رحمة اللّـه؛ لأنه حسد أبانا آدم ﷺ، وقابيل حرم نفسه من قصة حب جميلة مع المرأة الصالحة؛ لأن عينيه كانتا على جمال نصيب أخيه، وانتهت حياته قاتلًا قاطعًا للرحم!

فالطموح هو سر نجاح الإنسان، وهو الدافع الذي يحركه لتحقيق حلمه، وأيضًا هو سر الفشل، فهو كالحصان الجامح إن لم يتلجم بزمام الرضا بالمكتوب!

فعلى سبيل المثال:

الضبع حيوان منبوذ في الغابة؛ لأنه غير راضٍ بصيده، وينظر دائمًا لما في أيدي الحيوانات الأخرى، لذا فحياته كلها صراعاتٌ تنتهي بجرحه غالبًا، لذلك كان التوجيه الرباني: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ

(1) رواه مسلم.

﴿وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 131] لكل شخص عيناه دائمًا ممتدة لمن حوله فيصبح غير قادر على رؤية ما في يده.

وكأن اللّـه يقول لك: ارض بقسمتي تحلُ في عينيك نعمتي؛ لذا استيقظ كل صباح وأنت ترى أنك مثل الملك، عنده ما يكفيه، وما عند غيره لا يعنيه، فضع عن كاهلك اشتهاءَ ما في يد غيرك، فالاشتهاء من الشهوة، وقد تؤدي بك إلى:

- الشعور بالألم مع كل شيء ترغبه ولا تستطيع اقتناءه.
- ألم وحسد مع كل نظرة منك لما في أيدي مَن حولَك.
- شعور بالنقص مع كل كلمة تنطقها على ما عندَ مَن حولك.
- ضيق الصدر مع كل نبضة قلب مضطربة لما تراه عند من حولك.

وفي النهاية تعزف سيمفونية شخص متألم مضطرب النفس، حسود حقود متمنٍّ زوال النعم عمن حوله، كي يزول الألم من داخله، فالطموح للأفضل هو مطلب سامٍ لا بد أن يحيا المسلم به، ولكن تلك الانحرافة من طريق الطموحً إلى طريق الاشتهاء بلا عمل.. هنا يبدأ حدوث الأزمة والمعركة بداخلك!

لماذا تشتهي ما ليس لك؟

وذلك بسبب:

الطموح العالي	الاجتهاد والسعي بدأب

أولاً: الطموح العالي: وهو كما أسلفنا أمرٌ غريزيٌّ في الإنسان يدفعه إلى الاجتهاد والسعي في الأرض وتطوير الذات.

يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وقَلْبُهُ شَابٌّ في حُبِّ اثْنَتَيْنِ: حُبِّ المَالِ وحُبِّ البَقَاءِ. وهو ما ذكَره الرسولُ ﷺ حينَ قالَ: «الشَّيْخُ يَكْبَرُ، وَيَضْعُفُ جِسْمُهُ، وَقَلْبُهُ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَيْنِ: طُولِ الْعُمُرِ، وَالْمَالِ»[1].

وقال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر: 20] أي حبًّا عظيمًا، وهذا الطموح في حد ذاته نعمة عظيمة، ولكن عليك أن تراقبه جيدًا؛ حتى لا يتحول إلى شيءٍ مؤذٍ.

ثانيًا: الاجتهاد والسعي بدأب: دون أي نية لإيذاء الآخرين، ولكنك لا تحصل في النهاية على ما تريده وتجده في أيدي غيرك ممن لم يستحقوه من غير المجتهدين، وقد وقع مثال في زمن الصحابة، في غزوة حنين بعد 20 عامًا من دعوته ﷺ واجتهاد المهاجرين والأنصارِ في نصرة النبي ﷺ؛ كانت هذه الغزوةُ كثيرةَ الغنائم، فأعطى ﷺ أغلبها لمن كانوا حدثاءَ عهدٍ بالإسلام، ممن لم يُحدِثوا نفس الأثر الذي أحدثه إخوانهم من المهاجرين والأنصار في سبيل نُصرة الإسلام، فوجد بعض الصحابة القدامى في نفوسهم شيئًا من تلك القسمة.

(1) مسند أحمد.

غير أن رسول اللّـه أدركهم قبل أن يتراكم عليهم هذا الحـالُ قائلًا لهـم: «**أَوَجَدتُم في أَنْفُسِكُمْ شَيئًا في لُعَاعَةٍ** - شيء لا قيمة له - **أَلَّفْتُ بِها قُلوبَ قَوْمٍ حَدِيثِي الإِسْلامِ وَوَكَلْتُكُمْ لإِيمَانِكُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالشَّاةِ والبَعِيرِ وتَرْجِعُونَ أَنْتُمْ بِرسُولِ اللهِ في رِحالِكُمْ؟**». فبكى الصحابة رضوان اللّـه عليهم وقالوا: «**رَضِينا بِرَسُولِ اللهِ قَسَمًا وعَدْلًا**»[1].

وكأنهم تنبهوا من غفلتهم وتخلصوا من هذه الفكرة السلبية قبل أن تُسيطر عليهم، ومن هنا يمكن لك أن تُدرك الفارق بين الطموح واشتهاء ما في أيدي الآخرين.

الفرْق بين الطموح والاشتهاء.

«فالطموح» تَطَلُّع مع رضا، أما «الاشتهاء» فهو تَطَلُّع مع حزن وسخط، وليس الهدف أبدًا أن تُسْكِت طموحَك، ولكن الهدف أن يكون طموحك مصحوبًا برضا بالمقسوم.

هل أنت مُشتهٍ لما لدى الآخرين؟

إذا بدأتِ الفكرةُ تخرج من أسوار عقلك إلى أعمال جوارحك وحواسِّك فعندها انتبه لنفسك، فإذا بدأتَ في:

(1) رواه البخاري.

1- السؤال كثيرًا بغرض المقارنة: كأن تسأل مثلًا عن راتب غيرك أو يتعدى الأمرُ ذلك فتسأل حتى عن المشاعر في البيوت والعلاقات بغرض المقارنة والتحسُّر، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: 101].

2- الشعور بغُصَّة عند رؤية ممتلكات الآخرين: وذلك لإحساسك بالفشل في تحقيق ما تمنيتَه لنفسك، كما لو أن هناك شرخًا في الرضا باختيارات اللّـه - سبحانه وتعالى - ولكن تذكرْ ما فعله المشركون عندما علموا بنزول الرسالة على نبينا محمدٍ ﷺ، فسخطوا واشتهوا حبَّ الناس للنبي وسلطتَه على القلوب - عليه الصلاة والسلام - قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف 31، 32].

كيف يُثقلك هذا الاشتهاء لما لدى الغير؟

عندما تبدأ في دخول «سجن السعادة المشروطة»، بمعنى أن تشترط على نفسك إن لم تأخذ شيئًا بعينه فلن تكون سعيدًا أبدًا، ولا ترى فيما تقتنيه اكتفاءً فتكون دائمًا غير راضٍ بما قسمه اللهُ تعالى لك، وهذا هو السببُ في قتل قابيلَ لأخيه هابيلَ، فكان في شريعة أبينا آدمَ عليه السلام أنه إذا حملت أُمنا حواء يكون في البطن الواحد ذكر وأنثى لا يحِلان لبعضهما، وإذا حملت مرةً أخرى أنجبت ذكرًا وأنثى أيضًا، فيتزوج ذكر البطن الأولى أنثى البطن

الثانية والعكس، وكانت زوجةُ هابيل منَ البطن الأولى أجملَ، فاشتهاها قابيل، فطلب من أخيه أن يتزوجها هو، فقررا أن يُقدم كل منهما قربانًا لله - عزَّ وجلَّ - وكان في شريعتهم أن القربان الذي يُقبل تنزل عليه نارٌ من السماء فتأكله، فإذا بقابيلَ القاتل يُحضر أسوأ زرعةٍ ليقدمها كقربان، أما هابيل العبد الصالح فاختار أسمن غنمة ليقدمها لله - تعالى - فنزلت النار من السماء فالتهمت قربان هابيل دليلًا على تقبل اللّـه له، قال تعالى:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

[المائدة: 27]

فالله يُحبك أن تكونَ طَموحًا كأنك لا تمتلك شيئًا، وراضيًا كأنك تمتلك كل شيء.

احلم بالنجاح، ولكن في حدود إمكانياتك المتاحة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]، وفي آية أخرى: ﴿..وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: 73]، ولْتعلمْ أن كل إنسانٍ منا مشروع مستقل عند اللّـه تعالى، فلكل منا ما يُصلحه ولو كان لغيره لأفسدَه، فهذا يُصلحه المالُ وآخرُ يفسده المال، وذاك يُصلحه الجاهُ وغيره يفسده الجاهُ، فسبحانه وتعالى عليمٌ بما يفعل، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]، وحتى تكون إنسانًا

راضيًا لا بد أن تعيَ جيدًا أن اللّـه - عزَّ وجلَّ - هو مُقسم الأرزاق، قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: 20]، ولتُدرك جيدًا أن اللّـه يتدخل في اختياراتِك في الدنيا، فكما أن الطبيب يتدخلُ ليُعطيك هذا ويمنعك آخر، فاقبل من اللّـه ما تقبله من الطبيبِ، وقال الصالحون:

«من رضيَ بقضاء اللّـه لم يُسْخِطْه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخُلْه حسد».

وتحدث اللّـه في تسعين موضعًا في القرآن عن حكمته في تقسيم الأرزاق، وفي موضع واحد فقط ذكر أن الوعد بالفقر من الشيطان، فقال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾ [البقرة: 268].

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا راضيًا بما قسمه اللّه لك؟

أولًا: كُفَّ عن المقارنة: وغُضَّ بصرك فلا تنظُر إلى ما في يد غيرك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: 131]، فاختيار اللّـه هو الأنسب والأنفع والأبقى لك في عَلاقتك معه - سبحانه وتعالى - وأطلقِ البصيرة، أي عندما ترى ما تشتهيه عند غيرِك، تذكر أنك أيضًا تمتلك ما يشتهيه غيرُك، فاقطع هذه المقارناتِ، **والبصيرةُ هي «عين القلب»**.

«يَا بنَ آدمَ لِمَ تَحْسُدُ أَخاكَ؟ فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ لِكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، فَلِمَ تَحْسُدُ مَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى؟ وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَحْسُدَ مَنْ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ؟!»

«الحسن البصري» [1]

كوب القهوة

وأذكرُ أنَّ أحد أساتذة الجامعة قام بتجربة طريفةٍ، فأتى بقهوة طيبة المذاق، ووضعها في أكوابٍ قديمة، وفي الوقت نفسه أتى بقهوة سيئة الطعم ووضعها في أكوابٍ جذابة، ثم دخل بها إلى الفصل وسأل طلابه أن يتقدموا لشرب القهوة، فبادر أغلب الطلاب إلى أخذ الأكواب الجذابة - مع أن الغرض هو القهوةُ وليس الكوبَ - فوجدوها سيئةَ المذاق، بينما استمتع من أخذوا الأكواب القديمة بالقهوة طيبة الطعم، فقال لهم الأستاذ: إن هذا هو حال الدنيا وهذه هي السعادة..

فإذا كانت السعادة هي الغاية، فقد تكون في قالب سيئ، فاحرص دائمًا أن تُفكر بقلبك لا بعينك، أما إذا استمررت في المقارنة بينك وبين غيرك فلن ترضى أبدًا!

---

(1) الحسن بن يسار البصري: إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة، يكنى بأبي سعيد، ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة عام واحد وعشرين من الهجرة، الموافق 642 م، وتوفي في 728 م بالبصرة في العراق.

وفي هذا قال الكاتب عباس محمود العقاد[1]- رحمه اللّه:-

صغيرٌ يطلب الكِبَرَا .. وشيخٌ وَدَّ لوْ صَغُرَا

وخالٍ يشتهي عملًا .. وذو عملٍ به ضَجِرَا

ورَبُّ المالِ في تعبٍ .. وفي تعبٍ من افتقرَا

فهل حاروا مع الأقدار .. أم هم حيّروا القدرَا؟

ثانيًا: حاولْ أن تدعو للشخص الذي تنظُر إليه وتشتهي ما عنده، فتحدث لك حالة من السكينة والسلام النفسي، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: 10].

حال الإنسان الجديد

يعيش هذا الإنسانُ في سلام داخلي وطمأنينة دائمة، وهي

كما قال عنها ﷺ: «إنَّ أبْدَالَ أُمَّتي لا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بِالأعْمالِ، إنَّما يَدْخُلونَها بِرَحْمَةِ اللهِ وسَخَاوَةِ النَّفْسِ وسَلامَةِ الصُّدُورِ»[2].

(1) عباس محمود العقاد: أديب ومفكر وصحفي وشاعر مصري، وعضو سابق في مجلس النواب المصري؛ من أشهر أعماله العبقريات: عبقرية محمد، عبقرية عمر... ولد في أسوان 1889وتوفي بالقاهرة 1964.

(2) شعب الإيمان للبيهقي.

فالأبدال هم أولياء اللّـه الصالحون، الذين يحبون لغيرهم من الخير ما تشتهيه أنفسهم.. أبو دجانة الأنصاري الصحابي الكبير عندما حضرته الوفاة سُئل عن أرجى عمل يرجو به اللّـه - عزَّ وجلَّ - فقال: «أرجى عمل عندي أنني كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكنت سليمَ الصدر مع جميع المسلمين».

فنسألك يا رب أن تُبدل هذا الاشتهاءَ في قلوبنا بطموحٍ، حتى إذا رأينا ما في أيدي غيرنا اشتهينا ما قسمته أنت لنا من الخيرات، ثم نرضى بعد ذلك بالمقسوم؛ حتى نعيش معك يا كريم بنفسٍ ساكنة ومطمئنة..

الخلاصة:

حتى لا تشتهي ما في يد غيرك:

تذكر أن:

- **الاشتهاء: هو تَطَلُّع مع حزن وسخط لما في أيدي الآخرين.**
- **لماذا قد تشتهي ما ليس لك؟**

1. الطموح العالي.
2. الاجتهاد والسعي بدأبٍ.

- **هل أنت مُشتهٍ لما لدى الآخرين؟**

1. السؤال كثيرًا بغرض المقارنة.
2. الشعورُ بغُصَّة عند رؤية ممتلكات الآخرين.

- **كيف يُثقلك هذا الاشتهاء؟**

- يجعلك تدخل سجن السعادة المشروطة.

- **كيف تُصبح إنسانًا جديدًا راضيًا بما قسمه اللّـه لك؟**

1. كُفَّ عن المقارنة.
2. حاول أن تدعو للشخص الذي تنظُر إليه.

- **قبل أن تنام كل يوم .. ادع لمن قابلتهم (في يومك) بالخير وزيادة الرزق .. حتى تصفي قلبك من أي خواطر يتخللها الحقد والحسد.**

التسويف

إن إحدى ضلالياتِ العقل المؤذية لبني البشر هي القدرة الفائقة على اختلاق الأعذار، فهناك مجموعةٌ هائلة من التبريرات ينشئها العقل؛ للهروب من الملامة الخارجية ممن حوله، أو الملامة الداخلية من تأنيب الضمير على تأخيره وتسويفه لواجباتٍ عظيمة تنادي عليه في كل يوم.

الفارق بين الأمنية الساكنة والنجاحات الساحقة هو البدء في العمل.

وكم من جسدٍ تعالت فيه زفراتُ الندم في لحظات فراق الروح! ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: 99، 100]، ولكن بعد فوات الأوانِ.

يحكي التاريخ بألم، كم من إنسانٍ كان طريقُ العظمة ممهدًا أمامه، لكنه أنهى حياته في حانات الخمور وسهرات المخدرات بسبب تأجيله اللجوءَ لمن ينقذه في أولِ طريق الإدمان لهذه السموم القاتلة، فكأن لسان حاله يقول: **لم يحنِ الوقتُ بعد!** فانهارت الموهبةُ وضاع الإلهامُ أمام الأوهام الزائفةِ والثقة الكاذبة في القدرة على التعافي وقتما يريد ولو طَال الزمان، **والسعيد من استفاق من وعوده المؤجلة، واستعان بربِّه على نفسه الثقيلة، وأدرك**

ما قاله جعفر الصادق[1]:

«علمت أن عملي لا يعمله غيري فاجتهدتُ، وعلمتُ أن اللَّـه - عزَّ وجلَّ - مطلعٌ عليَّ فاستحييتُ، وعلمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأننت، وعلمت أن آخر أمري الموتُ فاستعددتُ».

إن العرب يعرِّفون الرجل الحازم بأنه الذي لا يؤجل عمل اليوم إلى الغد، فهذا منتهى الشعور بالمسئولية، فنحن في حاجةٍ لنفس تتمرد على افتعال العقبات، وَتثور على التسويف؛ للبدء في حياة مليئة بالمبادرات؛ لتحقيق الآمال ولو كانت بسيطة، فربنا - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: 17]، فالبداية على العبد والإعانةُ على الرب الكريم.

فالتسويف وصفٌ يقال عنه إنه **«صديق الشيطان»**، فالشيطان يحب طول الأمل والتمني والغفلة عن الوقت والعمر، لذا يرسل جنودَه لتفسدَ الهمةَ والعملَ؛ **لذا قال سيدنا أنس بن مالك**[2]:

---

(1) أبو عبداللـه جعفر بن محمد الصادق، إمام من أئمة المسلمين وعالم جليل وعابد فاضل من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب، له مكانة جليلة عظيمة لدى جميع المسلمين، وُلد في 702م بالمدينة المنورة - السعودية حاليًا - وتوفي في 765م بالمدينة المنورة.

(2) إنه الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، لازم رسول اللَّـه ملازمة شديدة، وخدمه عشر سنين، وشهد معه ثماني غزوات، وصلى معه إلى القبلتين، واشتهر بالعلم والفقه والتبحر في علوم الدين، وروى كثيرًا من أحاديث الرسول ﷺ.

«التّسويف جندٌ من جنود إبليس»، يجعل صاحبه يؤجل كل البدايات، ولا يلتفت إلى درجة إلحاحها، مع توافر القدرة على إنجازها، ولكن التأجيل هو الأيسر دون أي مبرر.

وهذا يذكرنا بقول النبي ﷺ الذي ذكره في حديثٍ عن عبد اللّهِ ابن عُمرَ ﷺ قال: أَخذَ رسول اللّهِ بمَنْكِبِي، فقال: «كنْ في الدُّنْيا كأَنّكَ غَريبٌ أو عَابرُ سَبيلٍ».

وكان ابن عُمرَ يقول: «إذا أَمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصّبَاحَ، وإذا أَصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ الْمسَاءَ، وخُذْمن صِحَّتِكَ لِمرَضِكَ، ومِنْ حيَاتِكَ لِمَوتِكَ»[1].

لماذا نسوِّف؟

الاغترار والانخداع بصبر اللّـه علينا	ثِقـل وصعـوبة بعـض المهام

1 الاغترار والانخداع بصبر اللَّـه علينا: أي اعتيادُ مفهوم ترك المهامّ والارتكاز على فكرة أن اللّـه - سبحانه وتعالى - لن يتركنا أبدًا، فمثلًا عندما تترك صلاتَك وتقول: «اللّـه يتركني ولا يفعل بي شيئًا». فهذا صوتٌ خفيٌّ لهذا الحال، على الرغم من أنك عند أول أزمة تعصف بحياتك تلجأ وتهرع وتفر إلى اللّـه،

(1) رواه البخاري.

وهذا ما وصفه - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر: 8]، أي لأن الضرَّ هو ما يحفزك للعمل مع أنك كنت تستطيع أن تعمل نفس العمل في الرخاء، لذا كما لم تنسه في الضر فلا تنسه في الشكر، قال اللـه - عزَّ وجلَّ - في كتابهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6]، وقال تعالى أيضًا: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: 3]، فهم يأكلون من خيرِ اللـه، غير ملتفتين لمناجاة اللـه وشكره على ما رزقهم إياه أو الانتباه لعلاقتهم بالله.

2. ثِقل وصعوبة بعض المهام: وهو *التسويف الجزئي* بسبب إحساس الإنسان بثقل المهمة عليه، فهناك مهام ثقيلة عند بعضنا، فمثلًا: تكره أن تذهب إلى هذا المكان، ولا تريد أن تُنهي هذه المصلحةَ على الرغم من أنها قد تؤثر جدًّا على عملك أو دراستك أو مستقبلك، لكنَّ المكان مزدحم فتؤجل. وهذا يُسمى تسويفًا جزئيًا، وبعضنا يذهب للطبيب عندما تتدمر أسنانه وتؤلمه، ونحن نعلم أن الصحةَ فريضة يجب المحافظة عليها «إن لنفسك عليك حقًّا»، لكن زيارتك للطبيب ثقيلة عليك، وهناك من يعلم جيدًا أن صحته تتدمر بسبب السجائر، لكنه يؤجل ويُسَوِّف تركها؛ لأنه يعتبر أن هذه المهمةَ ثقيلة عليه.

وفي بعض الأحيان تؤجل الاعتذار، *فهذا يُسمى (تسويفًا اجتماعيًا)*؛ لأنك تكره المواجهة حتى لا يُعاتبك الشخص الآخرُ، فتظل تؤجل حتى يموتَ الشخصُ الآخر، ويصعُب الأمر إذا كان الشخص المتوفى هو أباك أو أمك، فسوف تندم طوالَ حياتك.

هل أنت مسوِّف؟

هناك علامة واحدة فقط، وهي «انتفاء مبرر التأخير»، بمعنى وجود مهام مُلحةٍ من الممكن أن تصل إلى حد الفريضة، ويجب عليك فعلُها، ولكنك تؤجلها دون مبرر، لذلك **فقد توافرت القدرة ولم تتوافر الرغبة**، وبسبب هذا العامل هناك علاقاتٌ كثيرة مشروخة بسبب التسويف (**سوف أعتذر، سوف أجبرُ الخاطرَ**)، فهناك الكثير من الناس ينامون بكاءً وحزنًا بسبب مظالمَ مؤجلةٍ، إنسان مُسوِّف عن رد هذه المظالم، وهناك ديون وحقوق يجبُ أن تردَّ، ولكنك قد تُسوِّف إرجاعها لأصحابها، ولعل أهمَّ تلك الحقوق حقُّ اللَّـه - تعالى - عليك، فما هو مبررُ أن يكون إنسانٌ عمره 20 أو 30 أو 50 عامًا، ولم يقرر أن يعودَ إلى اللَّـه، ولم يغلب خيرُه مع اللَّـه شرَّه، ولم يغلب شكرُه جحودَه؟ فما هو المبرر إذن؟! مع أن الضررَ مستمرٌّ والأيام تمر والقلب يقسو، وهنا قال تعالى: **﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾** [البقرة: 210]، **هل تنتظر حتى ترى اللهَ أمامك؟! أم حتى ترى ملَك الموت وهو يقبض روحك؟ لكي تقول: يا ألله، هل لي من عودة؟!**

عواقب التسويف:

1 شعور الإنسان بالنقص والإحباط الشديد والانهزام، وعدم وجود إنجاز في حياته، ووجود تقصير في كثير من الأشياء بسبب التأجيل، فقد أكد علماء النفس أن الإنسان المُسوِّف يعيش بعقلية اسمها **«العقلية المُنهزمة»، أي أن لديه فجوة بين المعلوم والمعمول، فهو يعلم أن هناك الكثيرَ من الأمور تنقصه، وهذا العلم يجعله يشعر بأنه منهزمٌ ومحبَط، وعندها يأتي التأجيل.** نجد زوجةً تلوم زوجها لأنه مُقصرٌ في حق أولاده، والزوج أيضًا يلوم زوجته، والشابُّ المكسور يلوم نفسه بسبب نجاح أصدقائه وفشله، فهذه عقلية منهزمة بسبب التأجيل.

قال نبينا محمد ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ»[1].

2 هجوم الحسرة، والهم الكبير الذي يعيش داخلَ الشخص بعد أن يُفاجأ بوجود حقوق لم يؤدها وسيُسأل عنها، ويُفاجأ أن هناك أركانًا من حياته انهارت؛ لأنه أجَّل إصلاحَها، فالله - عزَّ وجلَّ - يقول: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39]، فظلَّ يؤجل حتى جاء يوم القيامة

(١) رواه البخاري.

وجاءت لحظة مقابلة اللّـه - سبحانه وتعالى - قال اللّـه تعالى لنا: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: 10]، أي تكون جالسًا وتشعر بأن هناك شيئًا يخرج منك، نعم...إنها روحُك تخرج.... أنت تموت.

- نعم، فأنت إنسان ولدت وعشتَ وتموتُ كما قال اللّـه تعالى.

- لكني لم أستطع أن أفعلَ شيئًا!

- اللهُ أخبرك بأن تكون ممن يسارعون ولا يُسوِّفون.

مَن هو الإنسان الجديد؟

هو «الإنسانُ الغانم» الذي يغتنم الفرص التي وضعها اللّـه أمامه، ويحافظ على أداء الحقوق، ويُطبق فريضة اللّـه التي حلّ وقتها الآن، فهو يغتنم ولا يُسوِّف، وكما تقول بعض الأمهات لأبنائها عند الخروج: «يا رب، **تعد لي سالمًا غانمًا من عملك**»، فيا ليت الإنسان يعود لله من هذه الدنيا سالمًا غانمًا!! وقد أخبرني صديق لي يومًا ما عن خاطرة:

في حديث النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**»[1].

(1) سنن الترمذي.

فهي تعد دعوة للنبي ﷺ لنا بأن نبدأ يومنا باكرًا لا نؤخر ولا نسوِّف، كما كان لدينا صديق يغتنم حياة والده صاحب المحل والتاجر ذي الخبرة، فكان ينزل معه صباحًا - وكنّا في بداية الكلية - ليقفَ معَه في المحل؛ حتى يأخذ خبرة السنين، فكنا نسخر منه، ونقول له: هذه السنون للخروج والسهر وليست للعمل! لكنه كان ينزل معه كل يوم ليغتنم منه، فبدأ حياته باكرًا، واغتنم البكور من حياته، وبالفعل استقرَّ باكرًا، وكنا في بداية حياتنا، فأصبح هو صاحب مكانة كبيرة؛ لأنه اغتنم. وقد حثنا النبي على الاغتنام دومًا.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللّـه ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِك، وصحَّتك قبل سَقَمِكَ، وغِنَاكَ قَبْلَ فقْرِكَ، وفَرَاغك قَبْلَ شُغْلِكَ، وحَيَاتكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»(1).

اغتنمْ وأنت شاب تمتلك القدرة على فعل الطاعات والأعمال قبل أن يصيبك الكبر وتقل قدرتك على العمل، اغتنم وأنت بصحتك وقادر على السجود لله قبل أن تكبر ولا تستطيع، اغتنم فراغك واستثمر وقتك وطوّر من مهاراتك قبل أن تنشغل حتى لا تستطيع أن تحفظ آية من كتاب اللّـه، اغتنم حياتك قبل أن تذهب إلى اللّـه، فالمُغتنم هو الإنسان الجديد الذي يبحث عن الوقت ولا يسوف.

(1) المستدرك على الصحيحين.

فقال الإمام الشافعي:

«هناك سورة في القرآن لو نزلت على الناس لكفتهم وهي سورة العصر، ففيها أقسم اللَّـه بالوقت».

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا مُغتنمًا حياته؟

1
قم بإحياء باعث اليقظة

2
ابدأ بالمُهماتِ الصغيرة

1 قم بإحياء باعث اليقظة: أي احترام التذكرة التي يرسلها اللَّـه لك، واجعلها تُحيي بداخلك الاستيقاظ، فلا تأخذ الرسالة التي أتتك من اللَّـه وتتركها كأن اللَّـه لم ينصحك بشيء.

ومَن يضمن لك أن تعيش إلى الظهر؟

فسيدنا عمر بن عبد العزيز [1] بعدما دفن سليمان بن عبد الملك خطب في الناس بعدما بايعوه على الخلافة، وكان يومًا طويلًا وشاقًا جدًا وكان يريد الراحة، فدخل لينام؛ فقال له ابنه عبد الملك: إلى أين يا أبي؟ قال: يا ولدي، كانت ليلة طويلة في دفن عمك سليمان؛ فسأغفو ساعة، ثم أستيقظ لأستأنف الحكم بعد الظهر. قال: يا أبتي، ومَن يضمن لك أن تعيش إلى الظهر؟ وأين رد المظالم؟ فأخذه وضمه إلى صدره وقال: الحمد لله الذي جعل في ولدي مَن يُعينني على أمر ديني. وصعد على المنبر، وقال: ألا مَن كانت له مَظلمة فليأتِ إليَّ. فلم يتجاهل ابنه، وكأن اللّـه أرسل له رسالة عن طريقه فأحيا بها باعث اليقظة.

لذا قال الحكماء: «البدء في العمل هو نصف كل شيء».

أدرك أن أي إنجاز في الدنيا نصفه البداية، فهيا سمِّ اللّـه وابدأ وأَحْيِ باعث اليقظة في قلبك عندما تأتيك رسالة بأن هناك شيئًا لا بدَ من أن يتم إنجازه، اغتنم هذه الرسالة في العمل، فالألم الذي

---

(1) أبـو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشـي (61هـ/ 681 م - 101هـ/ 720 م)، هـو ثامـن الخلفـاء الأمويين، كان شـديد الإقبال على طلب العلـم. ولّاه الخليفـة الوليد بن عبـد الملك على إمـارة المدينة المنـورة، وفيما بعد وعند تولي سـليمان بن عبد الملك الخلافة جعله ولي عهده، فلما مات سـليمان سنة 99 هـ تولى عمر الخلافة.

يأتيك هو رسالة لتذهب للطبيب لتحافظ على صحتك، والمشاكل التي توجد في حياتك رسالة حتى ترى ما هو الناقص وتبدأ بحله ولا تترك المشكلة تتفاقم.

«ليس هناك سبيل للتقدم إلا البدء في العمل».

مارك توين [1]

2. ابدأ بالمُهماتِ الصغيرة: فلا تنظر إلى الكبيرة وأنت تعلم أنك ستُسوِّف، ابدأ، فمشوار الألف ميل يبدأ بخطوة، ابدأ بالأشياء الصغيرة لكي تُعود نفسك، قال - عزَّ وجلَّ - عن أهـل النار: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: 37]، فهذه آية مُخيفة حقًّا تتحدث عن هؤلاء المسوفين في الدنيا النادمين في الآخرة، المستغيثين وهم في النار.

فلنبدأ في رحلة بناء الإنسان الجديد المغتنم للحظاته وأيامه وقدراته وشبابه، والمنجز والمحقق لأحلامه وطموحاته، جعلنا اللّـه الغانمين في الدنيا والسالمين في الآخرة.

---

(1) مـارك توين: واسـمه الحقيقـي «صمويل لانجهـورن كليمنس»، هو كاتـب أمريكي ساخر ولد في 1835م وتوفي 1910م، عرف برواياته (مغامرات هكلبيري فين) التي وصفت بأنها «الرواية الأمريكية العظيمة» و(مغامرات توم سوير).

الخلاصة:

- التسويف: هو تأجيل المهام الضرورية لوقت لاحق.
- لماذا نسوِّف؟

1. الاغترار والانخداع بصبر اللّـه علينا.
2. ثِقل وصعوبة بعض المهام.

- هل أنت مسوِّف؟

هناك علامة واحدة فقط، وهي «انتفاء مبرر التأخير».

- عواقب التسويف:

1. شعور الإنسان بالنقص والإحباط الشديد والانهزام.
2. هجوم الحسرة.

- كيف تُصبح إنسانًا جديدًا مُغتنمًا حياته؟

1. قم بإحياء باعث اليقظة.
2. ابدأ بالمهمات الصغيرة.

- قبل أن تنهي كل يوم ..

فكر ماذا أجلت فيه، وما الأضرار المترتبة على ذلك لك ولمن حولك؟ واجتهد ألا يكون التسويف أكبر في أثره من الإنجاز عليك.

لعب دور الضحية

إن أشهر صفة للجنة هي غياب المجهود والمعاناة في تحقيق الرغبات والآمال، فكل ما يخطر ببالك ستجده أمام عينيك، أما الدنيا فهي دار دفع الثمن؛ فكل ما تشتهيه له طريق لتحصيله لا يخلو من التضحيات واحتمال الأذى والقدرة على السباحة عكس تيارات كثيرة.

فقوة الإنسان الحقيقية تكمن في قدرته على قيادته للظروف، التي تبدأ بقراره في أن يشعل شمعة أفضل له من أن يستغرق عمره في لعن الظلام.

«هيلن كيلر»[1] رمز الإرادة الإنسانية، بعد ما فقدت السمع والبصر والكلام، اختارت ألا تهرب في سراديب الندب والشكاية، بل تحملت مسئولية حياتها، فتحولت من إنسانة لا تفهم المكونات إلا باللمس إلى الدكتورة والفيلسوفة، وسطرت كتابها «الخروج من الظلام»؛ لتسطع فيه العبارة الخالدة..

«الحياة إما أن تكون مغامرة، وإما أن تكون لا شيء».

(1) هيلين كيلر. أديبة ومحاضرة وناشطة أمريكية، وهي تعتبر إحدى رموز الإرادة الإنسانية، حيث إنها كانت فاقدة السمع والبصر، واستطاعت أن تتغلب على إعاقتها وتم تلقيبها بـ«معجزة الإنسانية»، ومن أعمالها «قصة حياتي»، «أضواء في ظلامي».

وكأن الحياة اختيار؛ إما أن تكون فارسًا جريئًا يقفز من فوق حواجز المحن، أو فريسة للأحزان وصيدًا سهلًا للمحبطين والمثبطين؛ فقد وعد اللّـه من ابتلاه في حبيبتيه وصبر أنه ليس له عنده - عز وجل - إلا الجنة، والحبيبتان هما العينان يحب بهما الدنيا، ويبصر كل جمال.

وما الصبر إلا تحمل مسئولية الفقد، والقدرة على التكيف مع أحداث الحياة.

كل إنسان جاء إلى الدنيا لرسالة ودور، والنعم والمحن ما هي إلا مطايا يركبها المرء؛ لتحقيق رسالته والقيام بدوره في هذه الحياة، **فخذ قرارًا بتحمل مسئولية مجريات حياتك، وتقبل أقدار الحكيم، وقم كلما سقطت مثل النبات الذي ينبت من جراء مياه السيول الهدامة، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا، وأن كربات الحياة لم يسلم منها حتى الأنبياء.**

كف عنك أداء دور الضحية الذي ترى فيه دائمًا أنك أضعف من الظروف، وأنك مهما حاولت في حياتك فستغلبك دائمًا. فعن أبي هُرَيرَةَ قال: قال رسول اللّهِ: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وأَحَبُّ إلى اللّهِ من المُؤْمِنِ الضّعِيفِ، وفي كلٍّ خَيرٌ، احرِصْ على ما يَنفَعُكَ، وَاستَعِنْ بِاللّهِ ولا تَعجِزْ»[1]. هذا الدور يؤديه كل من سيطر عليه الإحساس بالعجز الدائم، **والمظلومية الدائمة من تحديات الحياة، دون المحاولة لتحمل مسئولية تغيير تلك الأحداث،** وكأننا قد نسينا

(1) رواه مسلم.

قول اللّـه تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد: 4]. فـ «كَبَد» هنا لا تعني مهالك وابتلاءات، ولكنها تعني «تحديات»، الدنيا دار تعب واجتهاد، أما الآخرة فهي دار الجزاء. وهنا العمل وهنا العطاء بلا تعب، وعندما تتمنى شيئًا في الجنة تجد ما تتمناه ماثلًا أمام عينك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ ﴾ [فصلت: 31].

لماذا يفضل البعض لعب دور الضحية؟

لأن الإنسان دائمًا ما يبحث عن جذب الاهتمام، فإن لم يستطع جذبه بالإنجازات جذبه بالتعاطف، فيبدأ بلعب دور الضحية؛ ليدفع عن نفسه الملامة. فإذا سألت شخصًا مثلًا عن سبب تأخره عن عمله، فيرجع السبب إلى الازدحام، وكأنه يقول: «أنا ضحية الازدحام»، وإذا سألت آخر عن سبب إغضابه لزوجته يبرر ذلك بالعصبية، وكأنه يقول: «أنا ضحية؛ فقد خلقني اللّـه شخصًا عصبيًّا»، وإذا طلبت من آخر أن يجتهد ويبحث عن عمل يردُّ عليك بأنه: «ضحية البلد». أوافق على رأيك بأن هناك تحديات في حياة الجميع، ولكنك إذا داومت في جذب الانتباه بهذه الطريقة فبذلك تكون قد دخلت في حال معين، سيُشعرك بإعاقاتٍ شديدة، وضغط نفسي شديد جدًّا. فانتبه؛ لأن دور الضحية يجعل الإنسان صغيرًا جدًّا أمام تحديات الحياة.

إذا ظهرت عليك تلك العلامات فاعلم في الحال أنك ضحية أمام نفسك:

الشكوى للجميع	رفض الحلول

- **العلامة الأولى.. هي «الشكوى للجميع»:**

الشكوى للناس جميعًا، فتصبح شكواك هي محور جلستهم، فإذا أردت الشكوى فاشتكِ لمن لديه علم، ويستطيع بخبرته ورؤيته إعطاءك النصيحة في المجال الذي تشتكي فيه. فالصحابة مثلًا كانوا يقولون: «فشكوت إلى رسول اللّه ﷺ»؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان لديه علم.

والإمام الشافعي اشتكى لشيخه، فقال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي   فأرشدني إلى ترك المعاصي

فلا بد من وجود جهة لديها معلومات تلجأ إليها، ولكن إذا أصبحت تشتكي لجميع الناس، فانتبه هناك حكمة تقول: **«سلاح الضعفاء الشكاية»**. فإذا ظلَّ التنفيس والشكوى هما المُسيطرين، فاعلم أن حال الضحية أصبح يُسيطر عليك.

- **العلامة الثانية.. هي «رفض الحلول»:**

يظل صاحب هذا الحال دائمًا في حالة رفض للحلول التي يعرضها عليه الناس عندما يشتكي لهم، فيشعر بلذة حال الضحية، فمثلًا: عندما تقول له: «صلِّ على النبي»، يرد بأنه صلى بالفعل مائة مرة، ولم يحدث شيء، وإذا طلبت منه البحث عن وظيفة يرد بأنه بحث ولم يجد، وعندما تطلب منه أن يبحث مرة أخرى ويستمر في سعيه لعل هذه المحاولة تنجح ويحصل على وظيفة، تجده رافضًا لجميع الحلول!

إن بني إسرائيل عندما طلب اللّه - سبحانه وتعالى - منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة (بيت المقدس)، ويستردوها من العماليق، قالوا: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة 24]. رفضوا دخولها على الرغم من رغبتهم في استردادها! فكيف سيحررون أراضيهم من أعدائهم المحتلين فيها مع رفضهم لدخولها؟ فهم مُحبون لدور الضحية.

لا تلعب دور الضحية لهذه الأسباب:

1 **سيجعلك تعيش معيشة الفقير:** الفقر هو دوام الاحتياج، والإنسان الذي يُسيطر عليه دور الضحية ستجده في احتياج دائم للدعم الخارجي المتمثل في تعاطف الآخرين، والتشجيع والإحسان إليه؛ وهذا بسبب شعوره المتواصل بالفقر المعنوي.

2 **تطور حال دور الضحية، تبدأ بالتفكير في أنك «ضحية لأقدار اللَّـه سبحانه وتعالى»، وأن اللَّـه لا يعطيك من خيره الكثير،** فتقول: «إذا كان اللَّـه رحيمًا أخرجني مما أنا فيه». **فانتبه؛ لأن الشيطان يعمل الآن،** لذلك قال رسولنا الكريم: « لَا تَتَّهِمِ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى فِي شيءٍ قَضَى لك بِهِ»[1]. فمن الممكن أن المرحلة التي تعيشها الآن تكون سببًا في بناء شخصيتك، عن طريق تحديات ومِحن معينة، فتكتسب خبرات لن تستطيع اكتسابها في وسط الرخاء. **وهذا هو الطبيعي،** قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق 19]. فتكون يومًا في الأعلى ويومًا آخر في الأسفل، وعندما تكون عاليًا ستتعلم أشياءَ، وعندما تكون في الأسفل سيُزرع بداخلك معانٍ جديدة، ولذلك إذا اعتبر الإنسان نفسه ضحيةً للقدر فقد يظن أن اللَّـه لم يُرد أن يهديه من الأساس، قال تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [سورة إبراهيم 21]. قالوا: إن اللَّـه لم يُرد لهم الهداية. وهذا في سورة إبراهيم، وفي سورة الزمر: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر 56]. هنا اعتراف بالخطأ، وبعد ذلك تغيرت النبرة واختلفت: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ

---

(1) مسند أحمد بن حنبل.

﴿هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر 57]. وكأنه يقول: إن اللّـه هو الذي لم يرد. فيبدأ الإنسان الشعور بأنه ضحية لأقدار العزيز الرحيم - سبحانه وتعالى - فانتبه من سيطرة هذا الحال. فنحن *لا ننكر إطلاقًا أن الحياة فيها تحديات، لكنك قادرٌ عليها بإذن اللّـه.*

كيف أراد الله الإنسان الجديد؟

اللَّـه - سبحانه وتعالى - أرادك مسئولًا عن مجريات حياتك.

- عندما تمتلك نعمة فأنت المسئول عن شكرها، وحُسن استغلالها واستثمارها في سعادتك في الدنيا والآخرة.
- وعندما يكون هناك تحد في حياتك فأنت المسئول عن محاولة التعايش، وتخطي هذا التحدي دون أن تخسر مبادئك، وهذا هو تحدي الحياة الحقيقي؛ أن تعود إلى اللّـه بقلبٍ سليم.

ولا يظلم ربك أحدًا:

اللَّـه - سبحانه وتعالى - لا يظلم أحدًا في كل تفاصيل حياته صغيرة كانت أو كبيرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

[الكهف: 49]

في غزوة أُحد نزل أربعون راميًا من الصحابة من على تل الرماة على الرغم من طلب النبي ﷺ منهم ألا ينزلوا، فحدثت المقتلة الكبيرة، واستشهد منهم سبعون صحابيًّا بعدما كانوا في العام السابق في غزوة بدر منتصرين، وقتلوا من المشركين سبعين

مشركًا. ولكن عندما حدثت الهزيمة قالوا: كيف يحدث لنا ذلك ونحن ننصر الخير والحقَّ وننصر اللَّـه؟! فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: 165]. فما حدث من هزيمة كان بسبب تصرف خاطئ فعله الصحابة، فالله - سبحانه وتعالى - أراد تعليمهم معنى مُهمًّا من هذه الهزيمة أنهم لم يُهزموا ظلمًا من اللَّـه لهم، بل بسبب مخالفتهم أمر النبي ﷺ.

لم يقل: لماذا تفعل معي هذا يا ألله؟

ذو النون «سيدنا يونس» عندما ركب السفينة وترك قومه، حتى يدعو أقوامًا آخرين: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴾ [الصافات: 141] ثقلت السفينة، فقاموا بعمل قرعة لاختيار شخص منهم يلقونه في البحر، وفي المرات الثلاث ظهر اسم سيدنا يونس، فألقوه في البحر، وكان في ظلمات الليل والبحر وظلمات بطن الحوت. كان من الممكن أن يتساءل: «لماذا تفعل معي هذا يا ألله؟». أما الأنبياء فالله هو من رباهم ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء 87: 88] فيونس عليه السلام اعترف بأنه المسئول.

«تَحرك في وجه الشدائد؛ فإنك إن تحركت تغلبت عليها».

«شكسبير»[1]

انتبه! أيها الإنسان الجديد؛ فالله - سبحانه وتعالى - أرادك مسئولًا، وليس ضحية.

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا مسئولًا عن مجريات حياتك؟

حتى تكون كذلك:-

2	1
لا تشتكِ لغير الخبير	ازرع بداخلك فكرة أن «الحياة لك لا عليك»

أولًا: ازرع بداخلك فكرة أن «الحياة لك لا عليك»: كل مجريات الحياة هي سبيلك للسعادة في الدنيا والآخرة، فالحال السلبي ما هو إلا فكرة سلبية لديك، والله هو خالق الأحداث، وخالق كل فعل كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة 29]. ولذلك عندما يصادف المؤمنون أحداثًا بها تحديات يقولون: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾

(1) وليَم شكسبير شاعر، يصنف كأعظم كاتب مسرحي في اللغة الإنجليزية - يعتبر كاتبًا مسرحيًا بارزًا - إنجليزي، ومن أشهر أعماله: هاملت، ماكبث، يوليوس قيصر، تاجر البندقية، عطيل، روميو وجولييت، تـم تعميده 26 إبريل 1564م (تاريخ الميلاد غير معروف)، وتوفي في 23 إبريل 1616م.

[التوبة: 51]. **قالها لنا وليس علينا.. فتأمل، فكل الأحداث ما هي إلا جزء من قصة حياتنا التي ستكون سببًا في الوصول لسعادة الدارين في الدنيا والآخرة؛ فارض بأقدار اللّـه، فسبحانه لا يضطهد أحدًا.**

ولذلك كان عمر بن عبد العزيز ﷺ يقول: «**أصبحت سعادتي في الرضا بمواطن القدر**».

أنت المسئول:

هناك شخصٌ أدمن المخدرات، وعندما سألوه عن سبب فعله، قال: إن أباه وأخاه مدمنان للمخدرات، وإنه نشأ في هذا البيت وهذه البيئة، فاضطر لفعل هذا، وهناك شخصٌ آخر كان ناجحًا جدًّا، وعندما سألوه عن سبب نجاحه، قال: إن أباه وأخاه كانا مدمنين للمخدرات أيضًا، وعندما وجدهما كذلك قرر أن يكون مسئولًا عن نجاحه، وألا يكون مثلهما. فهذا نفس الموقف، وهذه نفس الأزمة، ولكن هناك شخص كان ضحية، وآخر كان مسئولًا.

فاعلم أن «الحياة لك وليست عليك»، وتذكر قول اللّـه تعالى: ﴿ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: 51] كتب «لنا» وليس «علينا».

«مهما ألقت علينا الحياة من أحداث فنحن مسئولون عن طريقتنا في الاستجابة لها».

«روبين شارما»[1]

ثانيًا: لا تشتكِ لغير الخبير:

- **فلا تتحدث مع أي شخصٍ عن شكواك؛ لأنه قد يُحبطك. اختر من تتصور أنه على علم يفَيدك.**
- **أزح من عقلك ولسانك فكرة: (أنا تعبان- لا أقدر- مستحيل - هذه هي الدنيا..).وضع بدلًا منها (سييسرها اللـه- الحمد لله- سيفتح اللـه علينا - اللـه معنا....)، فغيِّر لغة الحديث النفسي؛ لأنه يُكوِّن همتك.**

ولذلك، فشريعتنا والأذكار التي أوصانا بها النبي ﷺ جميعها عبارة عن كلام متفائل. فتسبيح اللـه معناه: **نفي الخطأ والتقصير عنه**، وجميع الأذكار بها أشياء لتثبيت الهمة، مثل: (الحمد لله)، فمعناها أنك تعيش في نعمة من اللـه على الرغم من التحديات.

في غزوة الأحزاب بعد هجرة النبي ﷺ بخمسة أعوام، في السنة 5 هجريًّا كان عدد المسلمين تقريبًا 900 أو ألفًا، في

(1) مؤلف ومدرب كندي في التنمية الذاتية من أصل هندي، ولد روبين شارما في 18 مارس 1965م في نيبال لوالدين هنديين. درس الحقوق في كندا، وألف 11 كتابًا ناجحًا في التنمية الذاتية.

مقابل عشرة آلاف مقاتل من قبائل المشركين، فكان الموقف صعبًا للغاية. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائدة: 11].

وكأن اللّـه - سبحانه وتعالى - يقول: شاهد ألطاف اللّـه في وسط البلاء، لعل هذا البلاء يُعلمك عن اللّـه شيئًا لم تكن تعرفه من ألطافه الخفية - سبحانه وتعالى -.

فاقطع صوت الشكاية لغير اللّـه - سبحانه وتعالى - ومن بعده الناصح الخبير، واعلم دائمًا أن اللّـه يعتني بنا - سبحانه وتعالى - وبهذا تستطيع التخلص من دور الضحية، هذا الحال الذي يجعل الإنسان يفقد الحياة والسلام الداخلي.

فيارب، نسألك أن تعيننا على أن نكون مسئولين عن كل خطوة في حياتنا، بتأييدك وعونك يا أرحم الراحمين.

الخلاصة:

- من الذي يقوم بلعب دور الضحية؟

هو من يرى دائمًا أنه أضعف من الظروف.

- ولماذا؟

لجذب الاهتمام.

- وما هي علاماته؟

1. الشكوى للجميع.
2. رفض الحلول.

- والنتيجة:

1. سيجعلك تعيش معيشة الفقير.
2. تبدأ بالتفكير في أنك «ضحية لأقدار اللَّه - سبحانه وتعالى.

- والحل:

ازرع بداخلك فكرة أن «الحياة لك لا عليك».

- أنت المسئول.
- لا تشتك لغير الخبير.
- راقب حالك ونفسك:

أيهما تكون؛

مسئولًا أم ضحية؟

العناد

ما بين صفعة عمر لأخته فاطمة لأنها أسلمت، وما بين نطقه الشهادتين لحظات قليلة تلاشى فيها العناد من قلب عمر، بعدما قرأ سطورًا من سورة طه سقطت منها بعد أن ضربها.

قد يكون العنادُ صفة حميدة إذا تُرجمت لصلابة في التمسك بالحق والقيم.

فلا يهتز الإنسان أمام عواصف التسيب والاستهتار والتخلي عن الثوابت المنتشرة في نفوس الكثير، أما إذا انقلب **العناد إلى تصلب في الرأي**، ومصادرة لوجهات النظر المختلفة، واحتقار لرؤى ومفاهيم الآخرين، فسيصبح **مثل الصخرة التي لم ولن تنتفع بقطرات الأمطار التي تنزل عليها ولن تنبت أي خير.**

فالشخص المرن مثل الأرض الخصبة ثابت ومتماسك، لكن لديه قابلية لاستقبال جذور الأفكار المختلفة؛ لتتفاعل مع ما عنده لتنبت أطيب الثمار.

«أنتوني فلو» الأب الروحي والمنظِّر الأول للإلحاد بعد 60 سنة و30 مؤلفًا، كان يعاند فيها مع كل الظواهر الكونية التي تدله على اللَّـه، وهو صاحب كتاب **«ليس هناك إله»**، لكن أرغمته الطبيعة بما فيها من قوانين ودلائل على وجود قوة عظيمة، فكان كتابه الأخير قبل موته بشهور الذي شطب فيه على كلمة « ليس» فسماه **«هناك إله»**.

كما أن **العناد يولد الكفر**، وهذا ما حدث لامرأة نوح وامرأة لوط، المولى يقول: ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحريم: 10]، فالخيانة هنا كانت في الاعتقاد، والسبب كان العند، فإذا ظهرت بارقة الحق أمام الإنسان ثم استمر في تشبثه برأيه، فقد وقع أسيرًا للعند واتباع الهوى. لذا كان حكيم العرب أكثم التميمي[1] يقول: «آفة الرأي الهوى». وهذه هي الخيانة الحقيقية أن يخون الإنسان قيمَه من أجل اتباع هواه والانتصار لنفسه، **فالقوة الحقيقية** في إلزام النفس طريق الحق حتى ولو خالف هواها، **فكن** أنت القوي الذي ملك نفسه، ولم تستطع هي أن تملكه، **ولا تتبع** الهوى في رفض كلِ فكرة أو رأي لمجرد أنها جاءتك من الغير، **فالعند** صفة ذكرها اللّـه في كتابه بصيغة الذم، وجعل أصحابها من **أصحاب اللهيب والجحيم**، ملقين فيها يصطرخون أملًا في العودة يومًا ما للرجوع عمَّا عاندوا فيه من الحق، قال تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق 24].

العناد هو صفة التراجع للخلف، وعدم التقدم ولو خطوة للأمام!!

(1) أكثم بن صيفي بن رباح الأسيدي العمروي التميمي، أشهر حكماء العرب في الجاهلية على الإطلاق وأحد المعمرين فيها، وكان يلقب بحكيم العرب. كان أكثم سيدًا من سادات العرب، شريفًا حكيمًا وفارسًا شجاعًا، ومستشارًا خبيرًا.

لماذا يعاند الإنسان؟

يعاند الإنسان بسبب:

1	2
العجب والكبر	الخلط بين فكرة الانتصار لوجهة النظر والانتصار للنفس

1 **العجب والكبر**: الأمر الذي يجعل الإنسان لا يتصور أنَّ رأيًا سديدًا يمكن أن يخرج من غيره، وهو ما يُطلق عليه «**العناد الفرعونيُّ**»، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: 29]، **فقد تتفق الآراء أحيانًا** وتتصادم أحيانًا أخرى، فلا يكون الحق إلا في أحدها **فقط، وهنا** لا يتراجع الشخص العنيد عن رأيه.

2 **الخلط بين فكرة الانتصار لوجهة النظر والانتصار للنفس**: فالانتصار لوجهة النظر يحتاج لقوة الشخصية، ويسمى «**العناد الإيجابي**»، أما الانتصار للنفس فحين يكتشف الإنسان أثناء النقاش أنه على خطأ، ولكنه يريد أن ينتصر لنفسه مع افتقاده تمامًا للمنطق، ويطلق عليه في الشريعة «**المِراء**»، **وهو الشخص الذي ينتصر للذات لا للحق** ووجهة النظر السليمة. وقد حدث **ذلك مع** رسولنا الكريم ﷺ من اليهود الذين كانوا يعلمون تمامًا أنه نبي، فأنكروا ذلك؛ لإرادتهم أن يكون النبي منهم وليس من العرب، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 146]، **أي يكتمون**

الحقَّ وهم يعلمون صدقه. وكما قال تعالى على لسان نوح ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: 5 - 7]، فكانوا كلما دعاهم نوح للإيمان بالله وضعوا أصابعهم في آذانهم؛ كي لا يسمعوا دعوة الحق، وتغطّوا بثيابهم كي لا يرونه، وأصروا على كفرهم، واستكبروا عن قبول الإيمان استكبارًا شديدًا، ولذلك قال سيدنا عبد اللّـه بن عباس ﷺ: «آفة الرأي الهوى». أي أن الإنسان يحتكم إلى الهوى، ولا يتراجع عن رأيه بالرغم من تيقنه من عدم صوابه، فانتبه! لأن الكبر يُؤدي إلى العناد.

وضع سدادة في أذنيه كي لا يستمع إلى النبي!

سيدنا الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسيّ سيد قبيلة دَوْس، عندما دخل مكة وحذره المشركون من الاستماع إلى النبي ﷺ، وضع سدادة في أذنيه وهو يطوف بالكعبة؛ كي لا يستمع إلى النبي ﷺ، وإذ به يُحدث نفسه فيقول: أين عقلك يا طفيل؟ لِمَ لا تستمع إلى هذا النبي، فقد يكون هؤلاء القوم غير صادقين فيما يدّعون؟ وبالفعل ذهب فاستمع إلى النبي ﷺ، فأدرك أن هذا الكلام منزلٌ من إله قوي عظيم فأسلم على الفور، فهو رأى أن ليس من المنطق أن يسد أذنيه عن الاستماع لشخص، وهو يملك عقلًا يستطيع من خلاله الحكم على الأمور والتمييز بين الصواب والخطأ، فإذا افتقدت المنطق، وتمسكت بوجهة نظرك مع تيقنك أنها خاطئة كبرًا وعنادًا فتذكر قول ابن عباس: «آفة الرأي الهوى».

عواقب العناد:

- إذا كان هذا **العناد إيجابيًّا** في نصرة وجهة نظر فاعلم يقينًا أنها سديدة، فأنت إنسان قوي الشخصية وقادر على المواجهة والدفاع عن وجهة نظرك.

- أما إذا أدركت أنك على خطأ وتضافرت كل وجهات النظر والآراء على ذلك وما زلت مُصرًّا على رأيك، فهذا يترتب عليه ما يسمونه «**العمى عن الحق**»، فالله - عزَّ وجلَّ - منح الإنسان عيونًا في قلبه تسمى البصيرة، والتي تميز من خلالها بين الحق والباطل، ومن علاماتها مراجعة الإنسان نفسه باستمرار، أما إذا اعتقدت دائمًا أن كل من حولك لا يمكن خروج رأي سديد منهم، فاعلم حتمًا أنك تسير في الطريق الخطأ، وستفقد وجهتك لا محالة، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ [الفرقان: 41 ، 42]، انظر كيف أنهم يعترفون بنبوته ﷺ وصدقه إلا أنهم استهزءوا بل وصفقوا، ورفعوا أصواتهم حتى لا يُستمع إليه ﷺ وهو يتلو القرآن، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال: 35]، ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: 11 ، 12]، فحدث لهم حالة من العمى؛ فأصبحوا لا يدركون أنهم هم المفسدون في الأرض.

من العناد إلى الغياب عن الحق!

وأقص عليك تجربة طلبت صاحبتها أن تُنشر كي يستفيد منها الآخرون، تقول الفتاة: «كنت مخطوبة لمهندس كبير وأنا في الصف الثاني الجامعي، وفي السنة الثالثة تعرفت إلى زميل لي ويدأ في استمالة قلبي فأحببته، واعتذرت لخطيبي عن عدم إتمام الزواج، وتقدم زميلي لخطبتي، غير أن أبي وجده غير مهتم بدراسته وسيئ السمعة فرفض الأمر، فتمكن الشاب من إقناعي بالهروب معه، وتزوجنا في شقة حقيرة، وأنجبت طفلًا، وكل ذلك بعد هروبي من منزل والدي، وطوال تلك الفترة وأختي ترسل لي الرسائل أن أبي حزين ويبكي باستمرار، وفي نفس الوقت كان هذا الشاب الذي أصبح زوجًا لي مستهترًا للغاية ولا يريد العمل، وبعد إنجابي وانشغالي بابني، تعرف إلى الكثير من الفتيات وكان يأتي بهن إلى شقتنا، ويشربون السجائر، ويتعاطون المخدرات، إضافة إلى الضرب والإهانة التي كنت أتعرض لها منه، ولطالما قال لي الجميع: إن هذا الشاب سيئ السمعة، وإنه غير جدير بالاحترام، لكنني لم أدرك الصواب إلا بعد إنجابي، وبالفعل عدت إلى منزل أهلي بعد وفاة والدي الذي أوصى قبل وفاته ألا أُحرم من الميراث». انظر! كيف **أوصلها العناد إلى حالة من الغياب عن الحق** رغم أن منطق جميع من حولها أن من يحبك وأنت مخطوبة هو خائن، أسأل اللّـه لي ولكم النجاة من هذا العناد الذي يُعمي عن الحق.

ماذا أراد الله منك أيها الإنسان الجديد؟

أرادك أن تكون «متفهمًا»، بمعنى أن قلبك وعقلك يستوعبان ويدركان أن اللّـه - عزَّ وجلَّ - قد وَزَّعَ جزءًا من علومه بين قلوب الخلق وعقولهم، وليس هناك من يحوي أفكارًا وحلولًا لكل المشاكل، فالله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: 114]، وسيدنا موسى كان تلميذًا للخضر، وقد كان أعلى منه مقامًا، فاحرص على كلمة سيدنا موسى للخضر: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ ﴾ [الكهف: 66]، بمعني الاتباع لآراء الخلق بعد دراستها وإعمال العقل فيها، وتذكر أن اللّـه قد أعطى أفضلية في العلم والخبرة لبعض خلقه؛ فالزمهم وتعلم منهم؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مَأْلَفَةٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ»[1].

بمعنى أن من لا يملك الألفة في قلبه ليسمع ويُناقش ويتصور الخير والصواب في صدور الناس وعقولهم قد لا يكون فيه خير!

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا متفهمًا؟

«تداول الأفكار»: هكذا قالها العلماء، أي استمع واقبل وتصور الحق في الفكرة، واعمل على خلطها بمعلوماتك وأفكارك وبعدها خذ القرار، قد يكون القرار هو الرفض لكن على الأقل تجاوز

(1) مسند أحمد بن حنبل.

الحاجز الكبير بينك وبين أفكار الآخرين وآرائهم، بعد ذلك من حقك الرفض أو القبول بحسب قيمك واختياراتك.

«الحكيم هو صاحب القدرة على تداول الأفكار المختلفة دون أن يعتنقها».

«أرسطو»[1]

فلا تخشَ على نفسك إن جاءتك فكرة أن تدخلها وتُعمل فيها عقلك، فلن تُفتن بها، **فالله - عزَّ وجلَّ - سوف يحفظك**؛ لأنك أدخلتها بنية البحث عن الحق.

يقول الشاعر محمود الورَّاق:[2]

إنّ اللبيبَ إذا تَفـرَّقَ أمـرُهُ .. بَحَثَ الأمُورَ مُناظِرًا ومُشاوِرا

وأخـو الجَـهالةِ يَسْتَبِدُّ بِرأيِهِ .. فـتراهُ يَعتَسِفُ الأمـورَ مُكابِرا

فالشخص اللبيب الحكيم يتشاور في الأمور، أما العنيد فهو الذي أطلق عليه الشاعر لفظ **«أخو الجهالة»** وبالفعل هو كذلك؛ لأن العناد يُفضي إلى الجهل؛ حيث إن مناقشاته ما هي إلا

(1) أَرِسْطُو (384 ق.م - 322 ق.م) أو أَرِسْطُوطَالِيس أو أرسطاطاليس، فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر، وواحد من عظماء المفكرين.

(2) أحد الشعراء الموالي في العصر العباسي الأول. يقال: إنه كان مولى بني زُهرة، ولم تذكر المصادر شيئًا آخر عن نسبه. أما لقبه (الوراق)، فهو من الوراقة؛ أي نسخ الكتب والاتّجار بذلك، و(النخّاس): لأنه كان يبيع الرقيق من الجواري والغلمان.

صراعات مما يبعد عنه الأشخاص الإيجابيين؛ بعكس الشخص المتفهم الذي يحب مجالسته الأشخاص المثقفون أصحاب الفكر والرؤية، الذين يحبون الثراء في مجالسهم وتداول الأفكار.

كما حدث في خلافة سيدنا أبي بكر الصديق ﵁ بعد وفاة النبي ﷺ، حيث قُتل الكثير من الصحابة من حفظة كتاب اللَّـه في معركة اليمامة، فقال سيدنا عمر بن الخطاب ﵁ لأبي بكر: «وإنّي أخشى أن يستمرّ القتل بالقُرّاء في المواطن، فيذهب كثيرٌ من القرآن، وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن»، غير أن أبا بكر رفض في بداية الأمر لأن النبي ﷺ لم يوصِ بذلك قبل وفاته، فقال لعمر: «كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول اللَّـه ﷺ؟» لكن عمر تمسك بفكرته، يقول أبو بكر: «فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح اللَّـه صدري لذلك، وأمرتُ بجمع القرآن»، ألا تُلاحظ أن سيدنا أبا بكر ﵁ - وهو الأعلى مقامًا من سيدنا عمر بل من الأمة بأسرها بعد سيدنا محمد ﷺ، ويملك وجهة نظر سديدة - قد قَبِل الفكرة وتداولها في رأسه؛ حتى اطمأن وأيقنْ من صحتها.

فكرة للتداول:

تعرّف إلى اللَّـه - عزَّ وجلَّ - وتذوق لذة القرب منه، واستشعر حلاوة العلاقة معه - سبحانه وتعالى - واترك الذنب الذي يصرفك عنه، الذي يجعل بينك وبينه حواجز وسدودًا تحجبك عن استشعار قربه مع أنه يقول في كتابه: ﴿... فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186].

قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [ق: 24 - 27]، انظر كيف تبرأ الشيطان من الإنسان العنيد! ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴾ [ق: 28]، فما دام اللّـه وعدك بأنه سيغفر لك حتى لو وصلت ذنوبك عنان السماء؛ فثق في كلام اللّـه، ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [ق: 29 - 32]، وهنا - سبحانه وتعالى - بعدما ذكر العناد ذكر الجنة وأنها تجهزت لمن حفظ اللّـه في قلبه وعاد إلى الحق ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: 33 - 35]، **والقلب المنيب هو للإنسان المتفهم الذي يعود إلى الحق، فكما أنه عاد إلى اللّـه بسلام في الدنيا استحق في الآخرة أن يدخل الجنة بسلام، بخلاف الشخص العنيد الذي يقسو قلبه إذا طلبت منه أن يغير رأيه ويعود إلى الحق.**

فنعوذ بالله من القلب العنيد ومن حال العناد.

الخلاصة:

حتى تتخلص من العناد تذكر أن:

العناد هو صفة التراجع للخلف وعدم التقدم ولو خطوة للأمام!!

- لماذا يعاند الإنسان؟

1. العجب والكبر.
2. الخلط بين فكرة الانتصار لوجهة النظر والانتصار للنفس.

- عواقب العناد: العمى عن الحق.
- ماذا أراد اللّـه منك أيها الإنسان الجديد؟

أرادك أن تكون «متفهمًا».

- كيف تُصبح إنسانًا جديدًا متفهمًا؟

تداول الأفكار.

* كلما واجهت لحظة عناد توقف لدقائق وجرب أن ترى أفكارًا مناقضة لأفكارك... حينها ستستطيع أن تملك زمام أمرك ولا تعاند، بل سيزيد تفهمك لمن أمامك.

تغييب العقل

خلق اللّـه في الإنسان بعض صفاته الربانية، وخلقَ فيه ملائكية، وخلق أيضًا فيه شيطانية، وخلق فيه حيوانية، وفي النهاية يكون عقل الإنسان هو صاحب القرار في أي اتجاه يسلك، وفي أي منزلة يريد أن يكون: هل في الأخلاق الربانية أم الصفاء الملائكي أم شرّانية الشيطان أوشهوانية الحيوان؟

فالعقل هو المكلف بالتأمل في عواقب كل اختيار منها، هو القائد الحكيم الممتلئ بالمعرفة والخطط والبدائل التي لا تنتهي؛ ليقود الإنسان إلى شاطئ الأمان مهما علت أمواج الحياة، وهو العين التي يميز بها الإنسان ما بين ظلام الباطل ونور الحق، الأذن التي تسمع نداءات الهداية، اللسان الذي يتذوق طعم الإيمان، اليد التي تتحسس ملمس الحقيقة، وأيضًا هو القدم التي تسعى في طريق الخيرات، والروح التي تتصل بخالقها وتتعرف على صفاته. وبدونه يضل الإنسان في أودية الأفكار والمناهج المضللة، ويهبط من أعلى مراتب الملائكية إلى أدنى شيم الوحشية.

لذا كان العقل هو محل التكليف في الشرائع السماوية، وبدونه لا يُسأَل الإنسانُ عن خطاب السماء، فلم يتجرأ أشقى القوم في ثمود على ذبح ناقة اللّـه إلا بعد تغييب عقله، فتعاطى الخمور - ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ *[القمر: 29]* - فحافظ على هذه الهبة الربانية، ولا تسلمها

بمنتهى السهولة لغيرك إلا بعد التيقن من أن طريقه يوصلك لما يرتقي بك ولا يضعك في أسفل سافلين.

العقل مثل المظلة لا تعمل إلا إذا فتحتها لتحميك من السقوط في أي هاوية.

قدِّر هذه العطية الربانية، وغذِّها بالعلم، واشكر ربك، وابدأ بمصادقة هذا العقل واستشارته في كل خطوات حياتك واجعله دليلك؛ فهو الأمانة التي مَيَّزَكَ اللَّـه بها عن سائر المخلوقات، ومن خلاله تستطيع أن تختار طريق اللَّـه أو أي طريقٍ آخر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: 72]، فقد جعل اللَّـه - سبحانه وتعالى - الحفاظ على العقل من مقاصد الشريعة، والتي هي خمسة مقاصد (**حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العرض، حفظ المال، حفظ العقل**)، فكأن الشريعة السماوية ومصادرها القرآن والسُّنة نزلت لخمسة أسباب كبيرة؛ منها: «أن تحافظ على عقلك»، ولذلك؛ فالخمر والمخدرات من أكبر الكبائر؛ لأنها تُغيب أشرف ما فيك بعد روحك وهو عقلك،

فعَنْ حكمة تُنسَب إلى سيدنا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «مَا اكْتَسَبَ مُكْتَسِبٌ مِثْلَ فَضْلِ عِلْمٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هُدًى أَوْ يَرُدُّهُ عَنْ رَدًى - أي يحجزه ويمنعه من الخطأ - وَلا اسْتَقَامَ دِينُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَقْلُهُ».

ما معنى تغييب العقل؟

تغييب العقل هو اتباع الآراء والأفكار والانغماس في العادات دون التفكير في الأهداف والعواقب. فمن يتبع آراء الآخرين وأفكارهم دون أن يُفكر في الأهداف والعواقب يُغَيب بذلك عقله.

لماذا يغيب الإنسان عقله؟

وذلك بسبب

1
ضغط المجتمع

2
سهولة المحاكاة
(التقليد)

1. أولًا: بسبب ضغط المجتمع: أي التغييب الجمعي، فكأن عقولًا كثيرة غُيِّبت، فيسير الإنسان معه، وهذا ما يسمى بـ «**عقلية الحشود**» ووضحت السنة ذلك في مثال صريح، فعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،

> عن النبي ﷺ قال: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ من كان قَبْلَكُمْ شِبْرًا بشبرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»[1].

وهذا يعني اتباع الجميع دون تفكير حتى إنهم دخلوا جحر ضب (سحلية)!! وإذا سألتهم: لماذا دخلوا هذا الجحر؟ ردوا بأنهم ساروا وراء الجموع.

(1) رواه البخاري.

وهذا الذي قال عنه رب العالمين في القرآن: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: 116]، **فليس دائمًا الآراء العامة توصلك إلى اللّـه - سبحانه وتعالى - فهناك حقيقة** في علم النفس تقول: «**العقلية العامة متوسطة**»، والتي تشير إلى أن **العقلية العامة ليست شرطًا أن تتبنى دائمًا الآراء الصحيحة**، فعادةً الآراء فيها تكون متوسطة؛ لذا إذا أردت أن تكون متميزًا فعليك التأمل بمفردك والبحث عن المتميزين، **فضغط المجتمع هو الذي يجعلك مُغيب العقل حتى تشعر بالأمان مع الناس**. وفي القرآن الكريم ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: 46]

2 ثانيًا: بسبب سهولة المحاكاة (التقليد): فتستسهل التقليد بدلًا من التفكير والتأمل، فقد يميل العقل إلى توفير طاقته وراحة ذهنه من عناء التفكير، وهذا ما سماه النبي ﷺ «إمعة[1]» في الحديث المحفوظ، وكلمة «إمعة» أصلها في لغة العرب (أنا معك) دون أن يكون لك وجهة نظر أو أي رأي آخر؛ لذا، فانتبه! إذا كان من تقول له: «أنا معك» بطلًا بالنسبة لك وهو ليس على الحق دائمًا أو في ثقافة مختلفة عن ثقافتنا خاصة في العالم الغربي المتقدم،

(1) قول لسيدنا عبد اللّـه بن مسعود / الزهد لأبي داود

فلا يجوز أن تغيِّب عقلك وتتبعهم؛ لأنهم أبطال، ولكن لا بد لك أن تتأمل لتستفيد بالخير وتحصله وتبتعد عن الشرِّ وأسبابه.

هل أنت مُغيَّب العقل؟

من أهم علامات مغيب العقل التالي:

1	2
الاستشهاد بالكثرة	رفض وجهة النظر المقابلة

1- الاستشهاد بالكثرة: يستشهد بجموع البشر وما يفعلونه بدلًا من الاستشهاد بالآراء الصحيحة والبحث، فالله - سبحانه وتعالى - قال في القرآن: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [الأعراف 28]، ﴿ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴾، فوارد أن تُخطئ الأجيال، وتتصرف بشكل غير صحيح، ولا تهتم بأمر اللَّـه، ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف 28]، فانتبه لهذه المسألة؛ لأن الاستشهاد بالكثرة دليلٌ على أن الإنسان لا يقف على أرض صلبة.

2- رفض وجهة النظر المقابلة: ومهاجمة الشخص المخالف للرأي؛ لأنه لا يستطيع المواجهة، فيُصبح ضعيف الحجة، ويُهاجم بدلًا من أن يناقش، قال تعالى: ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: 21، 22]. فالقرآن يحدثنا عن

المشركين الذين وجدوا أهلهم يعبدون الأصنام؛ فورثوا هذه العبادة دون وجود كتاب أو شيء لها، ولكنهم عبدوها لمجرد أنهم وجدوا آباءهم يعبدونها دون النظر إلى الفعل سواء كان صحيحًا أو خطأ، وعندما ادعى مسيلمة الكذاب أنه رسول اللّه جاء رجلٌ إليه من أتباعه وأخبره بأنه يعلم أنه كاذب، ولكنه قال له: «إن كاذب ثقيف أحبُّ إلينا من صادق مضر». ثقيف قبيلة مسيلمة. ومضر هي قبيلة النبي وعائلته ﷺ، لكن ما كان منه إلا أن قال: إنه سيكون في صفِّه في مواجهة هذه العائلة.

فانتبه! إذا وجدت نفسك تستشهد بالجموع فاعلم أنك تُغيب عقلك.

عواقب تغييب العقل:

يُصبحُ الشخص مُعرضًا للاستغلال: فلا تترك عقلك لأحد حتى لا يتم استغلالك في تنفيذ أهداف الآخرين، ومن يستغلك اليوم فسيتبرأ منك غدًا!

تحويل التراب إلى ذهب:

قرأت قصة ذات يوم عن زوجة تحكي أن زوجها عمل بالطب حوالي خمس أو ست سنوات بعد تخرجه حتى وصل إلى سن الثلاثين، وبعد ذلك قرر ترك مهنة الطب؛ لأنها لا تأتي له بالمال الكافي، فاستغلَّه أحد أقاربه واقترح عليه أن يشتريا قطعة أرض ويزرعاها، فأخذ زوجها قرضًا من البنك باسمها حتى يستصلحا

الأرض وفشلا؛ لأنهما ليسا مزارعين، ومرَّ حوالي خمس أو ست سنوات أخرى وهما لا يستطيعان تسديد القرض؛ فأصبحت العائلة مديونة، وبعد ذلك اقترح عليه قريبه فكرة أخرى، وأقنعه بأنهما يستطيعان تحويل التراب إلى ذهب عن طريق «الزئبق الأحمر»[1]، فذهبا للبحث عن الزئبق الأحمر ودفعا المال الكثير، ولكن بلا فائدة وتداينا مرة أخرى، ثم عرض عليه فكرة أخرى وهي أن يُتاجرا في الآثار، فأقنعه بأنهما إذا حصلا على قطعة آثار واحدة، وقاما ببيعها فسيحصلان على المال الكثير ويُصبحان غنيين، وبالفعل سافرا إلى الصعيد في قنا وأسيوط، وفي النهاية تعرضا لعملية نصب وضيعا كل شيءٍ لديهما، وأصبحا مديونين، وبعد حوالي 20 سنة؛ عاد زوجها إلى مهنته مرة أخرى بعد أن أصبح عنده خمسون عامًا، وبعد استغلال قريبه له، وخسارته جميع ما يملك.

انتبه! إذا كنت تاركًا عقلك ولا تفكر؛ فستصبح معرضًا لاستغلال الآخرين، وتكون جزءًا من أهدافهم.

اعلم أن من يستغلك اليوم سيتبرأ منك غدًا، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟

(1) الزئبق الأحمر هو مادة يعتقد أنها خرافية لا وجود لها، ذاع صيتها منذ الثمانينيات وما زال الكثيرون يؤمنون بوجودها رغم عدم تحديد ماهيتها أو تركيبتها على وجه اليقين.

﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: 165: 167]. فمن استغلك فسيردد يوم القيامة أنه ليس له ذنبٌ، وسيطلب منك ألا تحمله وزرك يوم القيامة، وبعد ذلك الذين غيّبوا عقولهم يتمنون أن يعودوا مرة أخرى، ولكن لا ينفع الندم وقتها؛ فنحن ملزمون بالحفاظ على عقولنا؛ لأنها واحدة من المقاصد الخمسة لنزول الشريعة.

كيف أرادك الله أيها الإنسان الجديد؟

اللّـه يريد من عبده أن يكون مسلمًا متدبرًا، والدبر يعني الظهر، أي أن يمسك الإنسان الموضوع ويقلبه من أوله لآخره حتى لا يأخذ الأمور بسطحية.

فسيدنا عبيد اللّـه قال:

«ما استفاد الإنسان بعد الإيمان من عقلٍ سليم».

فالصحابة والسلف أدركوا قيمة العقل وقيمة المحافظة على أكرم ما عند الإنسان بعد الروح.

سيدنا عروة بن الزبير التابعي الكبير قال: **«أفضل ما أُعطي المؤمن في الدنيا العقل الراجح، وأفضل ما أُعطي في الآخرة رضوان اللّـه تعالى»**.

وقال روزفلت[1] كلمة بليغة: «**إذا خانك الرجل مرة فذلك ذنبه، وإذا خانك مرتين فذلك ذنبك**». نعم! فإذا خانك شخص وخدعك مرة فهذا شيء عادي، ولكن إذا خانك مرتين فذلك عيبك لأنك لم تتدبر وتتأمل!

ورسولنا الكريم ﷺ قال في الحديث المشهور: عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ من جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ...»[2].

فإذا تكرر نفس الخطأ دون أن يتعلم الإنسان فهو بذلك يكون سطحيًا ومُغيِّبًا لعقله ولا يتأمل ولا يتدبر، اللَّـه - سبحانه وتعالى - أرادك مُتدبرًا؛ فحافظ أيها الإنسان على عقلك الذي يُعتبر أحد المقاصد الخمسة للشريعة، وأشرف ما فيك بعد الروح.

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا؟

خطوتان يجب تنفيذهما:

1
خطوة في العقل

2
وخطوة في التصرف

---

(1) فرانكلين ديلانو روزفلت، المعروف أيضًا باختصار «إف دي آر»، هو رجل دولة وزعيم سياسي أمريكي شغل منصب الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة من عام 1933 حتى وفاته في عام 1945.

(2) رواه البخاري.

1 العقل: اقتبس ولا تقلد، أي لا تقلد ولكن تفكَّرْ، فالاقتباس هو «التقليد الواعي»، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: 18]. فاللُّب هو العقل الذي يتأمل فيسمع الكلام ويتبع أحسن ما فيه، ولا يتبع أي كلام دون أن يُفكر فيه. سيدنا موسى عليه السلام عندما طلب من الخضر اتباعه على أن يعلمه ما تعلم رشدًا، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: 66]. فالرشد هو العقل والفكر.

ما يناسب غيرك قد لا يناسبك!

هناك قصة رمزية تروي أنه كان يوجد شخص يحمل شِوالًا ثقيلًا جدًّا به ملح على كتفه، ويمشي مع صاحبه الذي يحمل براميلَ فارغةً، ولكنها أيضًا ثقيلة جدًّا؛ فكانا يسيران وظهراهما يؤلمانهما. فوجد الرجل الذى يحمل الملح بحرًا صغيرًا من الماء فنزل فيه؛ فذاب الملح وخف الحمل واستراح، فقلده صاحبه الآخر الذي يحمل البراميل الفارغة، ونزل إلى الماء، فصعد وقد امتلأت البراميل بالماء، وأصبحت ثقيلة أكثر وظهره آلمه أكثر وأكثر. هذه القصة يُضرب بها المثل في عدم التقليد، فالذي يناسب شخصًا قد لا يكون مناسبًا لآخر، وما يكون مناسبًا لمجتمع بأخلاقياته وعقائده قد لا يكون مناسبًا لنا، فلا تقلد ولكن اقتبس المناسب لك.

2. التصرف: تأمل العواقب قبل أن تتصرف وتتبع الناس، فكر إذا كان هذا التصرف فعلًا صالحًا أم لا، فكر إذا كان فيه أذى لك ولأهلك وللآخرين، وهل ستُسأل يوم القيامة عنه بين يدي اللّـه - سبحانه وتعالى - أم لا؟

الوصية النبوية تقول: «إذا أردت أمرًا فتدبر عاقبته؛ فإن كان خيرًا فأمضه، وإن كان شرًّا فانته»[1].

> *«رحم اللّـه عبدًا وقف عند همه؛ فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغير اللّـه توقف».*
>
> *الحسن البصري*[2]

اقتبس ولا تقلد! خذ المناسب، وابتعد عن غير المناسب، وتأمل في العواقب؛ حتى تكون إنسانًا جديدًا متخلصًا من حال تغييب العقل، ولا تعش في الدنيا وأنت مُصابٌ بعمى البصيرة، فالله - سبحانه وتعالى - قال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: 46]. ولذلك قالوا: إن العمى هو «عمى القلب»؛ بمعنى أن يعيش الإنسان دون تفكير في الأمر إذا كان يرضي اللّـه أم لا، ولا يُفكر في العواقب. هذا اسمه تغييب

(1) الزهد لابن المبارك.

(2) إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة.

العقل، ودائمًا ما يجعل الإنسان معرَّضًا للاستغلال فيُسأل يوم القيامة، ويتبرأ منه من اتبعهم، ويأتي الإنسان واقفًا بمفرده يتمنى لو يعود ليتَّبع النبي ﷺ.

أسأل اللّـه أن يأخذ بيديك لتُصبح إنسانًا جديدًا متخلصًا من حال تغييب العقل.

الخلاصة:

- تغييب العقل: هو اتباع الآراء والأفكار والانغماس في العادات دون التفكير في الأهداف أو العواقب.
- لماذا يغيب الإنسان عقله؟
  1. بسبب ضغط المجتمع.
  1. بسبب سهولة المحاكاة (التقليد).
- عواقب تغييب العقل:

  يُصبح الشخص مُعرَّضًا للاستغلال.
- كيف تُصبح إنسانًا جديدًا؟
  1. اقتبس ولا تقلد.
  2. قبل أن تتكلم أو تتصرف فكر في العواقب، وما هي الأسباب وراء كلماتك وتصرفاتك حتى تضمن النتائج.

الشك في اللـه

ما يجعل الإنسان يسكن ويحيا بالأمل في مواجهة صعوبات الحياة هو امتلاء ذرات تكوينه بمعية المهيمن على كل شيء.. وأن هناك دائمًا لحظة مناسبة في ذهنه سيكون الإله بجانبه لإنقاذه مما يلاقي من متاعب الحياة.. ولو فقد الإنسان هذا اليقين، لعاش كأنه سقط في بئر عميقة وسط الصحراء.. يستغيث وقد بعد عنه المجيب..عندها يشعر بحالة من الضياع إذا دب إليه إحساس أن اللَّـه قد تخلى عنه.. ويظل يتساءل:

من سيرحمني إن تركني مالك الملك؟ ومن سيأخذ بيدي إن تخلى عني صاحب الأمر؟ ومن سيسأل عن حالي إن أعرض عني من يعلم ما بداخلي؟

فالفرق ما بين موسى وبني إسرائيل في لحظة مواجهة البحر وجيش فرعون الحاسمة كان **الشك في معية وصدق وعد الإله.**

▼ *هم قالوا:* ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ *وهو قال:* ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ ▲

عندها يمارس شيطان الشك أقوى تأثير في زعزعة عقيدة العبد في صدق ورحمة إلهه ومأواه، فقد كان **أهم دور من أدوار الأنبياء هو تجلية وتوضيح كمال الإله، وأنه بديع الحكمة ومتقن الصنع وفائق الرحمة**، لكن في كثير من الأحيان ما تغيب هذه المعاني وتضمحل في نفوس البعض تحت وطأة البلاء، أو تأخر الفرج، أو حدوث ما

تعجز عقولهم القاصرة عن تفسيره.. حتى قال أحدهم: «أليس من حق الإله أن يصرف شئوني بحريته، فأنا وهو شركاء في صناعة مصيري!!».

وينسى العبد وقتها الفارق ما بين الرب والعبد في العلم والحكمة والقدرة!!

- **فلا تضع الإله في محاكمة بواسطة عقلك القاصر الناقص، تحاسبه على صدقه ورحمته وقدرته.**
- **إنما اسأله أن ينفخ فيك من روح القدرة على الصبر حتى تتجلى لك الحكمة من بديع أفعاله.**
- **واعلم أنك لن تحيط بشيء من علمه إلا بما شاء، فتأدب معه، وقف على باب الطلب بحسن الأدب.**

ومهما ضاق النطاق فهناك تقدير محكم لإصلاح كل شيء من قِبل الإله عاجلًا أم آجلًا، هذا الإله يفرحه ما يفرحك ويغضبه ما يؤذيك، فسلم له نفسك، وكُن إنسانًا جديدًا مُتخلصًا من حال الشك في اللّـه.

وأنا أعلم جيدًا أيها القارئ أنك لم تعترض أو تشك في وجود اللّـه عزوجل وخلقه، لكني أحدثك عن الحال الذي يجعل صاحبه يشك في عدل اللّـه ورحمته وصدق وعده، فيسيطر عليه الشعور بعدم الأمان! *ولكن دعني أضع مرآة أمام هذا الحال الخفي لترى نفسك الخفية التي تسكن داخلك، وتعلم:*

- **هل سيطر عليك هذا الحال أم لا؟**
- **هل تسلل خفية داخلك واستبطأت الفرج والفرح؟**

وإذا حدث ذلك.. فعليك أن تدرك أن الإيمان بالله وبأفعاله هو وسيلتك الأساسية المضمونة لهداية قلبك الشريد ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: 11].

ولكن.. متى أتى هذا الحال في قلبك؟

أصل الشك في اللّـه يأتي من ***اهتزاز الثوابت المرتبطة بتصور الإله.***

فكل شخص منا لديه تصور عن اللّـه في عقله، وعلى أساس هذا التصور يتحقق الإيمان به، ويجب أن تحتوي هذه الصورة على صفات اللّـه الحنون الكريم على عباده، الممتلئة خزائنه، المُحب للعطاء، والذي لا يرضى بالظلم أبدًا وحرَّمه على نفسه وجعله بيننا محرمًا، كما أنه عزوجل صادق الوعد وإذا وعد وفَّى.. وتظل هذه المعاني معروفة ومألوفة حتى تحدث **الصدمة!**

- كمرض مفـاجِئ على سبيل المثال ويطول، فيردد: يارب اشفني.. وهو يعلم قدرة اللّـه على الشفاء.. **لكن الشفاء لم ينزل!!**
- أو يعمل في عملٍ حلال بنية طيبة ورغبة في الإنفاق على أهله **لكنه يفشل.**

■ أو يتعرض للظلم من شخص سلبه حقه، ثم يراه يعلو في الدنيا، بل يقتني أشياءَ لا يستطيع أن يملكها، فيردد بصوت عالٍ بداخله:

«كيف تتركه يارب وترى كل هذا الظلم الذي ظلمه لي!».

ومن هنا تبدأ تحدث الهزة:

1 **الهزة في تصوره لكرم اللَّـه**: والوعد الذي وعده به في قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3].

2 **يعقبها حالة غضب من اللَّـه**: فهو لم يكن يتوقع أن يتخلى اللَّـه عنه في لحظة كان يحتاج فيها إلى دعمه ومساندته.

وعبّر اللَّـه عن هذا الإنسان في القرآن بقوله: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: 56]، فـ﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾ **هنا هو هذا الإنسان الذي ضلَّ طريق اللَّـه وتاه عن فهم مراد اللَّـه وأقداره، فعاش في هذه الصدمة وشعر بالوحدة، فأصبح إنسانًا** مشتتًا، دائم الشك في اللَّـه.. ولسان حاله الداخلي أصبح يقول: «أنا لم أجدك في حياتي يا ألله، فهل أنت كذلك؟».

حقًّا ماذا وجد مَن فقد اللَّـه؟!

ملامح الإنسان القديم:

1	2
لديه خفوت في العبادة	التعلق الشديد بالأشخاص

1 لديه خفوت في العبادة:

وأنت الآن تقف أمام مرآة نفسك حاول أن ترى عبادتك: هل لديك **خفوت فيها**؟ هل عبادتك قليلة ومنطفئة؟ ولا أعني مايفعله الكثير من الناس كالذي لم يُصلِّ بسبب انشغاله بشيء آخر، بل المقصود هنا هو **من لديه حالة من فقدان جدوى العبادة**؛ أي تجد من يقول لنفسه: لماذا أصلي لله؟ أو لماذا أعبده؟ فهو يعلم ما أحتاج إليه لكن لا يرزقني به! لذا يقول اللَّـه تعالى: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [فصلت: 49]، أي أن هذا الإنسان لا يشعر بلذة الصلة مع اللَّـه..

2 التعلق الشديد بالأشخاص وتعتقد أن النفع والضرّ بأيديهم:

فنعم، صحيح أن اللَّـه قد أمرك بمساعدة الآخرين والاستعانة بهم وقت الحاجة لكن وأنت على دراية بأن النفع والضرَّ بيد اللَّـه، أما البشر فهم أسباب.

ومن بدأ حال الشك في اللَّـه يُسيطر عليه، بدأ قلبه يتعلق بالبشر؛ لأنه عندما لجأ لله من قبل وجده لم يفعل له شيئًا فيما يظن ويعتقد هو، فصار قلبه يُنادي البشر ويقول لهم انفعوني بدلًا من أن يدعو اللَّـه ويلجأ له، وصارت استعانته بالبشر لم تتعد حدود

الفعل الظاهري فقط، بل أصبحت بقلبه أيضًا. قال سيدنا إبراهيم لقومه: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ [الأنبياء:66]، فقد كان جزءًا كبيرًا من وظيفة الأنبياء هو محاولة إقناع الأقوام أن النافع والضار الحقيقي هو اللَّـه، فلا يتعلق قلبك بالبشر.

متى يتحول شكك هذا إلى عبء ثقيل على قلبك؟

1 عندما تشعر بافتقاد السند والظهر والدعم في الدنيا:

تبدأ السكينة في الخروج من قلبك شيئًا فشيئًا ويغيب عنك الهدوء في الدنيا، الذي يأتي في الأساس من الشعور بأن لك سندًا في الحياة، فما أجمل أن يكون سندك هو الملك المهيمن على كل شيء!

لكن.. إذا دبَّ فيك حال؛ أن اللَّـه قد تخلَّى عنك، فسيصيبك إحساس الوحشة وستَشعُر حقًّا أنك وحيدٌ في الدنيا، ولكن عندما تنظر ماذا قال اللَّـه تعالى للصحابة في أصعب لحظات حياتهم، وكيف أشعرهم بقربه منهم، ستعلم أنك لست وحيدًا.

ففي إحدى الغزوات التي كان بها أعداد قليلة من الصحابة مقابل أعداد كبيرة من المشركين، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ ﴾ [آل عمران: 154]، فطائفة من الصحابة وثقت بالله وأحسنت الظن به؛ فأنزل اللَّـه

عليها النوم حتى تستريح من صعوبة الحرب ومشقة الحر، وطائفة أخرى مُلئت بالظنون والشكوك تجاه اللَّـه ونصره لهم؛ فظنوا بالله غير الحق فيقولون: أين اللَّـه؟ يجب أن يكون معنا ونحن ننصره، وهذا هو ظن الجاهلية.

أين أنت يارب؟

كما حدث في قصة الفتاة التي كانت تحكي أنه كان هناك شاب في الجامعة يريد أن يخطبها، وكان لديه ماضٍ غير طيب، ولكنها تعلقت به وقبلت به، وكان دائم المحاولة في التقرب منها وفَعَلَ أشياء خاطئة معها، ولكنها كانت دائمة التوبة إلى اللَّـه، وتقول: «ثم أنام وأحلم بأنه يؤذيني، وكان كل من حولي يحذرني منه، حتى أدركت أنه لا يستغل غير جسدي وأموالي، فتركته وأنا مجروحة جدًّا، وحاول أن يعود لي بالفعل ليكمل استغلاله لي لكني رفضت؛ لأني مجروحة، وبعدما تركته ذهب وخطب أخرى ليضايقني، أما أنا؛ فالله وفقني وخُطِبت لغيره، لكن خطيبي هذا كان سيئ الأخلاق، فتركته، بينما الشخص الآخر تزوج بإنسانة تفعل له كل ما يريد، ورأيته يزدهر في حياته، وأصبحت أقول للَّه: «أين أنت يارب؟ فأنا قد تُبت إليك ولم أوفق في حياتي، بينما هذا الشخص الذي كان يبحث عن الحرام ازدهر في حياته ورزقته ووسعت عليه في الرزق؟»». فبدأت تشعر بأن اللَّـه تخلَّى عنها!

كما يحدث هذا في بيوت كثيرة في حالات الطلاق، أحيانًا يكون الزوج أو الزوجة ظالمة، وبعدما ينفصل كل منهما يعيش

الشريك الظالم حياته ويتزوج والآخر يتوقف حاله.. لا يتقدم، فيقول الثاني لله: أنت فتحت على الظالم يا ألله، وأين المظلوم؟! أين صدق وعدك يا ألله ونصرَتك للمظلوم؟ فيبدأ الإنسان يهتز لأنه شعر بأنه فقد السند!

بعدها تفقد حلاوة الإيمان؛ فالإيمان هو شعور معنوي له طعم، مثله مثل الطعام ذي المذاق الحلو الذي يُذهِب مرارة الفم، فأيضًا شعور الإيمان له طعم يُذهب مرارة المعاناة. عن الْعبَّاسِ بن عبد الْمُطَّلب أَنَّهُ سمع رسُولَ اللّهِ ﷺ يقول: «ذاقَ طعْمَ الْإيمَانِ من رضي باللَّهِ ربًّا، وَبالْإِسْلَام دينًا، وَبمُحَمَّدٍ رسُولًا»[1]. وكلمة (رب) أي المسئول عن الخلق والملك والتدبير، إذا كان عندك شك في اللَّـه بداخل قلبك؛ فأنت إذًا لديك انتقاد شديد للتدبير الذي يحدث في حياتك، فكيف تتذوق طعم العلاقة مع اللَّـه وطعم الإيمان وأنت مُنتقد تدبير الإله؟!

وعندما يفقد الإنسان طعم الإيمان هنا تبدأ رحلة البحث عن الإنسان الجديد، فلعل هذه الشكوك تكون بداية رحلة بحث عن الطمأنينة مع اللَّـه - عَزَّ وجَلَّ -.

كيف تتحول إلى الإنسان الجديد؟

1. احمل نفسك وهمومها وشكوكها وضعها بين يدي عالم مرب أو حكيم للقلوب والأرواح.

(1) رواه مسلم.

فالمشاكل الاعتقادية التي تطرأ على قلوبنا منشؤها مفهوم قولبة الإله، بمعنى أنك وضعت اللّـه في قالب وشكل معين وتوقعت منه الفعل في إطار هذا القالب، ولكن إذا فعل اللّـه أي فعل خارج هذا الإطار والقالب الذي وضعته في ذهنك تبدأ بالشك فيه.

2 تحتاج أن تعرف اللّـه من جديد.

الإنترنت ليس شيخًا مربيًا فاضلًا! فكثير من الأصدقاء لديهم شك في شيء معين يريدون أن يفهموه، فيبدأ أحدهم بالبحث في فيديوهات الإنترنت فيجد شخصًا ما يتحدث عن اللّـه بطريقة ضعيفة، ويجد في المقابل ملحدًا قويًا لديه قوة تنظير[1] عالية، فيُلحد؛ لأنه اعتقد بعدم وجود أحد قادر على الرد على هذا الملحد، وكل هذا لعدم لجوئه من البداية لشيخ مرب فاضل، ولجأ للوسيلة الخطأ، فانتبه من هذه المسألة واسأل عالمًا مربيًا فاضلًا.

«وإذا صدق المُريد وجد الشيخ على الباب».

اسأل واستجب لأمر ربك إذا شعرت بالشك فيه.

تأمل قصة قاتل الـ99 نفسًا الذي جعل اللّـه نجاته على يد شخص قال له: تبْ للّه. وكما قال اللّـه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: 59]، لذا اسأل واستجب لأمر ربك إذا شعرت بالشك فيه، وهذا ما فعله سيدنا خباب بن الأرت عندما كان في بداية الدعوة الإسلامية وآمن بالله وعُذِّب بشدة فتذبذب، ولكنه

(1) التنظير: مواجهة دليل ماديٍّ بدليل ماديٍّ أو تحويل دليل لنظرية أو فكرة.

لم يلجأ لأحد من أقاربه، بل ذهب للنبي ﷺ مباشرة، فعن خبَّاب قال: شَكَونَا إلى رسول اللّهِ ﷺ وهو مُتوَسِّدٌ بُرْدَه في ظلٍّ الكَعْبَةِ فَقُلنَا: أَلَا تَستَنْصِرُ لنا اللّهَ عزَّ وجلَّ ؟ فقال: «قد كان الرّجُلُ فِيمنْ كان قَبْلَكُمْ يُؤْخذُ فيُحْفَرُ له في الأرْضِ فيُجَاءُ بِالْمِنشارِ فيُوضَعُ على رأْسِهِ فيُجْعَلُ بِنِصْفيْنِ فما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، ويُمْشَطُ بِأمْشَاطِ الْحدِيدِ ما دونَ عظْمِهِ من لحْمٍ أو عصَبٍ فما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ اللّـهُ هذا الأمْرَ حتى يسِيرَ الرّاكِبُ من الْمدِينَةِ إلى حضر موت لَا يخَافُ الا اللّهَ - عزَّ وجلَّ - والذِّئْبَ على غنَمِهِ ولَكِنَّكُمْ تسْتَعْجِلُونَ»[1]. فيعود خباب بن الأرت لديه قوة أكثر ويقين أكثر؛ لأنه استعان بالنبي ﷺ. فقد قـال اللّـه تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: 36]. وتستعيذ بالله عن طريق الدعاء له واللجوء إلى أهل اللّـه.

3. لا تنس الثوابت وقت الهزة.

فكما قال اللّـه عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: 3]. تذكر دائمًا خير وفضل اللّـه عليك، يقول ابن عطاء اللّـه السكندري[2]:

(1) مسند أحمد بن حنبل.

(2) فقيه مالكي، من أشهر أعماله مجموعة من الحكم تسمى بالحكم العطائية.

«لا يَكُنْ تأَخُّرُ أَمَدِ العَطاءِ مَعَ الإلْحاحِ فِي الدُّعاءِ مُوجِبًا لِيأْسِكَ. فَهُوَ ضَمِنَ لَكَ الإجابَةَ فيما يَخْتارُهُ لَكَ لا فيما تَخْتارُهُ لِنَفْسِكَ، وَفي الوَقْتِ الَّذي يُريدُ لا فِي الوَقْتِ الَّذي تُريدُ».

فالله ضمن لك الإجابة مهما تأخر العطاء، لكن بالطريقة التي يريدها لك، وهي بالتأكيد أفضل وأحسن وأحكم من طريقتك التي تضعها في ذهنك، وفي الوقت الأنسب لك؛ لأنه - سبحانه وتعالى - حكيم، فتذكر هذه الثوابت بأن اللّـه مُدبر الأمر، فلا تعبد اللّـه وكأنك في صفقة معه؛ أي تفعل طاعات لله حتى يفتح عليك ويرزُقك، لا.. فأنت في علاقة مع اللّـه يديرها اللّـه عزوجل وليس أنت، فاطمئن وتذكر أن معك ربًا كريمًا حكيمًا.

أَلَا فَاصْبِرْ على الحَدَثِ الجَلِيْلِ .. وَدَاوِ جِوَاكَ بالصَّبْرِ الجَميلِ
وَلَا تَجْزَعْ وإِنْ أَعْسَرْتَ يومًا .. فقد أيسرت في الزمن الطويلِ
ولا تَيْئَسْ فإِنَّ اليَأْسَ كُفْرٌ .. لَعَلَّ اللَّـه يُغْنِي مِنْ قليلِ
ولا تَظْنُنْ بِرَبِّكَ غير خَيْرٍ .. فَإِنَّ اللَّه أَوْلَى بالجميلِ
وأَنَّ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ .. وَقَوْلُ اللَّـهِ أصدَقُ كُلِّ قِيلِ

«علي بن أبي طالب»

هذه المواهب التي أعطاها اللّـه لك من كل خير في حياتك، فعند الأزمة والهزة العنيفة التي تعصف بك اطمئن فهو موجود، شهيدٌ وحاضرٌ معك يراك ويسمعك، فالجأ لبابه والجأ لعالم يُخبرك بحكمته - سبحانه وتعالى - ولا تحزن على نفسك بسبب هذه الشكوك، لكن اجعلها قوة دافعة أنك تبحث عن اللّـه عزّ وجل.

هكذا أرادك اللّه أيها الإنسان الجديد:

مُستسلمًا، تتحرك كريشة في الهواء يُسيرك الرحيم كيف يشاء،

يقول سيدنا أبو الدرداء: إذا قضى اللّـه قضاءً فهو يُحب أن يُرضى به. **استسلم أيها الإنسان الجديد.**

ففي بعض العمليات لا نحتاج سوى مخدر موضعي، لكن الطبيب يستخدم مخدرًا كليًّا لصعوبة رؤية المريض للعملية وحركة الأطباء من حوله، فيجعلونه مُستسلمًا نائمًا، **فأنت في حاجة للاستسلام لله وهو يفعل ما يريد - سبحانه وتعالى.**

فالأم ترفض وتقول: «لا.. لا أريد عملية لابني حتى لا يتألم». لكن الأب قال: إنه يجب أن تتم هذه العملية. حتى يسير ابنه على قدميه، فهذه العملية التي تحتوي في الظاهر على شر هو في الواقع خير عظيم، وهذا كان واضحًا في رفض الأم لهذه العملية التي تحتوي على الشر في الظاهر، بينما في الحقيقة هناك خيرٌ كثير مُنع بسبب منع الأم لهذا الشر، والنتيجة أن هناك الكثير من الناس عاشوا حياتهم وكبروا بالآلام بسبب خوف أهاليهم عليهم من جراحة معينة.

أحيانًا تكون هناك شرور تحدث في حياتنا وراءها خيرات كثيرة، فأوصيك بالاستسلام لله إذا حدثت لك جراحة في الأقدار.



الخلاصة:

- **تعريف الشك في اللَّـه:** اهتزاز الثوابت المرتبطة بتصور الإله.
- **علامات الإنسان القديم المصاب بالشك في اللَّـه:**

1. خفوت في العبادة بسبب فقدان جدوى العبادة.
2. التعلق الشديد بالبشر.

- **العبء الناتج عن الشك بالله:**

1. افتقاد السند والظهر.
2. فقدان حلاوة الإيمان.

- **كيف تصير إنسانًا جديدًا؟**

1. العثور على شيخ مربٍّ عالم.
2. التعرف إلى اللَّـه من خلال الشيخ المربي.
3. عدم نسيان الثوابت وقت الهزة.

مراد اللَّـه منك: مُستسلم، تتحرك كريشة في الهواء يُسيرك الرحيم كيف يشاء.

*** تعرَّف إلى الله بجميل صفاته، وأَوْجِد لك من يطمئنك ويعرفك عليه.. هذا ما سيعينك إذا اشتدت عليك المحن والبلاءات، ويقوِّي من ثباتك وإيمانك وحبك لرب العالمين.**

التفرد بالنجاح

أسعدُ إنسان هو من حقق رغباته دون أن يخسر فطرته السوية، **فما قيمة النجاح في الحصول على قطعة من جناح البعوضة، ثم لقاء رب كريم بقلب مليء بالحقد والأنانية** ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾؟! فأنت تصلي وحدك وتُردد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ من أجل الشعور بروح الجماعة، **فهل فكرت ما الذي يطيل عمر الإنسان؟** إنها الصدقات الجارية التي تنهال عليه فور موته ممن ذاقوا فضله عليهم أيام حياته، ومع ذلك أصرَّ البعض على تأليه النفس وخدمتها ومحاربة كل من يشاركها المنافع بكل قسوة ولا مبالاة! تشرشل - داهية السياسة البريطاني - كان مبدؤه **إن لم تكن ذئبًا أكلتك الذئاب!**

فلماذا نختار بإرادتنا تحويل الحياة لمجموعة ذئاب؟ ولـمَ لا تحيا كالأسد؟ يصيد ثم يترك الطيور الجارحة تشاركه الأكل من هذا الصيد؟

فقد قتلت تشاو - أميرة الشر - في منتصف القرن السابع ابنهَا؛ لإلصاق التهمة بأقرب منافسة لها كي تحظى بإمبراطورية الصين، وتم إعدام هذه المنافسة، ونالت تشاو كرسي الإمبراطورية لكنها خسرت فلذة كبدها، وخسرت معه نفسها وما تبقى فيها من إنسانية! فما أشد التفرد بالنجاح!

صدق من سمى حب التفرد بالنجاح أنانية؛ لأن الأنا في الحقيقة صارت هي النية!

رغم أنه ليس دائمًا نجاح الآخر يعني فشلك؛ فالرب معطاء والكون واسع والأرزاق قسمت، *ومن أراد النجاح الحقيقي فليعش خادمًا وناصرًا ومعينًا، لا أن يختار السعادة والضحك على أنقاض أحزان أقرانه وإخوانه في الإنسانية.*

1 فنم وأنت مطمئن أن رزقك يسعى وراءك أسرع بكثير من سعيك وراءه.

2 واجعل نجاحك شعلة يسير في ضوئها من أراد النجاح.

3 ولا تنظر للنجاح من زاوية ضيقة وأنت لا تتمناها لغيرك.

4 وانظر للنجاح كأريكة تسع الجميع، ويستطيع أن يجلس عليها الكثير، ويتذوق طعم ما تذوقت، فربك رحيمٌ واسع الفضل والجود.

5 فلا تسع لتحقيق ما تتمناه على فشل من حولك.

6 ولا تر أن تحقيق الإنجازات لا يأتي إلا على حساب فشل الآخرين، وصعودك لا يتحقق إلا بإنزال الآخرين.

7 ولا تكن كصاحب الشخصية الصراعية الذي لا يرى مركزية في حياته سواه، أما نجاح الآخرين فيساوي فشله؛ لذا فهو وحده من يستحق التقدم، أما غيره فمكانه في الدنو، فقد

أصبح إنسانًا مصبوغًا بلون الأنانية، لا يدرك الخط الرفيع الذي يفصل بين معاني التنافس ومستوياتها.

فالكبير حقًّا هو من يشعرك وأنت بجواره أنك أيضًا كبيرٌ.

مستويات التنافس وفقًا لعلماء النفس ثلاثة:

1	2	3
إنسـان يُنافس نفسه	إنسان يُنافس غيره تنافسًا شريفًا	إنسان يتنافس التنافس الخبيث

1 إنسـان يُنافس نفسه على حسب إمكـانياتـه، ويريد التقدم باستمرار.

2 إنسان يُنافس غيره تنافسًا شريفًا، وكل منهما بإمكانياته وطاقاته وأفكاره، ومَن يجتهد أكثر فسيُكرمه اللّـه - عزَّ وجلَّ.

3 إنسان يتنافس التنافس الخبيث، أي أنه يبحث دائمًا عن تدمير المُنافس الآخر حتى يتقدم هو وحده.

هكذا نعيش في دوائر المنافسة؛ لذا لم أتعجب كثيرًا عندما قرأتُ بحثًا عن الصفات التي أصبحت منتشرة في أوطاننا العربية في هذه الأزمنة، فوجدت أن الأنانية والذاتية من أكثر تلك الأحوال التي أصبحت منتشرة بيننا، والتي تؤدي بالتبعية لفقدان الإنسانية بالتدريج.

لماذا يسعى الإنسان للتفرّد بالنجاح؟

يسعى الإنسان للتفرد لأن وراء ذلك:

- «**خللًا في العقيدة**»؛ حيث يرى الإنسان أن **أرزاق اللَّه لا تكفي للجميع، فإما أن يأخذ هو، وإما أن يأخذ غيره فقط، وكأنه يعتقد أن اللَّه غير قادرٍ على أن يرزق كل الناس؛**

عن أَنَسٍ، عن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1].

ومن صور التفرّد بالنجاح الواضحة في مجتمعاتنا للغاية:

- مدير يسرق جهد الشباب في الشركة التي يعملون بها، ويقدمه للإدارة على أنه هو من أنجزه!
- شباب يسهرون ويتعبون على مشروع تخرجهم، وفي النهاية يسرقه طالب منهم ويُقدمه باسمه!
- أب وأم ينفصلان، ولكي يكسب كل منهما الأطفال يسب ويذم كل طرف الطرف الآخر!

ففكر جيدًا هل هذه الصور في حياتك؟ وهل تُريد النجاح على حساب الآخرين، أم تنافس نفسك أم غيرك لكن بمنتهى الشرف ودون إيذاء؟

---

(1) رواه البخاري.

عواقب التفرّد بالنجاح:

استبدال النفس الإنسانية الراقية المخلوقة على الفطرة بنفس وحشية: هذا الشخص زرع في قلبه نبتة الحقد والتي تعد أثقل نبتة يمكن أن يحملها الإنسان في قلبه، فهي من أكثر السمات التي تجعل الإنسان يقترب من الوحوش، الذي قال اللّـه عنه في القرآن: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾ [آل عمران: 120]، ويُشكل عبئًا ثقيلًا جدًّا على الإنسان عندما يرى نجاحًا لآخرين من حوله؛ لأن الفرحة نفسها التي تكون في قلبه عندما ينجح ستتحول إلى قهرٍ وحقد على الآخرين إذا نجحوا، وهذا طبيعي؛ لأن الحال يتبدل، ولأن الفرحة غير السوية ستُكون حزنًا غير سويٍّ كأنك هُزمت،

فعَنْ أَنَس بْن مَالك : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ»[1].

فالشخص المُتَفرد إذا وجد شخصًا يسابقه ويتعداه؛ يحقد عليه ويتمنى له الشر في الحال! كما فعل اليهود مع العرب لمَّا جاءت النبوة وبرزت الرسالة فيهم، فعلى الرغم أن اليهود قتلوا الأنبياء وذبحوهم، فإنهم حقدوا على العرب خروج النبي ﷺ منهم، وقد

(1) رواه البخاري.

وضح القرآن ذلك في العديد من آيات سورة البقرة، منها: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة: 109].

- فقدان النصير، فلا يكون لك صاحب؛ لأن القلوب جُبلت على حب من أحسن إليها، والقلب ينفر من الذين يضغطون على غيرهم.

عَن ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إنكم لن تَسَعُوا الناسَ بأموالكم، ولكن يَسَعُهم منكم بسطُ الوَجْه، وحُسْنُ الخُلق»[1].

- والأوفياء عندما يجدون شخصًا يحقد عليهم لا تطيق قلوبهم هذا الشعور المؤذي.

توقفت.. وأصبحت غير قادرة على الكلام!

أتذكر هنا هذه القصة التي قصَّها عليّ شخصٌ ذات مرة، وهي أن المديرة صاحبة العمل تأخذ عملهم وتُقدمه على أنه عملها، وهي لم تطّلع أبدًا على أي شيء، وذات مرة كان هناك اجتماع وكان المدير الأكبر موجودًا، فأخذت تقرأ عليه العمل الذي أخذته من الموظفين على أنه عملها، فقال لها المدير: اشرحي لي نقطة معينة. فتوقفت وهي غير قادرة على الكلام؛ لأن كل التفاصيل مع

(1) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني.

الموظفين الذين أخذت منهم عملهم حتى تتفرَّد بالنجاح، وكانت في موقف محرج جدًّا؛ لأنها لا تستطيع الكلام بسبب أنها لا تعلم شيئًا. فاحرص على ألا تكون مثلها.

ماذا أراد الله منك أيها الإنسان الجديد؟

- أرادك مُتخلِّصًا من هذا الحال الكئيب الذي يجعل الإنسان أنانيًّا.
- أرادك مُتخلِّصًا بالمشاركة لا بالمغالبة، ولا **بقانون الغابة**، وهذا لن يأتي إلا من إنسان سليم العقيدة، إذا أتته فرصة لإيذاء الآخرين لينجح هو فلن يُقدم عليها؛ لأنه يعلم أن: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: 2، 3]، وأيضًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: 4]، وهذا يحتاج لشخصٍ لديه عقيدة ثابتة، ومُقتنع بأن اللـه - عزَّ وجلَّ - لديه الكثيرُ ويرزق الجميع، ويعلم أيضًا أنه إذا كان نافعًا لغيره فالله - سبحانه وتعالى - لا يُضيع أجر من يعمل خيرًا.

كان في استطاعته النجاح بمفرده!

كان لي زميل في الجامعة متفوقٌ جدًّا، وكان يأخذ أصدقاءه ليشرح لهم المواد المتفوق بها، رغم أنه من السهل أن يُغلق على نفسه فيصبح ليس له علاقة بأحد، ولكن هذا الإنسان الآن أخذ الدكتوراه بسرعة جدًّا وهو في سن صغيرة، قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [المزمل: 20].

كيف تتوقف عن التفرّد بالنجاح؟

أولًا: حتى يكون لديك مشاركةٌ ونفسٌ سمحةٌ لقبول نجاح الغير، يجب أن تترك **للآخرين فرصتهم، وتدعمهم لينجحوا، وهذه** *من سمات الشخص القائد.*

الأرض تسع الجميع..

أخبرني طفلٌ أنه تعلَّم من أبيه التالي، يقول: كان لديهم دابة يذهبان بها إلى الغابة حتى يقطعا الأشجار، فكان والده يدخل بها وسط الغابة على الرغم من وجود أشجار في أول الغابة، فقال الطفل: «لماذا يا أبي، ندخل وسط الغابة مع أنه في استطاعتنا قطع الشجر من الخارج؟». فقال له: «يا بني، هناك فقراء ليس لديهم دواب حتى يركبوها ليدخلوا إلى الداخل، فيقطعون الأشجار من الخارج، أما نحن فندخل بالدابة التي معنا». فعلَّمه أن **الأرض تسع الجميع وتتسع لأرزاقهم.**[١]

> ***«إن أسرع طريقة للنجاح هي أن تساعد غيرك حتى يكون ناجحًا».***
>
> ***«نابليون بونابرت»***[1]

اللَّـه – عزَّ وجل – قال لنا مَن يُساعد غيره فإن الجزاء من جنس العمل، وقال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: 1، 2]، ثم

(١) نابليون بونابرت الأول هو قائد عسكري وحاكم فرنسا وملك إيطاليا وإمبراطور الفرنسيين، عاش خلال أواخر القرن الثامن عشر وحتى أوائل عقد العشرينيات من القرن التاسع عشر.

تحدث عن الإنسان الذي يرى نفسه: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [البلد 5: 16]، فالغارق في هذا الحال يحتاج إلى أن يجتاز هذه العقبة، ولن يستطيع إلا بدعم غيره من الإطعام وفك الكروب كما ذكرته الآية التي تنتزع الأنانية والتفرد من النفوس حتى يُنجيك اللّـه.

ثانيًا: أن تدعو كثيرًا لزملائك والمنافسين لك بظهر الغيب:
والنبي ﷺ علمنا أن مَن ***يدعو لغيره بشيء يُحققه اللّـه له،***

عن أبي الدَّرْدَاءِ، قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «ما من عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إلا قال الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ»(1).

لكن الأهم أنك عندما تدعو له يكون قلبك واسعًا، ويأخذ من صفة اللّـه الواسع، ولا يكون ضيقًا وفيه نبتة الحقد وعدم الوفاء، وتتخلص من هذه النفس الوحشية وتتحلى بالنفس النبوية التي كانت تُحب الخير للجميع، ورسولنا الكريم يقول لنا أريدكم في مقامي ومكاني يوم القيامة، فهو لا يُريد أن يجلس في مكانٍ عالٍ ونحن في الأسفل، بل يريدنا معه.

فكن نبويًا محمديًا، وتخلّص من حال التفرّد بالنجاح.

---

(1) رواه مسلم.



الخلاصة:

- **لماذا يسعى الإنسان للتفرّد بالنجاح؟**

- خلل في العقيدة.

- **عواقب التفرّد بالنجاح:**

1. استبدال النفس الإنسانية الراقية المخلوقة على الفطرة بنفس وحشية.
2. فقدان النصير.

ماذا أراد اللّـه منك أيها الإنسان الجديد؟

1. أرادك أن تتخلص من هذا الحال الكئيب الذي يجعل الإنسان أنانيًا.
2. أرادك أن تعيش بالمشاركة لا بالمغالبة، ولا بقانون الغابة.
3. أرادك أن تترك للآخرين فرصتهم، وتدعمهم لينجحوا.

- **كلما أرادت نفسك أن تتفرد وتتغلب على من أمامها، فحينها لا تدعها تفعل ذلك، وأمسك زمامها، فحينها تفرق بين ما يجب عليك قوله وبين ما عليك أن تتركه، وتكون قد أعطيت لغيرك الفرصة ليكون مشاركاً لك.**

العشوائية

صدق أينشتاين عندما قال: **لقد خلق اللّـه الكون وفقًا لقوانين لا تعترف بالمُصارعة أو العشوائية، فالنظام والتخطيط** هما الكلمتان السحريتان اللتان **تقفان خلف أي إنجاز**، أما العشوائية فهي **الوحدة الأصلية التي يتكون منها الفشل والتراجع**، وإذا كان الدين نظامًا سماويًّا، فهو ما أُنزل إلا لتنظيم وضبط علاقات البشر بخالقهم وببعضهم، وانتشالهم من عشوائية اختيار المعبودات التي تروق لهم.

فهذا يعبد البشر، وهذا يعبد الحجر، وهذا يعبد القمر، حتى وصلت عشوائية الإنسان إلى أن يعبد البقر، لكن الوحي جمعهم جميعًا على إلهٍ واحد؛ هو صاحب القدر حتى استغرب المشركون فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص 5]، ولا ينجو الإنسان في الآخرة إلا إذا أنقذ نفسه من عشوائية التصرف، فلا يُقدم على فعل إلا وهو مستعد للإجابة إذا سُئل عنه في الآخرة وإلا كان من الغافلين!

حتى المشروعات الصغيرة أو الشركات العملاقة لا تنجح إلا بالحماس والمشاعر الجياشة، لكن هناك دراسات جدوى وحسابات للأرباح والخسائر، وإلا كان الفشل مصير هذه الأعمال في كثير من الأحيان

فلا تستعجب هذه الحكمة الحكيمة أن مَن **فشل في التخطيط فإنما بذلك خطط للفشل!**

معنى كايزن

واليابانيون يُقدسون كلمة (كايزن) ومعناها التحسن المستمر المبني على وضع خطة واضحة مُقدسة والاستماتة طوال اليوم والالتزام بهذه الخطة.

فمن الآن ابدأ في بناء ذاتك المستقلة وارسم لها الطريق المناسب، وخذ المبادرة والخطوة الأولى، واعلم أن رأس مالك عمرك فلا تُبدده، لأن اللحظة الفائتة لن تعود إلى يوم القيامة، فالوقت عبادة فلتؤدها في وقتها، وأدرك أن لكل مرحلة إنجازها، وإذا كنت لا تعلمها بعد.. فتأكد أنك مازلت تعيش في عشوائية لا بد أن تتخلص منها!

مفهوم العشوائية من القرآن الكريم:

لقد حثنا القرآن الكريم على ضرورة أن يكون لكل منا رؤية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾ [الحشر: 18]، أما العشوائية فتجعل الإنسان يعبر مراحل حياته دون إنجاز شيء، وقد تحدث القرآن الكريم عن أناس يطلق عليهم «الدهريين» يدّعون أنه ليس هناك خطوة قادمة كي يخططوا لها - يقصدون بذلك لقاء اللّـه - قال تعالى على لسانهم: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: 37].

أسباب نشأة هذه الحال:

حسب آراء علماء النفس والإدارة فمن يُسيطر عليه حال العشوائية لا يُحب الالتزام بوقت أبدًا، رغم أن شريعتنا الإسلامية أساسها تنظيم الوقت، فأركان الإسلام أغلبها بوقت، والصلوات في أوقات معينة كما قال تعالى: ﴿كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾، وكذلك الزكاة في وقت محدد من العام والحج وغيره من أركان الإسلام، وكأن اللّـه تعالى يربي الأمة على الترتيب وعدم العشوائية، كل شيء في وقته ووفقًا للترتيب الذي يحبه اللّـه سبحانه.

علامات العشوائية:

2	1
غياب الخطوة القادمة	تبني الفوضى والدفاع عنها

1. تبني الفوضى والدفاع عنها والسخرية من المنظمين: أن يكون لديك فوضى أيضًا في علاقتك مع اللّـه - سبحانه وتعالى - قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: 19]، فتحيا دون أن تدري هل أنت صالح أم لا؟ هل أنت قريب من اللّـه أم بعيد، تجمع صلواتك في آخر اليوم لأنك لم تنظم يومك فلم تجد وقتًا للصلاة؟ وتبني الفوضى له صور عديدة تبدأ من دولاب ملابسك الذي تضطر أن تُفرغ جميع محتوياته كي تُخرج منه قميصًا ترتديه، كما تظهر أيضًا في الإنفاق؛ كأن تشتري هاتفًا غالي الثمن في منتصف الشهر ثم تعاني من ضيق ذات اليد حتى آخره!

2. غياب الخطوة القادمة: فلو كنت مثلًا في السنة الأخيرة في الجامعة، هل أعددت نفسك لسوق العمل؟ هل فكرت في خطوة ما بعد التخرج؟

وإذا أردت الزواج مثلًا فهل قمت بالادخار لهذا الأمر؟ إنّ رؤية الخطوة القادمة ليست في الأمور الدنيوية فقط، بل وحتى في الاستعداد للقاء اللّه الآخرة. ولتعلم أن العشوائية بها كِبر فلسان حالك يقول: «أستطيع التعامل والتصرف مع الأمور في وقتها»، وهو ما يطلق عليه «الثقة الزائفة»، يقول تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: 7].

كيف يُشكل حال العشوائية عبئًا؟

1
افتقاد السيطرة على حياتك

2
افتقاد الإنجاز

1. **افتقاد السيطرة على حياتك** وترك زمامها وفقًا للظروف وقد تكون غير مستعدٍّ لها.

> فعن أَنَسَ بن مالِكٍ يقول: قال رجُلٌ: يا رسُولَ اللّهِ، أُرْسلُ نَاقَتي وأَتَوَكَّلُ على اللّهِ. فقال: «بلْ اعقِلْهَا [1] وتَوَكَّلْ» [2].

(1) اعقلها: أي اربطها.

(2) الآداب للبيهقي.

فانتبه لأن اللّـه يمكن أن يقبض روحك في أي لحظة، ولا بد أن تخطط للقائه - سبحانه وتعالى - فقد أمرنا بذلك.

كان سيدنا محمد ﷺ ذات يوم يصلي، وبعدما انتهى ذهب مسرعًا إلى بيته ثم عاد مرة أخرى وجلس ليختم الصلاة، فتعجب الصحابة من ذلك وسألوا النبي ﷺ فقال: «ذَكَرتُ شيئًا من تِبرٍ عِندَنَا فَكَرِهتُ أنْ يَحبِسَنِي فَأَمَرتُ بِقِسمَتِهِ».[1]

2 افتقاد الإنجاز: الإنسان المنظم المخطط لديه إنجازات في كل مرحلة من مراحل حياته لامتلاكه الرؤية المستقبلية، لذلك

- يقول علماء الإدارة:

الإنجاز يتحقق من التخطيط الجيد، والالتزام بالخطة، والتعلم من الأخطاء.

الحياة في ظل العشوائية:

بالتأكيد ستكون حياة أركانها الفشل وعدم الإنجاز، فكم من بيوت أُغلقت بسبب عدم تحمل الزوج للمسئولية، وافتقاد الرؤية لأولويات الحياة؟ سيدة كانت تشتكي وتقول: «عندما كنا في فترة الخطبة كان زوجي يشتري لي الهدايا الثمينة ويعيش حتى

(1) رواه البخاري.

آخر الشهر على حساب والده، وفي بداية زواجنا كان يطرأ بباله أفكارٌ كالسفر لتناول العشاء في مكان آخر، ثم نعود في نفس اليوم فننفق الكثير، وكنت سعيدة بمثل هذه الأشياء، ولكن بعد إنجابي لطفلين لم يُدرك زوجي مدى المسئولية التي صارت على عاتقه، وظلَّ يتبع نفس الأسلوب في الإنفاق، فمثلاً في يوم جاء المنزل ومعه زهرية غالية الثمن، فسألته لِمَن هذه الزهرية؟ فقال أعجبتني فاشتريتها، ومكثنا لآخر الشهر وليس معنا ما يكفي من المال لشراء حتى الدواء للصغار!» فانظر كيف تسبب هذا الزوج العشوائي في إنهاء هذا الزواج! ولا شك أن الزوج آثمٌ لقوله ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ»[1].

فعندما أرسل سيدنا محمد ﷺ معاذ بن جبل الصحابي الجليل إلى اليمن قال له: « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا من أَهلِ الكِتَاب، فإذا جِئْتَهُمْ فَادعُهُمْ إلى أَنْ يَشهَدُوا أَنْ لا إِلهَ إلا اللَّـه وأَنَّ مُحمَّدًا رسول اللّهِ، فإِنْ همْ أطاعوا لك بذلِكَ فَأَخبِرْهُمْ أنَّ اللّهَ قد فرَضَ عليهم خَمسَ صلَوَاتٍ في كل يَومٍ وَلَيلَةٍ، فإِنْ هُمْ أطاعوا لك بِذلِكَ فأَخْبِرْهُمْ أنَّ اللّهَ قد فرَضَ عليهمْ صدَقَةً تُؤْخذُ من أَغْنِيَائِهِمْ فتُرَدُّ على فُقَرَائهِمْ، فإِنْ همْ أطاعوا لك بِذلِكَ فإِيَّاكَ وكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ واتَّقِ دعْوَةَ الْمظْلُوم فإنه ليس بيْنَهُ وبَيْنَ اللّهِ حِجابٌ»[2]، فانظر كيف كانت الرؤية والتخطيط في المنهج النبويّ.

---

(1) سنن النسائي.

(2) رواه البخاري.

ماذا أراد اللَّه منك أيها الإنسان الجديد؟

أراد منك التخلص من حال العشوائية وتكون «مُدبّرًا»، والتدبير من صفاته - عزَّ وجلَّ - ونحن مأمورون بالتخلق بصفات اللَّه الجمالية، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، فاعمل على نشر صفات اللَّه - عزَّ وجلَّ - كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4]، فكل شيءٍ عنده بنظام، ويقول أيضًا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، فكل أمرٍ من أمورك لا بد أن يصحبه تفكير وتقدير وتخطيط، **وسر نجاح العالم الآن هو التخطيط والالتزام بالخطط والاجتهاد**، وكان دأبه ﷺ أن يُحدثنا بما يزيل هذه العشوائية من حياتنا،

كقوله ﷺ: «إذا كُنْتُمْ ثَلاثَة فِي سَفَرٍ فَأمِّرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدَكُمْ»[1].

حتى يكون هذا الشخص أوضح منكم رؤية ويتحمل مسئولية اتخاذ القرارات كي لا يقع بينكم اختلاف.

صلاة الخوف

وأحيانًا يحدث في الشريعة تغيرات وفقًا لحالك، فهناك في الفقه ما يُسمى بـ«**صلاة الخوف**»، وذلك في حال الحرب، إذا كان العدو في جهة والقبلة في الجهة المقابلة، فنصف الجيش يقف مواجهًا للعدو، بينما يُصلي النصف الآخر خلف الإمام متوجهًا للقبلة

(1) المعجم الكبير للطبراني.

ركعتين، ثم يأتي النصف الآخر الذي كان مواجهًا للعدو ليصلي الركعتين الأخريين خلف الإمام، ويقف النصف الأول مكانهم مواجهًا للعدو، وهنا تظهر الرؤية ويظهر التخطيط، والله - سبحانه وتعالى - يُحب للعقل المؤمن أن يكون مُدبرًا، فإذا كنت ترغب في تحقيق نجاح على المستوى الدنيوي ومستوى علاقتك مع اللـه - سبحانه وتعالى - فكن دائمًا مدبرًا.

كيف تُصبح إنسانا جديدًا مدبرًا؟

كي تتخلص من العشوائية عليك أولًا «ترتيب أولوياتك»، فلديك أربعة جوانب أساسية في حياتك وهي:

1	2	3	4
جانب روحاني	جانب مادي	جانب اجتماعي	جانب صحي

1. جانب روحاني: وهو علاقتك بالله، فعليك أن تُحافظ على صلواتك لأنها عماد الدين، ومن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين، فرتِّب يومك على الصلاة، وعليك أن تراجع نفسك دائمًا وأين أنت من أركان الإسلام.
2. جانب مادي: وهو شغلك أو دراستك، فإن كنت طالبًا فينبغي أن تكون مجتهدًا؛ لأن التقدم في العالم الآن قائم على العلم وتطوير المهارات، وإن كنت لا تُحب مجال دراستك فعلى الأقل انته منه ثم طور مهاراتك بعدها، حتى يكون لك قيمة في سوق العمل، واسع لتجويد نفسك باستمرار، فهذا من باب السعي للرزق.

3. جانب اجتماعي: ويشمل علاقتك بأقاربك وأصدقائك وكل معارفك، لاسيما الذين لا تسأل عنهم مما قد يُسبب لهم حرجًا، فاسأل عنهم حتى من باب جبر الخواطر، أو قد يكون بينك وبين أحد أصدقائك قطيعة فأنهها حتى لو بمكالمة تليفونية، واعلم أن اللّه تعالى يفتح أبواب الجنة يومي الإثنين والخميس، فيغفر لكل مسلم لا يشرك به شيئًا إلا اثنين متشاحنين.

4. جانب صحي: يخص جسدك، فإن كنت مثلًا لا تستطيع النوم لمدة أسبوع بسبب ألم في أسنانك، أو لا تستطيع القراءة لحاجتك إلى نظارة، كل هذه الأمور وما على شاكلتها هي من صلب الدين، بل إن رسولنا الكريم ﷺ كان يتحدث مع الصحابة في مثل هذه التفاصيل، فالدين ما هو إلا ضبط للحياة ولعلاقتك مع اللّه ومع الخلق ومع نفسك.

> **«التمني يستهلك نفس الطاقة التي يستهلكها التخطيط»**
>
> ***«روزفلت»***[1]

ويتجلى هذا الأمر في أمّة ازدهرت بسبب التخطيط، وكان السبب في ذلك سيدنا يوسف عليه السلام، تأمل معي هذه القفزة الهائلة لإنسان خرج من السجن ليكون وزيرًا للخزانة في الوقت الذي تتعرض فيه بلاده لمحنة كبيرة، كيف أخرجها من هذه المحنة؟ إنها الرؤية والتخطيط وعدم العشوائية، وذلك عندما رأى الملك رؤيا

(1) رجل دولة وزعيم سياسي أمريكي شغل منصب الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة.

فسرها له سيدنا يوسف بأن البلاد ستقع في مجاعة، ثم قام بوضع الخطة لاجتياز هذه المحنة، يقول تعالى على لسان سيدنا يوسف: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: 47] أي تزرعون سبع سنين جادين فما حصدتم فادخروه، واتركوه في سنبله، إلا قليلًا مما تأكلون ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ [يوسف: 48] أي يأتي بعد هذه السنين الخصبة سبع سنين شديدة الجدب، يأكل أهلها كل ما ادخرتم من قبل، إلا قليلًا مما تحفظونه، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: 49]، أي سيأتي بعد هذه السنين عام يغاث فيه الناس بالمطر، فيرفع اللَّـه تعالى عنهم الشدة. انظر كيف كانت الرؤية لدى سيدنا يوسف عليه السلام فأحدث بها قفزة في الدولة، بل وفي حياته هو، بالتخطيط وليس بالعشوائية!

فالإنسان الجديد هو إنسان مدبر، متخلص من حال العشوائية التي تفقد الإنسان رؤيته للغد، هذا الغد الذي سنقف فيه بين يدي اللَّـه - سبحانه وتعالى - فهيا من الآن خطط لحياتك بما فيها من طاعات، وكذلك طور من نفسك وانجح؛ لأن اللَّـه يُحب النجاح بل فرضه علينا.

سمِّ اللَّـه، وتوكل عليه، وكن الإنسان المدبر المتخلص من حال العشوائية.



الخلاصة:

العشوائية هي الوحدة الأصلية التي يتكون منها الفشل والتراجع.

- **علامات الشخص العشوائي**

1. تبني الفوضى والدفاع عنها والسخرية من المنظمين.
2. غياب الخطوة القادمة.

- **كيف يُشكل حال العشوائية عبئًا؟**

1. افتقاد السيطرة على حياتك.
2. افتقاد الإنجاز.

- **ماذا أراد اللّـه منك أيها الإنسان الجديد؟**

- ترتيب أولوياتك في كل من الجوانب الآتية:

1. جانب روحاني.
2. جانب مادي.
3. جانب اجتماعي.
4. جانب صحي.

*** رتب أمورك وعالجها حتى إذا كُنت مصابًا بالعشوائية، فلا تزيد الأعباء عليك وأنت لا تعلم.**

عدم إكمال المهام

لقد دوَّنت صفحات التاريخ بحروف من ذهب، حياةَ أُناس عظماء، بدءوا حياتهم بدايات متواضعة، لكنهم ما تركوا الدنيا إلَّا بعد أن حفروا أسماءهم وإنجازاتهم في قلوب البشر؛

منهم: بلال الحبشي العبد الأسود المُستضعف، كانت يده في يد الرسول الكريم منذ فجر الدعوة حتى انتقل رسول اللَّـه - عليه الصلاة والسلام - للرفيق الأعلى، وبلال ما زال يؤذن فوق الكعبة؛ ليجمع الناس على ربهم؛ فاقترن اسمه إلى يوم القيامة باسم رسول الله ﷺ، وطه حسين الشاب الفقير الضرير ابن القرية البسيطة، بدأ من غرفة صغيرة على الضوء الخافت، ثم سار في طريقه وإبداعه حتى انحنى العالم لأدبياته التي تخطف القلوب، ودا سيلفا ماسح الأحذية لم يكمل عامه الخمسين إلا بعد تحويل البرازيل من دولة شديدة الفقر إلى دولة قوية معتمدة على مواردها وهو رئيس لها.

فالسر الذي يجمع بين هؤلاء الكبار هو الإصرار والرغبة الجامحة في إكمال الطريق، فصحة الأعمال وكمالها متوقفة على التمام، فلو قطعت الصلاة من منتصفها وجبت عليك الإعادة، ولو أفطرت قبل غروب الشمس ولو بلحظات كأنك لم تصم، وكأن المولى أراد أن يزرع فينا علو الهمة لإتمام ما بدأناه، فلا يستجب كل واحد إلى نداء الملل وداعية الراحة المرتكزة في شهوة بني آدم.

الشجرة العظيمة التي تنبت مئات الثمار في كل عام لم تكن إلا بذرة صغيرة تمت الرعاية بها والعناية بانتظام؛ حتى جُنيت من بعد ذلك الثمرة.

لا تلتفت في الطريق إلى المحبطات والمثبطات:

1. استعن بالله على إكمال رسالتك في الحياة.
2. سر بخطى واثقة ولو بطيئة نحو أحلامك.
3. لا تلتفت في الطريق إلى **المحبطات والمثبطات؛ لأن** الإنجاز سيصبح هو وقودك الذي تحيا به، وما إن تتذوقه حتى تنهل منه، فلا تتوقف؛ لأنك تذوقت معه طعم **ثقتك بنفسك**، وإضافتك لهذا الكون وإكمال مهامك التي بدأتها لترى أثرها محققة أمام عينيك، أما إذا كانت أعمالك مبتورة، تبدأ بحماسة البدايات وتنتهي على **جبال الفتور**، فسوف تتراكم الكثير من الأمور غير المُكتملة والأهداف غير المحققة، **والأمنيات المكسورة** داخلك التي تراودك وتجعلك تشعر بضعفك، بسبب أنه كان لديك أشياء كثيرة تريد أن تفعلها لكنك تركتها، وهذا الحال يشتكي منه الكثير من الشباب والفتيات، فعندما تتذوق طعم النجاح سوف تنسى ما كابدته من مشقة الطريق.

ولم أرَ في عيوب الناسِ عيبًا .. كنقص القادرين على التمام

«المتنبي - شاعر عربي»

لماذا لا تستكمل ما بدأته؟

إذا وجدت نفسك لم تستكمل ما بدأته فذلك لأحد هذه الأسباب:-

2	1
إذا حددت هدفًا أكبر من طاقتك	الاستجابة السريعة لداعي الملل عندما تنسى هدفك

1 الاستجابة السريعة لداعي الملل عندما تنسى هدفك:

فعن أبي جُمُعَةَ، قال: تَغَدَّيْنَا مع رسول اللَّهِ ﷺ وَمَعَنَا أبو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ، قال: فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، هل أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا! أسلمنا مَعَكَ، وَجَاهَدْنَا مَعَكَ، قال: «نعم، قَوْمٌ يَكُونُونَ من بعدكم، يُؤْمِنُونَ بي ولم يروني».[1]

أي أن هناك ناسًا لم ترَ الرسول لكنها سمعت عنه وعن أخلاقه؛ فآمنوا به دون أن يروه.

ثم يقول أبو هُرَيْرَةَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِى، ثُمَّ لأَنْ يَرَانِى أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ».[2]

---

(1) مسند أحمد بن حنبل.

(2) رواه مسلم.

أي أنهم مستعدون للتضحية بكل شيء ليُقابلوه في الدنيا في منامهم، أو يُقابلوه في الآخرة عند الحوض.

قال عبداللَّهِ: قال النبي ﷺ: «أنا فَرَطُكُمْ على الْحَوْضِ».[1]

وكأن النبي ﷺ يضع الهدف الأساسي الذي لا يُنسى إطلاقًا؛ حتى لا يملَّ الإنسان من مواجهة تحديات الحياة. فحتى لا تملَّ عش بقيم النبي ﷺ، ولا تنسَ هدفك الأساسي. لذلك **عندما سألوا الإمام أحمد بن حنبل: متى الراحة؟ قال: عند أول قدم في الجنة.** وكانت مقولته الشهيرة: «**مع المحبرة إلى المقبرة**». أي أنه لن يترك العلم حتى يصل، فكان لا يستجيب أبدًا لداعي الملل.

عقل المؤلف لن يظهر لك إلا بعد اكتمال الكتاب:

وهناك مثال لشكوى شخص يقول: أردت أن أتبع نظامًا غذائيًا، وأخسر من وزني 5 كيلو، لكنني مللت بعد 2 كيلو، فلقد شعرت بالملل؛ لأنه نسي هدفه الأساسي ولكي تصبح صحته جيدة يحتاج أن يخسر 5 وليس 2 ! فجاء بعد الـ 2 كيلو ونسي، وشخص آخر

(1) رواه البخاري.

بدأ يقرأ في كتاب ثم مَلّ عند الصفحة رقم 50 أو 60 والكتاب 300 صفحة، فعقل المؤلف لن يظهر له إلا بعد اكتمال الكتاب.

دائمًا الإنسان ينسى الأهداف ويستجيب لداعي الملل ويتوقف، لذلك كان النبي ﷺ يصوم يومي الخميس والإثنين.

فعن أبي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عن صَوْمِهِ، وَسُئِلَ عن صَوْمِ يَوْمِ الإثنين، قال: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فيه، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أو أُنْزِلَ عَلَيَّ فيه».[1]

وعن أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يوم الإثنين وَالْخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وأنا صَائِمٌ».[2]

فمع ختام رفع الأعمال في نهاية كل أسبوع يُحب النبي أن يكون صائمًا؛ ليتم المهمة لآخرها.

2 **إذا حددت هدفًا أكبر من طاقتك،** أو حددت أكثر من هدف تريد أن تحققها كلها في وقت واحد، فقد قال تعالى لنا: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، فالشريعة التي أنزلها

---

(1) رواه مسلم.

(2) سنن الترمذي.

اللّـه علينا ليست على قدر مقام اللّـه - عزَّ وجلَّ - **لكنها على قدر** مقام قدراتنا نحن، **والنبي ﷺ أوصى بهذا.**

فعن حُذَيْفَةَ، عَنِ النبي ﷺ، قال: «لَا ينبغي لِمُسْلِمٍ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ. قِيلَ: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قال: يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ».[1]

فالبلاء ضخم على القلب، لذلك حين تلزم **نفسك بشيء، ثم تجد** نفسك أقل منه، فهذا يكسرك من داخلك، وهذا هو سبب إنشاء هذا الحال.

هَمُّ عدم إكمال المهام وعبؤها:

إن عدم إكمال المهام سيحرمك من القفزات الكبيرة في حياتك، وهذه القفزات تحدث بالوقت، فعامل الوقت مهمٌّ جدًّا في النجاح. هناك قصة شهيرة عن شخص اشترى أرضًا، وعلم أن بها ذهبًا؛ فحفر فيها حتى شعر بالملل وباعها، ويُقال: إن الذي اشتراها بعده وجد الذهب بها على بُعد متر ونصف المتر من توقف حفر ذلك الشخص!

---

(1) سنن الترمذي.

لذلك قال الإمام الشافعي متحدِّثًا عن فكرة الإنجازات الكبيرة في العلم سواء الشرعي أو العلوم الحياتية الأخرى:

أخـيِ لن تنال العـلم إلا بستـةٍ .. سـأُنبيكَ عن تفـصيلها ببيـانِ
ذكـاءٌ وحـرصٌ واجتـهادٌ وبُلغةٌ .. وصُحـبةُ أُسـتاذٍ وطـولُ زمـانِ

والبُلغة هي الشيء الذي تتبلّغ به من مال أو قدرات، وطول الزمان مهمٌّ جدًّا؛ لأن الإنسان إذا ملَّ؛ فلن يستطيع أن يفعل هذه القفزات، لذلك كان الصالحون يقولون: «من علامات المقت إضاعة الوقت».

ليس لديه النفس الطويل الذي يجعله يتعلم!

هناك قصة أخرى لشاب كان يشتكي من نفسه، ويقول: «أنا عمري 26 عامًا، وعملت في 12 وظيفة، وكنت أعمل ثلاثة شهور وأملُّ؛ فأعتذر وأترك العمل وهكذا، وليس لي خبرة في أي مجال، بسبب هذا الملل، ولا أجد نفسي في أي عمل، وليس لديّ النفس الطويل الذي يجعلني أتعلم وأحضَر محاضرات لتنمية الذات، وأستيقظ باكرًا، وألتزم بالجدول الموضوع لي، فليس لي قفزات أو ترقيات، في الوقت الذي قد يكون شخصٌ آخر في نفس عمره اقترب من أن يكون مساعدًا لمديرٍ أو مديرًا، لكن هذا الشاب منذ

أن تخرج وهو كما هو إلى الآن ليس لديه أي جديدٍ في حياته بسبب عدم إكمال المهام.

كيف تُتم ما بدأته؟

أرادك - سبحانه وتعالى - أن تكون من أصحاب التمام، فقال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: 196]، ورسولنا الكريم ﷺ كان يقول عندما يذهب للصلاة:

> عن أَنَسِ بن مَالِكٍ، قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فإن تَسْوِيَةَ الصَّفِّ من تَمَامِ الصَّلَاةِ».[1]

وكان النبي يُعلمنا أنه عندما نفعل عبادة فلا بد أن ننتبه في كل خطوة؛ حتى تكون تامة على قدر المستطاع. والتمام ليس معناه الكمال؛ فالكمال لله وحده، إنما التمام يعني أنك عندما تبدأ في شيء تُنهيه لآخره؛ لتتذوق لذة الإنجاز في كل عملٍ، وأي عمل من الأعمال الصالحة هو عمل من أعمال الآخرة حتى وإن كان يُحقق لك نجاحًا دنيويًّا، فالنجاح الدنيوي أصله خطوة من خطوات النجاح في الآخرة.

معنى العبادة عند العلماء.

فالعبادة في تعريف العلماء: هي كل ما يُرضي اللَّـه، سواء كان في مصلحتك في الدنيا أو في الآخرة، فهي واحدة مع اللَّـه لكنها مُنقسمة على مرحلتين.. دنيا ثم آخرة.

(1) رواه مسلم.

لا تمل من عبادتك:

لدرجة أنك عندما تفطر أيامًا في رمضان لرخصة مُعينة، **فلا تترك هذه الأيام فعليك إتمامها؛ لأن تمام الصيام له أثره على** القلب، وكل يوم تصومه يُشكل إضافة لروحانياتك، **ويُقيِّم علاقة** روحك مع اللّـه، فلا تمّل من خمس صلوات في اليوم، **وإذا فاتتك صلاة فلا تؤجلها للغد.**

> عن أَنَسِ بن مَالِكٍ، قال: قال نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: من نَسِيَ صَلَاةً أو نَامَ عنها فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إذا ذَكَرَهَا»[1].

فصَلِّ عندما تتذكر صلاتك ولا تؤخرها، وأتمّ اليوم.

لا تمل من طاعة اللَّه حتى تلقى النبي الكريم:

عندما أحب اللّـه أن يمدح سيدنا إبراهيم أبا الأنبياء، قال: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ [النجم: 37]، أي الذي أتمّ. فعن عبد اللّـه، أَنَّ النبيَّ ﷺ عندما كانَ يَدْفِنُ أصحابَهُ الذينَ تركوا ديارَهم وهاجروا ليَتَّبعوه ﷺ كان يقولُ: «اللهمَّ إني قد أمسيتُ عنه راضيًا فارضَ عنه»[2]. وذلك حتى يحلم كل إنسان منّا بلحظة يد النبي وهو يُسلم عليه ويسقيه من يده الشريفة، ويقول لله: «اللهم إني أشهدك أنه قد وفى». فلا تمل من طاعة اللّـه حتى تلقى النبي الكريم عند الحوض.

---

(1) رواه مسلم.
(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

كافئ نفسك	تحدَّ المهمة

1. تحدَّ المهمة: فأي شيءٍ تتمناه، وتريد فعله لو كان شيئًا صالحًا، **فهو رزق من اللَّـه**، فرزقك أمنية وهدف وتطلعات تقربك من السعادة، فعندما يأتيك هذا الهدف تحداه وكن أقوى منه، وستحققه بعون اللَّـه وإذنه؛ فالعلماء دائمًا يتحدثون عن فرض صيام رمضان ثلاثين يومًا متصلة، كان يمكننا صيام كل شهر يومين، وبذلك مع انتهاء السنة نكون قد صمّنا الثلاثين يومًا، فقالوا: إن هذه مهمة ويجب أن نتحداها؛ لأن الصيام ثلاثين يومًا يُحدث شيئًا في القلب؛ فيُغيره، لذا شرعه اللَّـه بهذه الطريقة، ومع نهاية الثلاثين يومًا تخرج من رمضان وقد غفر اللَّـه لك ما تقدم من ذنبك؛ لذلك يجب أن تتحداها كما هي. **فالصيام ثلاثين يومًا يُحدث شيئًا في القلب فيُغيره.**

موقف الصحابة إذا فاتتهم غزوة:

وكان الصحابة عندما يفوتهم مشهد مع رسول اللَّـه ﷺ يقولون: لئن أشهدني اللَّـه موقفًا آخر مع الرسول لأُرينّ اللَّـه ما أصنع. فكان لديهم تحد لأي مهمة يرزقهم بها اللَّـه - سبحانه وتعالى.

ويقول الإمام الشافعي: «**عالجت نفسي في القيام عامًا، فاستمتعت به عشرين عامًا**». فقد أتمّ مهمة تعوّد النفس على قيام الليل.

2. كافئ نفسك: إذا فعلت شيئًا لآخره حتى انتهيت منه فكافئ نفسك، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: 19]، فكافئ نفسك عندما يُكافئك اللّـه، فمثلًا: أنت تعلم أن الصيام محرم في عيد الفطر والأضحى فلا تصُم ووسع على نفسك، فعيد الفطر بعد إنجاز كبير وهو صيام رمضان، والتوسعة على الأهل والأولاد في الأعياد من السنة، فدائمًا يُقال: **إنما العيد لمَن غفر له**، أي مَن فعل إنجازًا مع اللّـه بالتدبر في الآيات والتعرف إليه؛ فيقضي العيد وهو سعيد.

يا رب، نسألك أن تعيننا على التخلّص من الملل، وأن الذي نبدأ فيه بإذنك وعونك وقدرتك ننهيه على خير؛ حتى نقول بعد كل عملٍ: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



الخلاصة:

- **ما السر وراء عدم إكمال المهام؟**

1. الاستجابة السريعة لداعي الملل عندما تنسى هدفك.
2. إذا حددت هدفًا أكبر من طاقتك.

- والنتيجة: عدم إكمال المهام سيحرمك من القفزات الكبيرة في حياتك.

- **كيف تُتم ما بدأته؟**

1. لا تمل من عبادتك.
2. لا تمل من طاعة اللّـه حتى تلقى النبي الكريم.

- **كيف تُصبح إنسانًا جديدًا؟**

1. تحدَّ المهمة.
2. كافئ نفسك.

*** اكتب ما لديك من مهام، وضع لك تحديات في كل منها، وكلما أتممت تحديًا كافئ نفسك عليه.. حينها ستستطيع إكمال مهامك وزيادة طاقتك ولن تمل منها سريعًا.**

التردد والهروب من المواجهة

قال الفيلسوف الشاعر طاغور[1]: «إن البعض يعبر الحياة كالطفل يقلب صفحات الكتاب مقتنعًا أنه يقرأ فيه».

عبور سطحي دون أن يتفاعل أو يتغير، بقلب مرتجف عن تحمل المسئولية، وعقل سطحي لا يغوص في أعماق التجارب، يريد أن يعبر الأزمات دون أن يتعايشها ويحلل تأثيرها على شخصيته.

الفيلسوف المتصوف، قائد الفكر الإنساني الحديث، هكسلي[2] يرى أن خبرة الإنسان لا تتكون من مجرد أحداث، وإنما من خلال مواجهته لهذه الأحداث.

فلا يصبح الإنسان عظيمًا إلا من خلال مواجهة الأحداث والتفاعل معها، لا بالهروب منها؛ لأن العظمة لها ثمن وهو تحمل المسئولية... تصور حال الدنيا إن لم يواجه الأنبياء تعنت أقوامهم، وتصور حجم الفساد والانحلال الأخلاقي إن لم يواجه

(1) روبندرونات طاغور :شاعر ومسرحي وروائي بنغالي. ولد عام 1861م، ونال جائزة نوبل في الآداب عام 1913م، وأنشأ مدرسة فلسفية معروفة باسم «فيسفا بهاراتي» أو الجامعة الهندية للتعليم العالي في عام 1918 م، في إقليم شانتي نيكتان غرب البنغال.

(2) ألدوس هكسلي (1894م - 1963م): هو كاتب إنجليزي، اشتهر بكتابة الروايات والقصص القصيرة وسيناريوهات الأفلام، له اهتمامات بالباراسيكولوجيا والتصوف الفلسفي، مُعادٍ للحروب ومهتمٌ بالقضايا الإنسانية في آخر أيام حياته، اعتبر في بعض الدوائر الأكاديمية قائدًا للفكر الإنساني الحديث ومثقفًا بارعًا.

المصلحون الشر الموجودَ في بعض النفوس البشرية... وتذكر أن نصف العالم ما كان سيكتشف لولا اقتحام مجموعة من المغامرين جبال الأمواج لرؤية ما وراء البحار... وما كان سر نجاح نابليون - عميد قادة الجيوش في العالم الثالث - إلا إجاباتٍ أدار بها جيش فرنسا.

فمن قال: لا أقدر، قلت له: حاول! ومن قال: لا أعرف، قلت له: تعلم! ومن قال: مستحيل! قلت له: جَرِّب، وهذا منتهى الإقدام.

العالم الآن لا يستخدم كلمة معاق؛ بسبب تحدي بعض المعاقين لهذه الإعاقة، وتحقيقهم إنجازات ساحقةً، أجبرت العالم على تغيير الاسم إلى أصحاب الاحتياجات الخاصة...

1 فلا تقف مكانك! بل تدبر وتفكر، ثم خُض أي مواجهة، وثق بيقين أنك ستخرج منها في ازدياد، فما قدر اللّـه عليك العطايا أو المحن إلا للأخذ بيديك فافهم ذلك جيدًا...

2 ولا تُعرض حياتك للخطر وتظل واقفًا في الظل مترددًا هاربًا من المسئولية ومن حتمية اتخاذ القرار!! وتذكر دائمًا أن «**المخاطرة ألا تخاطر**».

ما هو التردد؟

التردد هو التأخر عن حسم قرارٍ متأكد من صحته؛ فحسب رأي العلماء: الفرق بين التردد والحكمة هو «وضوح الصورة»، فإن لم

تكن الصورة واضحة فستحتاج وقتًا كافيًا للتفكير، أما إن اتضحت الصورة ولم تتخذ قرارًا فحينها يكون التردد.

لماذا يتردد الإنسان؟

يتردد الإنسان:

2	1
الخوف المفرط	حينما يجهل ما يُريد، ولا يحدد هدفه

1 حينما يجهل الإنسان ما يُريد، ولا يحدد هدفه فلا يستطيع المواجهة؛ لأنه لا يُدرك ما هي الخطوة القادمة، وهذا عكس من له أهداف ورؤية واضحة؛ فتجده يعلم أن تحديات الحياة عبارة عن سورٍ لا بد أن يعبره؛ حتى يطور من ذاته، وينتقل من مرحلة إلى مرحلة، وكأن المراحل تُشبه البحر عبارة عن أمواج وراء أمواج؛ ولكنه يقترب من الشاطئ؛ ولذلك فالله - سبحانه وتعالى - عندما ذكر المنافقين في القرآن قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾ [النساء: 137]، فالمنافقون كانوا دائمًا مترددين رغم يقينهم بأن النبي ﷺ على حق؛ ولكنهم أرادوا أن يكونوا مع اليهود الأقوياء جدًّا وقتها؛ فتارةً يؤمنون وتارة يكفرون، والله - سبحانه وتعالى - وصفهم بأنهم: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء: 143].

2 الخوف المفرط: فالشخص الخائف لا يُحب أن يجازف ودائمًا ما يكون مترددًا، ويخاف من أن يتخذ قرارًا خاطئًا، بالرغم من أن الخطأ من صفات البشرية، بل إن الخطأ هو المُعلم الأكبر للصواب،، فنحن نتعلم من الأشياء الخاطئة التي نفعلها حتى لا نكررها مرة أخرى، ونتعلم القرارات الصحيحة من الأفعال الصحيحة التي نفعلها، فهذه هي الحياة مُعلم للصحيح مثلما هي معلم للخطأ، والاثنان يُثريان شخصية الإنسان ورؤيته وخبرته في الحياة.

أنت إنسان متردد إذا فعلت ذلك:

1 التفويض في غير محله: فإذا طلبت من غيرك تحمُّل شيء أنت مسئول عنه؛ فاعلم أنك شخص متردد لا تريد مواجهة مسئولياتك، مثل: بني إسرائيل الذين ترددوا وهربوا من المواجهة وفوضوا سيدنا موسى مضيفين إليه رب العزة للقتال بدلًا منهم رغم أن هذا دورهم في تحرير أرضهم المسلوبة فقالوا: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: 24].

2 ادعاء العجز دون بذل ما في الوسع: فعندما تدعي أنك لا تستطيع فعل شيء بعينه، أو لا تجد وقتًا لفعله، في حين أنك لم تأخذ بالأسباب الكاملة لفعله، فهذا يُسمَّى ترددًا وهروبًا من المواجهة.

ففي غزوة تبوك كان هناك أربعمائة ألف روماني جاءوا ليهجموا على المدينة، وقرر نبينا محمد ﷺ أن يواجههم في الطريق خارج المدينة هو وثلاثون ألف مُقاتل، فجاء إليه أحد المنافقين، وقال: إنه خائف أن يخرج معه لمواجهة الرومان؛ لأن معهم نساءً جميلاتٍ فيخاف أن يُفتن بهن، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: 49]. فادعى العجز برغم أنه لم يحاول أن يحمي نفسه من الفتنة؛ واخترع سببًا وهميًا ليتردد من أجله؛ كي يهرب من المواجهة.

عواقب التردد

خسارة الفرص الكبيرة

الشعور بالقزامة والضعف

أولًا: خسارة الفرص الكبيرة، فإن أردت شيئًا بعينه ولم تحصل عليه، فلا تلُم إلا نفسك؛ لأنك لم تحسم أمورك من البداية، فقد قيل: *«إن التردد قبر النوايا الحسنة»*.

وصور التردد كثيرة، بداية من أنك لا تعلم أي الثياب تود أن ترتدي فتتأخر، مرورًا بأنك لم ترد على الشركة التي أجريت فيها مقابلة شخصية حتى وظفوا شخصًا آخر، ومرورًا بالعروسة التي لم ترد عليها بعد أن تقدمت لخطبتها؛ فتأخرت في التفكير يومًا واثنين وأسبوعًا حتى أحرجت أهلها فبادروا هم بالرفض، فهذه

الأشياء تحدث في بيوتنا كلَّ يوم؛ لذلك فالمسألة لا تحتاج كثيرًا من التردد.

ثانيًا: الشعور بالقزامة والضعف: وهذه القزامة تدفعك للتصرف بتصرفات خبيثة، فدائمًا تشعر بأنك صغير؛ لأنك لا تستطيع المواجهة، فتتحرك تحركات خبيثة، بالإضافة إلى أن هناك مشكلات تتفاقم أكثر إذا تهرَّبت من مواجهتها (مشاكل في العمل، في المنزل، في العلاقات)، فالمشاكل ككرات الثلج، كلما تركتها كبرت.

فعن النُّعْمَان بن بَشِيرٍ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْقَائِمِ على حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا على سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ في أَسْفَلِهَا إذا اسْتَقَوْا من الْمَاءِ مَرُّوا على من فَوْقَهُمْ؛ فَقَالُوا: لو أَنَّا خَرَقْنَا في نَصِيبِنَا خَرْقًا ولم نُؤْذِ من فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أَرَادُوا هَلَكُوا جميعًا، وَإِنْ أَخَذُوا على أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جميعًا»[1].

وكأن الرسول يضرب لنا مثلًا؛ ليوجب علينا أن نوجه من يرتكبون أخطاءً؛ لأن هذه الأخطاء من الممكن أن تُصيبنا، فقال: «ولو أنهم تركوهم لهلكوا جميعًا، ولو أنهم أخذوا على أيديهم (أي: نصحوهم) لنجوا ونجوا جميعًا». فأحيانًا يواجه الإنسان مشكلة مثلًا مع أولاده؛ ويتكاسل عن حلها؛ فتظل تكبر حتى تتطور

(1) رواه البخاري.

إلى مصيبة، فيندم على هروبه منها في البداية، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: 25].

كيف أرادك الله أيها الإنسان الجديد؟

أرادك - سبحانه وتعالى - «مِقدامًا»، قال شكسبير[1]: «**إن العظمة في القدرة على الإقدام**».

فترى الحياة وكأنك أقوى منها، وترى التحديات وكأنك الأقوى، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: 13]، فالحياة مُسخرة لك، والمواقف الموجودة في الحياة سواء كانت تحديات أو مِحنًا أو خطوات تحتاج منك إلى مجهود، تحتاج منك إلى عيونٍ متشجعة ومتحمسة، وأن تتوكل على اللـه، قال - سبحانه وتعالى -: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: 159]، وقال: ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ [محمد: 21]، وكان العرب قديمًا عندما يخوضون حربًا ضخمة، يلقون صخرة كبيرة في وسط الجيش، كي يُشجعوا أنفسهم، ويقولون: «**لا نفر حتى تفر هذه الصخرة**».

---

(1) شاعر، ويصنف كأعظم كاتب مسرحي في الأدب الإنجليزي.

فكُن ثابتًا في بناء وطنك، وتطوير ذاتك، وإصلاح عيوبك، وواجه نفسك من داخلها، ولا تتردد.

أخبرنا اللَّـه - سبحانه وتعالى - أن بني إسرائيل لم يكن لديهم أي مواجهة في الحياة؛ فهم لم يستطيعوا أن يواجهوا أنفسهم أثناء الحرب بين طالوت وجالوت، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ - وطالوت هو الشخص المؤمن - ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ﴾ [البقرة:249-251]، فتبقى 313 فقط ممن لم يشربوا، وعددهم في الأصل 100 ألف جندي، كما قال سيدنا عبدالله بن عباس في البخاري.

كيف تتحول إلى إنسان جديد مقدام؟

«خالف هواك»؛ لأنه يجذبك إلى اتجاه الراحة، وفي منطقة الراحة ستشعر بأنك مُسيطرٌ؛ مما يجعلك تكره أن تجرب كل جديد؛ فتصبح مترددًا دائمًا.

كما قال الإمام الشافعي:

إذا حـار أمـرك في معنيين .. ولم تدرِ حيث الخطا والصواب

فخالف هـواك فـإن الهوى .. يقـود النفس إلى ما يُعـاب

الشركة بعيدة ومتعبة.. ولكن

هناك قصة لأحد أصدقائي الذي لم يُكمل الثلاثين من عمره وهو مدير كبير في شركة كبيرة جدًّا، فبعد تخرجه بحوالي سنتين عُرضت عليه وظيفة في شركة قريبة من منزله براتب مناسب؛ لكن لا يوجد بها سلك وظيفى ولا تطوير، وفي الوقت نفسه عُرضت عليه وظيفة أخرى في شركة بعيدة وراتبها أقل؛ لكن السلك الوظيفي بها قوي؛ فاختار الثانية بالرغم من كونها الأصعب وفيها تحديات؛ لكنه فضلها على الأولى. وتطور فيها حاله ومنصبه كما كان يحلم.

مواجهة الحياة خلقت رابطًا قويًّا

كثيرٌ من الأزواج بدءوا حياتهم بسطاء جدًّا إلى أن رزقهم اللَّـه من فضله؛ فكبروا ماديًّا واجتماعيًّا؛ فالمسألة ليست فتحًا من اللَّـه فقط؛ لكنها أيضًا في الحب الذى ازداد يومًا بعد يوم؛ لأنهم بدءوا حياتهم وهم صِغار وكبروا معًا، وواجهوا الحياة فنشأ بينهما رابط قوي... فكان من الممكن أن تتزوج الفتاة زوجًا غنيًّا؛ ولكنها خالفت هواها واختارت من له مستقبل أفضل؛ ولذلك يكون للنجاح طعم مُختلف.

وحتى يكون للنجاح طعم مختلف دومًا:

1. «خالف هواك» الذي يدعوك إلى الراحة.
2. **«نظرية الحد الأقصى»:**

- خصص لكل قرار في حياتك حدًّا أقصى من الوقت.

3 وبعد ذلك، استخر ربك واستشر العقلاء، والله - سبحانه وتعالى - سيرشدك إلى الصواب.

فعلماء الفقه علمونا إذا أردت صيام نافلة فمن الممكن أن تصوم دون نية؛ لكن هذا القرار لا بد أن يكون قبل صلاة الظهر فلا تظل مترددًا حتى وقت الظهر؛ لأنه لا يجوز... والنبي ﷺ علمنا هذا في السُّنة، فهناك وقت محدد لكل قرار، فإذا كنت تعاني من التردد ضع لنفسك وقتًا معينًا، وتوكل على اللّـه أيها الإنسان المقدام، فهو لن يضيعك، ولا تفوت الفرص الموجودة بين يديك، واعرف أن الإقدام طاعة، والنبي ﷺ كان يربي الصحابة عليه.

والله - سبحانه وتعالى - ذمَّ المترددين المذبذبين في القرآن وحذَّرنا من هذا الفعل، وقال: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: 159].

فهذا ديننا، فهيا لنقترب من رب العالمين، ونتقمص هذا الحال الجميل حال الإقدام.



الخلاصة:

- ما هو التردد؟

التردد هو التأخر عن حسم قرارٍ متأكد الإنسان من صحته.

- سبب التردد:

1. عندما يجهل الإنسان ما يُريد، ولا يعلم هدفه.
2. الخوف المُفرط.

- علامات المُتردد:

1. التفويض في غير محله.
2. ادعاء العجز دون بذل ما في الوسع.

- الهروب عبءٌ في حياتك لأنه:

1. يضيع عليك فرصًا كبيرة جدًّا.
2. الشعور بالقزامة والضعف.

- كيف أرادك اللّـه أيها الإنسان الجديد؟ مِـقدامًا.
- والحل:

1. خالف هواك.
2. نظرية الحد الأقصى.
3. استخر واستشر.

*** إذا ترددت فلا تخف، علم نفسك التجربة والاستشارة والاستخارة، وتوكل على الله، وكل مرة ستتعلم شيئًا جديدًا، فلِمَ الخوف؟! .. أنت تنجح حين تتعلم.**

عدم الاعتراف بالخطأ

الصواب والخطأ صفتان أصيلتان متلازمتان لجنس البشر، فهما معلمان يتناوبان على الإنسان؛ لإصقال خبرته وتصحيح مساره بصفة مستمرة.

تتلخص الإرادة الإنسانية في قدرة الإنسان على التحكم في نفسه، وإجبارها على الاعتذار إذا أخطأت، وعلى تغيير المسار إذا حادت، والنفوس الكبيرة الواثقة هي القادرة على تقبل خطئها بل والاعتراف به، فكلما كانت النفس صغيرة مزعزعة ارتبكت إذا أخطأت، ووضعت من أجل الحماية حول نفسها سياجًا من التبريرات والادعاءات؛ للهروب من حقيقة أنها أخطأت، والكبر نبتة داخل كل إنسان يرويها نسيان فضل اللّـه وعدم الاعتراف بالخطأ.

الاعتذار شيمة الأقوياء:

فقد فعلها الرئيس الأمريكي جورج واشنطن[1]، الذي رفض أن يفتك حراسه بأحد خصومه السياسيين رغم دفع خصمه له في صدره؛ لأن واشنطن هو من بدأ **بالإهانة اللفظية، فأدرك ذلك** في نفس اللحظة، واعتذر بعدها، وهو ما سبقه به سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر ابن الخطاب، فإذا اختلفا بادر أبو بكر بالاعتراف بخطئه والاعتذار، وكان يشهد على ذلك رسول اللّـه ﷺ. فقد ذاق الألمان ويلات الحرب بسبب ما كان يُعمي هتلر من الكبر أن

(1) (جورج واشنطن) (22 فبراير 1732 - 14 ديسمبر 1799)، أول رئيس للولايات المتحدة، والقائد العام للقوات المسلحة للجيش القاري أثناء الحرب الأمريكية الثورية، وأحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة.

يعترف بقراراته الحربية الخاطئة، وكم من بيوت تُهدم وعلاقات تدمر وأموال تزهق تحت عجلات الأنفة عن الاعتذار والإنكار المستمر، فماذا يستفيد الإنسان بعد يقينه بفساد مساره، ثم يتمادى *في ضياع العمر والحسرة على فوات فُرص التعافي من الخسارة، فلن تكسب إذا كنت شجاعًا عند الخطأ إلا احترام من حولك وثقتهم في صدق باطنك وتواضع تصرفك.*

1. فاطمئن لأن صانع قيمتك في أعين الخلق هو الخالق لا سواه.
2. قم وبادر إلى الاعتراف بخطئك إذا أخطأت بعيون مليئة بالثقة والتواضع.
3. لا تهرب من قول كلمة آسف.
4. لا تزج بنفسك داخل صراعات بهدف إثبات ذاتك، فالحق أحق أن تدركه وأن تعبر عنه وتدافع عنه بكل ما أوتيت من قوة.

لماذا نخجل من الاعتراف بالخطأ؟

وذلك بسبب:

- الصورة الذهنية الخاطئة: فالبعض تربى على أن الشخص الصالح لا يخطئ، ومن يعترف بالخطأ فهو شخص ضعيف، وإذا اعتذر فهذا يُسلب منه صلاحيات بعينها ويضعه في موقف محرج مع الآخرين، وهنا ندخل في صورة المطففين، والمطفف هو من يسلب الآخرين حقوقهم ويحتفظ بحقه فقط؛ قال - عزَّ وجلَّ -:

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطففين: 1 : 3]، فوصف اللَّـه المطففين بأنهم حين يطلبون حقوقهم يتخذونها كاملة، وإذا أخطئوا فلا يتحملون مسئولية أخطائهم، وكأنهم يقولون لأنفسهم: نحن نجني ثمرة الصواب لكن لا نتحمل مسئولية الخطأ.

علامات حال عدم الاعتراف بالخطأ:

1. **المبالغة في الدفاع عن النفس**
2. **غياب المنطق من كلامك**

- المبالغة في الدفاع عن النفس: فتخطئ، وتُبالغ في الإنكار، وتتهم مَن حولك بأنهم يُسيئون الظن بك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [البقرة: 206]، العزة أي (المنعة) أي أن نفسك كبرت عليك فمنعتك من أن تعترف بهذا الإثم.

وقال أحد الصالحين: «كفى بالمرء إثمًا إذا قال له أخوه: اتق اللَّـه. قال: عليك بنفسك، أمِثلُكَ ينصحُني؟!».

فانتبه! إذا نصحك شخص فلا تقلل من شأنه، بل فكر ما هو الخطأ الذي فعلته.

- غياب المنطق من كلامك: فتكتشف أخطاءك وتظل تُبرر لنفسك دون منطق... عندما هدم سيدنا إبراهيم الأصنام قال قومه: ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 59]، وذهبوا إلى سيدنا إبراهيم ليسألوه؛ فقال لهم: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء 63 :65]، وأنت كإنسان جديد لا بد أن تتخلّص من هذا الحال؛ لأنه سيحرمك من الوصول إلى النفس الساكنة المطمئنة التي تبحث عنها.

عواقب عدم الاعتراف بالخطأ:

1	2
توقف في العمر	الهزيمة أمام هوى النفس

- توقف في العمر: فالعمر تجارب، تستفيد منها بالخبرات التي تصقل شخصيتك، وتُكوّن صفات قلبك... ويتوقف عمر الإنسان في اللحظة التي يتوقف فيها عن الاعتراف بأخطائه، ويصبح مكابرًا حتى يتوهم بأنه يسير في الطريق الصحيح وفي الحقيقة أن ما يفعله هو العكس تمامًا، وهناك أمم كاملة توقف عمرها بسبب ما كان يعميها عن الاعتراف بأخطائها، فأمة بني إسرائيل كانت على دراية كاملة بقدوم نبي آخر الزمان؛ لكنهم تمنّوا أن يكون من بينهم، وحينما ظهر سيد الخلق من أمة غير

أمتهم إذا بهم لا يتبعونه على الرغم من تيقّنهم بأنه على حق، وكانت أمة بني إسرائيل تتميز بتوالي الأنبياء بها، فكان عليهم أن يتبعوه ليكتمل تميزهم؛ لكن ما دفعهم إليه كبرياؤهم هو أن حاربوه، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: 89].

ووصف لنا النبي ﷺ من يُماطل ويتأخر في رد الحقوق إلى أصحابها بأنه ظالم

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يقول: قال رسول اللّهِ ﷺ: «مطْلُ الْغَنيِّ ظُلْمٌ»[1].

أي الشخص الذي يستطيع رد الحقوق ولكنه يأبى، فتظل تتراكم عليه الذنوب دون أن يُدرك،

وأوصانا ﷺ بأن نُسارع إلى رد الحقوق حين قال: « ولا تُمْهِلُ حتى إذا بلَغَتْ الحُلْقُومَ قُلتَ لفُلَانٍ كذا وَلفُلَانٍ كذا وقد كان لفُلَانٍ!»[2].

(1) رواه البخاري.

(2) رواه البخاري.

فهذا أخذت منه المال، وهذا نسيت أن تعتذر له، وكنت تُكابر فلا تُمهل في الاعتذار، وأعط كل ذي حقٍ حقه، وتعلم من أخطائك وتجاربك وكن كما يُحب رب العالمين.

- الهزيمة أمام هوى النفس: فإذا أمرك هوى نفسك بأن تكابر ولا تعترف بالخطأ، فهو بذلك يجذبك كي تسير عكس مبادئك التي فطرك اللّـه عليها، مما يسبب لك تعاسة للنفس، وحسب ما رأى العلماء فإن أحد أكبر أسباب استقرار نفس الإنسان هو أن ينتصر لمبادئه التي يعتنقها، فكونك تخالف مبادئك اتباعًا لهواك، فهذا سيكسرك من الداخل؛

لذلك قال ابن عطاء اللّـه السكندري: «**لا يخاف عليك أن تلبس الطريق عليك، وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك**».

فكونك تعلم الخطأ وتُصر على فعله، هذا يُسمى غلبة الهوى؛

عن عبد اللّهِ بن عمْرِو بن العاص عنِ النبي أَنَّهُ قال وهو على الْمِنْبر: «وَيْلٌ لِلْمصِرِّينَ الّذِينَ يصِرُّونَ على ما فعَلُوا وهُمْ يعْلَمُون»[1].

معنى غلبة الهوى
أي تغلبت رغبتك على قيمك

فمن الممكن أن يكون الويل الذي حدثنا عنه النبي هذا أحد الويلات التي يقع فيها من لا يريد أن يعترف بخطئه.

(1) الأدب المفرد للبخاري.

أرادك قويًّا رجّاعًا للحقّ، ذا ضمير واعٍ، وآلة إدراكك حية، تعلم أن الخطأ من لوازم البشر؛ وهذا هو الفرق بين سيدنا آدم وإبليس حين أخطأ كلٌّ منهما، فآدم ناجى ربه قائلًا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]، أما إبليس فحمَّل مسئولية خطئه لله - عزَّ وجلَّ - وقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16]، فتاب اللّـه على آدم؛ لكنه لم يغفر لإبليس... وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 102]، فهذا ما جُبل عليه الإنسان أن يخلط عملًا صالحًا، ثم عملًا سيئًا، لكن اللّـه - عزَّ وجلَّ - يغفر ويتوب على مَن اعترف بذنبه واستغفر له.

لم يتركه ينام مكسورًا!!

هناك قصة لمدير أهان موظفًا لديه أثناء الاجتماع، وخصم من راتبه، وبعدما خرجا وذهب كل منهما إلى بيته، راجع المدير نفسه متسائلًا: لم أهانه؟ فكان عليه فقط أن يخصم منه ولا يُهينه، ثم اتصل به على الفور واعتذر منه، ولم يتركه ينام مكسورًا، وفي اليوم الثاني اعتذر له أثناء الاجتماع، قائلًا له: «أنت أخطأت! وأنا خصمت منك وهذا هو حق الشركة؛ لكني آسف على إهانتي لك وتجاوزي معك»... فجميل أن يكون الإنسان مُتحكمًا بنفسه.

- طبِّق نظرية المرآة: قف أمام المرآة وانظر إلى عينيك، ثمَّ اعترف لنفسك فيما أخطأت واسمَع لها، فهذا الفعل سيعطيك قوة شديدة.

قال الإمام العالم الحسن البصري: «والله لا ترى المؤمن إلا يُعاتب نفسه، ويستقصرها، في كلِّ حالٍ، ثم يحملها على الحق، أما الفاجر فيمضي قُدمًا ولا يُحاسب نفسه».

والإنسان الجديد ليس كذلك، الإنسان الجديد يُريد أن يكون قويًّا، والقوة الحقيقية هي أن تنتصر على ما في داخلك، قبل أن تنتصر في ميدان الحياة.

قال النبي ﷺ: «إذا أحب اللّـه عبدًا جعل له واعظًا من نفسه يأمره وينهاه».[1]

- اعترف بأخطائك الصغيرة حتى يتلاشى من عقلك الاعتقاد بأن الإنسان الصالح لا يخطئ؛ وهناك ردود أفعال تُؤدي إلى هدم القيم فلا تسمح لها بأن تُغيّر من مبادئك الجميلة، قال عمر ﷺ: «ألا لا تغالوا في صدقات (مهور) النساء؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند اللّـه لكان أولاكم بها رسول اللّـه، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية». أي

(1) إحياء علوم الدين (مسند الفردوس للديلمي).

لا يتجاوز الخمسمائة درهم، فقامت امرأة من النساء وقالت: يا عمر، يُعطينا اللَّـه وتمنعنا أنت؟ فقال لها: كيف؟ قالت: في القرآن يقول اللَّـه: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: 20]، فسكت عمر، وقال: أصابت امرأة وأخطأ عمر. فاعترف سيدنا عمر بخطئه أمام الناس.

فلا تكابر واعتذر ممن أخطأت في حقهم؛ كي لا تأتي يوم الحساب وقد أخطأت في حق هذا وحق هؤلاء، وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: 12]، وكن كالذين قال عنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 135].

فأنت إنسان جديد قوي، قادر على التخلص من هذا الحال بإذن اللَّـه.

الخلاصة:

الصواب والخطأ صفتان أصيلتان متلازمتان لجنس البشر.

- لماذا نخجل من الاعتراف بالخطأ؟

الصورة الذهنية الخاطئة.

- عواقب عدم الاعتراف بالخطأ:

1. توقف في العمر. 2. الهزيمة أمام هوى النفس.

- كيف تُصبح إنسانًا جديدًا رجَّاعًا للحق؟

1. طبق نظرية المرآة. 2. اعترف بأخطائك الصغيرة.

*** الرجوع للحق ينقي القلب ويطهرهُ ويزيد من بصيرته، فلا تتوقف مهما كان الموقف أن تكون رجَّاعًا للحق.**

راجع ما تُقابل من مواقف أولاً بأول، واطمئن أنك إذا أخطأت أصلحت، وإذا وقفت عند حقٍّ أيدته.

المبالغة في إرضاء الخلق

الحياة رحلة يبحر فيها الإنسان ليبني ذاته، ويزرع أحلامه وطموحاته، ويمُر بإخفاقات تكون بمثابة عمليات جراحية مؤلمة لاستئصال العيوب الفتاكة وإعادة ترتيب الأولويات؛ لكنه شيء قاسٍ جدًّا حين يُصبح سر سعادة الإنسان في تلمسه لبعض كلمات الثناء ومشاعر القبول من الآخرين، **فيتحول من كيان وشخصية ورغبات إلى مجرد مسخ من الأقنعة الزائفة، التي تتغير حسب أهواء مجموعة من البشر**، فقد يظهر بمظهر لا يجد فيه ذاته من أجل إرضاء ذوات الآخرين، على الرغم من أن الواقع أثبت أن **إرضاء الرحمن أسهل بكثير من إرضاء الإنسان**... فقد كان الإمبراطور البيزنطي فلافيوس أُغسطُس الشهير بهرقل في مطلع القرن السابع على دراية بعلامات نبي آخر الزمان عليه الصلاة والسلام، وعندما تأكد من ظهوره آمن به على الفور؛ لكن المُثير أنه أعلن إيمانه أمام الخواص من الحاشية ورجال الدين؛ وفوجئ بنبرات الاعتراض والرفض، فما كان منه إلا أنه تراجع في مشهد بيع علاقته بالخالق؛ للحفاظ على علاقته بمن خُلقوا من تراب.

فكما قال الشاعر أبو فراس الحمداني[1]:

فليتَكَ تحلو والحياةُ مريرةٌ .. وليتكَ ترضى والأنامُ غِضابُ

وليتَ الذي بيني وبينكَ عامرٌ .. وبيني وبينَ العالمينَ خرابُ

إذا صحَّ منكَ الودُّ فالكلُّ هينٌ .. وكلُّ الذي فوقَ الترابِ ترابُ

كما وصف الأديب الأمريكي العجوز نورمان فينسنت معظمَ مَن قابلهم بأنهم يُفضلون أن يقتلهم المديح على أن ينقذهم النقد!.

إن السبيل إلى السعادة:

1. يبدأ بقدرتك على الثبات على مبادئك التي تُشكل كيانك.
2. طرح وهم إرضاء الجميع عن عقلك.
3. ملء قلبك بالنية الصافية والذوق الرفيع.
4. التحلي باليد المعينة لمن حولك.
5. ابتغاء مرضاة المولى - عزَّ وجلَّ.
6. إن كان الشعور بالنبذ من كل الذين حولك قاسيًا، فاعلم أن شعورك بأنك مسخ مشوه الشخصية يعيش في تمثيلية لا يجد دورًا فيها، هو الموت الحقيقي لروحك، ومحو لبصمتك التي ميَّزك اللّـه بها عن غيرك لتُحدث تغييرًا مختلفًا عنهم.

---

(1) هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الرَّبَعي (320 - 357 هـ / 932 - 968 م). هو شاعر من قبيلة الحمدانيين، وهي قبيلة عربية حكمت شمال سوريا والعراق، وكانت عاصمتهم حلب في القرن العاشر للميلاد.

معنى المبالغة في إرضاء الخلق

أي السعي الدائم للإنسان؛ للحصول على إعجاب ورضا من حوله بغض النظر عن قيمه ومبادئه، وربط هذا الشعور بالراحة، فيشعر بالسعادة فقط حينما يصل إلى رضاهم، قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: 13]، وكأن الخالق يسألهم سؤالًا استنكاريًا عن تخوفهم من فوات إرضاء من حولهم، ويبين لهم أهمية التفكير في رضاه هو دون الخلق.

من أين يبدأ السعي في إرضاء الخلق؟

الافتراضات الصامتة	وجود خلل في مفهوم إرضاء الناس

1. الافتراضات الصامتة: وهو اعتقادك بأنك إن لم تُرضِ الناس فستكون منبوذًا وحيدًا ومكروهًا، وهذا الافتراض صامت لا تنطق به؛ ولكنه يُحركك من الداخل.
2. وجود خلل في مفهوم إرضاء الناس: ففي الأصل إرضاء الخلق طلب من طلبات اللّـه - عزَّ وجلَّ - بحيث يكون إرضاؤهم سبيلًا لإرضائه، فطلب منّا أن ننفع الناس، ونراعي شعورهم ونساعدهم؛ لكن في اللحظة التي يتعارض فيها إرضاء الخالق مع إرضاء الخلق يحدث الخلل.

هناك العديد من العلامات أهمها:

1- الانشغال بالفكر: فتظل تُفكر كثيرًا فيما سيقوله عنك الناس قبل أي تصرف تفعله... عن كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ، قال: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إلى الْمُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ أَنِ اكْتُبْ إلي بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ من النبي ﷺ. فَكَتَبَ إليه:

سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وقال، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»[1].

فانتبه لهذه المسألة.

2- أن يكون خارجك «نعم» وداخلك «لا»: فتوافق على الشيء وأنت ترفضه من داخلك، فقط؛ كي ترضي من حولك، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 62]، فكثيرًا ما نجد من يخسر مبادئه ويشهد زورًا كي يُرضي زميلًا له، وبداخله يتألم، ومن يكذب في العمل كي يُبعد التقصير عن صاحبه؛ ليُرضيه بالرغم من أنه يرى انهيار الشركة أمامه.

---

(1) رواه البخاري

أعباء المبالغة في إرضاء الخلق:

3	2	1
فقدان المدد من اللـه	الوقوع ضحية للخبثاء	صراع الأجزاء

1. صراع الأجزاء: وهو أن يكون بداخلك أجزاء متصارعة؛ حيث إن قيمك ترشدك إلى اتجاه، ومن حولك يرشدونك إلى اتجاهٍ آخر مما يسبب لك ضغطًا نفسيًا، *فقد أثبتت آخر دراسة قرأتها عن الإحباط أن «من بين كل عشرة أشخاص محبطين، ستة محبطين جدًّا بسبب تنازلهم عن مبادئهم في سبيل **إرضاء الآخرين**»*؛ لذلك أمرنا الخالق - سبحانه وتعالى - بأن نوحد مقصدنا، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: 29]، فمثلًا إذا كنت تتبع ثلاثة أو أربعة رؤساء فستجد نفسك مُشتتًا بينهم ولله المثل الأعلى... وعندما يؤذن الأذان وتُريد أن تصلي، فتجد من حولك يسخرون منك ويتهمونك بأنك تعيش دور الشيخ! فتشعر بأن داخلك صراعًا بين إرضائهم وإرضاء المولى - عزَّ وجلَّ -

ولذلك قال الصحفي الأمريكي هربرت سووب[1]: «**لا أستطيع أن أعطيك وصفةً للنجاح؛ لكن أشهر وصفة للفشل هي المحاولة الدائمة لإرضاء الجميع**».

(1) Herbert Bayard Swope صحفي أمريكي قضى معظم وقته في صحيفة New york World، وكان أول من حصل على جائزة Pulitzer Prize for Reporting ثلاث مرات، وقد كان يطلق عليه أعظم محرر أخبار في وقته، ولد في عام1882 وتوفي في عام 1958 عن عمر يناهز 76 عامًا.

2 الوقوع ضحية للخبثاء: فالشخص النبيل عندما يجدك حريصًا على إرضائه يكرمك ويبادلك فكرة الإرضاء، أما الخبيث فيستنزف مشاعرك، وقد حذرنا اللّـه - سبحانه وتعالى - من مرض التسارع في إرضاء الخلق؛ فقال: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ ﴾ [المائدة: 52]، «نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةَ» أي (نخاف أن ينقلبوا علينا).

3 فقدان المدد من اللّـه: فمن المؤكد أنك حين تُفضل رضا الخلق على رضا الخالق - سبحانه وتعالى - تفقد المدد منه...

عندما طلب سيدنا معاوية من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن توصيه بعبارة موجزة؛ قالت له: سمعت النبي ﷺ يقول: «من الْتمَسَ رضاء اللّهِ بسَخَطِ الناس كفَاهُ اللّـه مُؤْنةَ الناس، ومَن الْتمَسَ رضاء الناس بسَخَطِ اللّهِ وكَلَهُ اللّـه إلى الناس والسَّلَامُ علَيْكَ»[1]

معناه: أنك إذا فضَّلت رضا اللّـه برغم تعارض تصرفاتك مع رضا البعض من حولك؛ فسيكفيك اللّـه شرور هؤلاء، أما إذا فعلت العكس؛ فسبحانه وتعالى سيقطع عنك المَدد، ويتركك للناس حتى تكتشف بنفسك أنهم لن ينفعوك، والمثل المصري يقول:

(1) سنن الترمذي.

«المتغطي بالناس عريان!»؛ فمن يريد أن يغطي نفسه بالخلق دون الخالق فسيأتي عليه يومٌ ويتركونه عاريًا...

كيف أرادك اللَّه؟

أراد اللَّـه أن يكـون إرضـاؤه هـو مركزية حياتك، أراد منك «توحيد القصد» أي أن يكون قصدك هو اللَّه؛ فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة 207]، ومعنى «اللَّهُ رَءوفٌ بِالْعِبَادِ» أنك حين تبيع نفسك لإرضائه فهو رءوف بك، وسيقيم لك حياتك، ويجعلك تشعر بقوتك؛ فهو طلب منك أن توحد قصدك بقوله: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾، و﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾، فابحث عن رضاه وحده، وستُفاجأ وقتها بأن الجميع يُحبونك؛ لأن من رضاه على العبد أن يُرضي عنه من حوله.

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا؟

1	2	3
اليأس من إرضاء الجميع	اجعل لك خبيئة عمل	عالج حُمَّى ترك الانطباع

1. في البداية أدعوك إلى اليأس من إرضاء الجميع؛ لأنك إذا عِشت بقيمك وأخلاقك، وصِرت إنسانًا صالحًا، يراعي شئون من حوله، فبإذن اللَّـه سترضى عنك الأغلبية؛ لكن هناك من لا يرضون فلا تتغير من أجلهم... عندما طلب سيدنا موسى عليه السلام من ربه أن

يحبس عنه ألسنة الناس، قال تعالى في حديث قدسي: «يا موسى لو خصصت أحدًا بذلك لخصصت نفسي»، فالله بذاته جلَّ في علاه هناك من لم يرض عنه، ويتحدث عنه بأقوال لا تليق في حق جلالته.

وجاء رجل إلى الحسن البصري وقال: «**إن قومًا يجالسونك ليجدوا بذلك إلى الوقيعة فيك سبيلًا (أي: يتصيدون أخطاءك)**، **فقال**: هون عليك يا هذا، فإني أطمعت نفسي في **الجنان فطمعت**، وأطمعتها في النجاة من النار **فطمعت، وأطمعتها** في السلامة من الناس فلم أجد إلى ذلك **سبيلًا، فإن الناس لم يرضوا عن خالقهم ورازقهم، فكيف يرضون عن مخلوق مثلهم؟**».

إرضاء الخلق غاية لا تُدرك، وإرضاء الخالق غاية لا تُترك،

فاترك ما لا يُدرك وأدرك ما لا يُترك.

«الإمام الشافعي»

2 اجعل لك خبيئة عمل أي اجعل لك أعمالًا في السر؛ حتى تُمرن بها باطنك على الاكتفاء برضا رب العالمين... فسيدنا عبد الله بن المبارك وهو في إحدى الحروب بين جيش المسلمين وجيش الأعداء، دخل رجل قوي جدًّا من

الأعداء، فكلما قاتله أحد من المسلمين قتله ذلك الرجل حتى قتل أربعة من المسلمين، ثم خرج عليهم رجل مسلم مُلثم، وقتل هذا الرجل، ثم دخل في صفوف المسلمين، فقام رجل من جيش المسلمين يدعى أبو عمر؛ فقال: «هذا هو عبد الله بن المبارك، فأنا عرفته من عينيه، وهو يخبئ وجهه حتى لا يعرفه أحد ومكتفٍ بأن يعرفه اللّـه ويرضى عنه». فنزع عبد الله اللثام وقال له: يا أبا عمر، تشنع عليَّ! فرأى أنه عندما كشف للناس أنه صاحب هذا العمل الصالح بأن هذا تشنيع؛ لأنه أراد الاكتفاء بالله وحده - سبحانه وتعالى - ولذلك قال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة: 271]... فإذا أظهرت الصدقة لتُشجع الآخرين فهذا نافع للمجتمع، وإن أخفيتها فأنت بذلك تُمرِّن نفسك على الاكتفاء بالله، فكثيرًا ما نجد أحبابنا بعد وفاتهم تنكشف أعمالهم الصالحة.

3 عالج حمى ترك الانطباع: فترك الانطباعات الجيدة لدى الآخرين شيء مُحبب إلى النفس؛ لكن المأساة حينما يتحول إلى غاية في حد ذاته، فمن يراعي شعور من حوله ويُكرمهم ويبتسم في وجوههم فطبيعي أن يترك لديهم انطباعًا جيدًا؛ لكنه غير مضطر لترك نفس الانطباع في قلوب كل البشر.

أثبتت بعض الأبحاث التي أجرتها جامعة برست «أن أحد أسباب فشل العلاقات هو الحماس الشديد في ترك

الانطباع الجيد»... وقرأت قصة لشاب أراد الزواج من فتاة؛ **لكن** والدته رفضتها؛ **فعرضت عليه الفتاة أن تُسافر معها إلى العمرة** وتخدمها؛ كي ترضى عنها، وذهبت معها، **وظلَّت إلى جانبها طوال** الوقت لدرجة أنه حينما عادت الأم إلى ابنها قالت إنها **شعرت بأن** تلك الفتاة ثقيلة جدًّا على قلبها، ولم تتركها مع اللَّـه لحظة... **اترك انطباعًا جيدًا بالأدب والذوق وجمال الأخلاق؛ بشرط ألا يكون هو الهدف...**

عن مَحْمُودِ بن لَبِيدٍ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إن أَخْوَفَ ما أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ. قالوا: وما الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: الرِّيَاءُ؛ يقول اللَّـه - عزَّ وجلَّ - لهم يوم الْقِيَامَةِ: إذا جُزِىَ الناس بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إلى الَّذِينَ كُنْتُمْ تراءون في الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هل تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»[1].

فيبين الحديث عواقب من يصبون تركيزهم على رضا الناس، فعليكِ أيها الإنسان الجديد أن تستعين بالله، وتسعى للتخلص من هذا الحال السيئ.

فنُشهدك يا ألله أننا من الآن سنسعى إلى رضاك ثم من بعدك رضا الناس كما أردتنا يا ألله.

(1) مسند أحمد بن حنبل.



الخلاصة:

● المبالغة في إرضاء الخلق:

هو السعي الدائم للإنسان؛ للحصول على إعجاب ورضا من حوله بغض النظر عن قيمه ومبادئه، وربط هذا الشعور بالراحة.

● من أين يبدأ هذا الحال؟

1. الافتراضات الصامتة.
2. وجود خلل في مفهوم إرضاء الناس.

● هل تسعى لإرضاء الخلق؟

هناك العديد من العلامات أهمها:

1. الانشغال بالفكر.
2. أن يكون خارجك «نعم» وداخلك «لا».

● الأعباء الناتجة عنه:

1. صراع الأجزاء.
2. الوقوع ضحية للخبثاء.
3. فقد المدد من اللّـه.

● كيف تُصبح إنسانًا جديدًا؟

1. أدعوك إلى «اليأس من إرضاء الجميع».
2. اجعل لك خبيئة عمل.
3. عالج حمى ترك الانطباع.

*** كن حسن وطيب الخلق، وعامل الناس كما تُحب أن تُعامل، والباقي سيكرمك الله به بقدر معاملتك للخلق.**

مأساة الماضي

كل إنسان يحيا في هذه الدنيا ما بين بابين: باب أمامه على المستقبل مكتوب عليه الأمل يفتحه الإنسان ليخطط لما هو آت وقلبه مملوء بالاستبشار والتفاؤل والتوكل على اللّـه.

وباب في الخلف مكتوب عليه أحداث الماضي يفتحه ليستسقي ويتذوق منه طعم الخبرة ويستنشق عبير التجربة

وقد يكون الباب الخلفي هو القاضي على الباب الأمامي، فكلما نظر الإنسان إلى ماضيه باحترام لما فيه من محن ومنح وملاحم على أنه معلمه الأول الذي صنع منه المحارب القادر على الانتصار في معارك المستقبل، ازداد قوة وامتلأ قلبه بالأمل في المواصلة على السير وتحقيق الأحلام والآمال..

وكلما أطل هذا الباب الخلفي على مشهد المآسي والجراح والإصابات البالغة، أُنهك هذا القلب وأصاب الروح العطب وحكم الماضي المؤلم على صناعة مستقبل مظلم!

يفقد الإنسان باستسلامه لمآسي الماضي الثقة في أن الرب الكريم قدر له فيما يستقبل من حياته ما يحمل معه الفرج والتيسير..

كم من عظيم اكتمل نموه في رحم المأساة! فمن عمق ظلام البئر خرج يوسف نبي العباد ومنقذ البلاد، ولم يصل موسى لشاطئ فرعون إلا بين أحضان الأمواج ومطاردة الجنود وهو ما زال رضيعًا، كما يبدأ الإيمان أو دخول الإسلام بلحظة توبة تعهد

فيها الإله بمحو كل ما مضى من العبد ليبدأ العبد قصته مع اللّـه دون انشغال قلبه بتلوث ماضيه، فَسِر على بركة اللّـه واعلم أن أزمات وخطايا الماضي أرشدتك للطريق الصحيح في الحاضر فلولا آلام الجراحة ومرارة الدواء ما حصلت النجاة ولا تحقق الشفاء. فتصالح مع ماضيك ولا تكن من الأغلبية الذين وصفهم علماء النفس بأنهم يميلون إلى تذكر أحداث ماضيهم المؤلمة، فإن نظروا إلى ساق لهم أجروا فيها جراحة فلم يتذكروا سوى الجرح الذي تسببت فيه هذه العملية على الرغم من أن الساق كلها سليمة، فهذه هي عين الإنسان لا ترى إلا الشيء الذي به ضرر!

دائمًا علماء الإدارة يضعون للناس لوحة بيضاء كبيرة وبها دائرة سوداء صغيرة جدًّا، فيسألونهم: ماذا ترون؟ فيجيبون بأنهم يرون دائرة سوداء، على الرغم من وجود مساحة بيضاء كبيرة، ومن هنا تأتي أهمية تدريسهم مفاهيم التفاؤل وكيفية رؤية الجانب الإيجابي؛ لأن الإنسان بطبيعته يميل لرؤية الأشياء السلبية.

الحكمة تقول: إنك لن تقابل شخصًا قويًّا مر بماضٍ سهل بل لو نظرت لماضي الشجرة المثمرة لوجدتها بذرة صغيرة ضعيفة دفنت في ظلام الأرض لفترة ثم كافحت لتخرج إلى النور.

الأحداث المأسوية في الماضي:

الأحداث السلبية في الماضي جزء من سيناريو حياة كل **شخص** منّا، ولها دور مهم في تكوين **شخصيتك**، لكن **عندما ينقلب الحدث** السلبي إلى **بطل**، ويُصبح هو الذي يُحركك وتُصبح أنت جزءًا منه، حينها **يجعلك تقف وتخاف** من بعض أمور معينة، أو تأخذ قرارات معينة، أو تتوقف في وقت معين، وهذا يُسمَّى «**مأساة الماضي**»، وهو أحد الأحوال السلبية التي تسلب من الإنسان نفسه المُطمئنة، وتحكم على مستقبله إذا ظل أسيرًا لمأساة الماضي.

وقال لنا - عزَّ وجلَّ - في سورة الحديد إن لكل شخصٍ قدرًا، فالأحزان مكتوبة والأفراح أيضًا مكتوبة وكل شيءٍ له دور؛ فاطمئن مع اللّـه، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22]، فالله لا يُريدك أن تعيش في حال مأساة الماضي، لأن **هذه المأساة ستؤثر عليك في رؤيتك لمستقبلك**، ومأساة الماضي من الممكن أن تكون فيك أو منك، أي من الممكن أن يكون فيك ظلم فتعيش في هذه المأساة، أو أنت مَن **ظلمت** أو **آذيت** أحدًا ما، أو عندك ذنب كبير جدًّا فتشعر بأنه لديك مأساة في الماضي.

لماذا نعيش في مأساة الماضي؟

تكرار المأساة.. عندما **يتكرر الفشل في حياتك فتُصبح خائفًا وقلقًا باستمرار** فتخاف أن تُظلم مرة أخرى، تخاف أن تفشل نفس

الفشل، مما يُحجمك عن قرارات وعلاقات كثيرة، وأحيانًا بعض منّا يحدث له بعض المآسي في ركن من أركان حياته، كركن ماديٍّ أو صحيٍّ أو علاقات اجتماعية، فيشعر بأن السعادة رُفعت من حياته ولا يوجد أمل في مستقبله، ولكي تعلم فمأساة الذي قتل الـ99 نفسًا كانت صعبة جدًّا لكن مع ذلك كان يتمنى التوبة إلى اللّـه، وقد حدث، بسبب الأمل في المستقبل.

هل تعيش في مأساة ماضيك؟

إذا كنت تستدعي المآسي كثيرًا في الكلام مع الغير بغرض الاستشهاد بها دون فائدة، فاعرف أن هذا الحال بدأ يُسيطر عليك، وقد علّمنا علماؤنا أنه عندما يكون لديك ذنب كبير في الماضي وتتوب منه وتبدأ علاقة جديدة مع اللّـه، فلا تتذكر هذا الذنب، حتى ولو على سبيل العبرة لأن:

ذكر الجفاء (الذنب) في وقت الصفاء من الجفاء

نتائج العيش في مأساة ماضيك:

قتل الإرادة فيك والأمل في بناء حياة جديدة، لذلك يبدأ طريق اللّـه بالتوبة، وأول منازل السير إلى اللّـه بداية صفحة جديدة ونسيان الماضي، فالله - عزَّ وجلَّ - بعدما تحدث عن ذنوب كثيرة فعلها الإنسان، قال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: 160]، وحتى في سورة الفرقان بعدما تحدث اللّـه عن أكبر الذنوب قال: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ

﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: 70]، فمأساة الماضي من ذنوب ومعاص تحولت إلى حسنات.

لا تقتل في نفسك الإرادة

وكم من شخص حدث له انفصال من خِطبة أو زواج وأصبح بالنسبة له مأساة وجرحًا، ولا يريد أن يرتبط مرة أخرى؟

وكم من شخص في بداية حياته أراد أن يفتتح عملًا خاصًّا به فتعثر في بدايته، فشعر أنه ليس مكتوبًا له رزق عند اللَّـه أن يكون لديه عمل خاص به، وأغلق باب فكرة أن يفتتح هذا العمل!

هي مَن قتلت ابنها!

وكنت قد قرأت قصة لامرأة لديها طفل صغير وكان يجب أن تُجرى له عملية خطيرة، والطبيب جعلها تمضي على إقرار بأن هذه العملية خطرة على صحة الطفل لكنها مهمة، فمضت وتمت العملية وتوفي الطفل، قد سبقها للجنة، لكنها قررت ألا تُنجب مرة أخرى؛ لأنها شعرت بأنها هي مَن قتلت ابنها وهذا غير صحيح، فهذا قدره ولعله هو مَن يسبقها للجنة ويفتح لها أبوابها، فقتل الإرادة في بناء حياة جديدة هذا هو العبء الشديد الذي يُسببه حال مأساة الماضي.

أرادك اللّـه متصالحًا مع الماضي، قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: 38]، فإذا كنت رهينًا لأفعالك فكن رهينًا لأفعال إن فزت بها كنت سعيدًا، أو أحداث كانت بمثابة المعلم حتى إذا كان المعلم قاسيًا، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع عمرو بن العاص عندما أراد أن يدخل في الإسلام، حيث اشترط عمرو أن يُغفر له كما في الحديث الصحيح عن ابن شمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قال: حضَرْنَا عمْرَو بن الْعاصِ وهو في سيَاقَةِ الْموْتِ.... فلما جعَلَ اللّـه الْإِسْلَامَ في قَلْبي أَتيْتُ النبي فقلت: ابسُطْ يَمينَكَ فَلأُبَايِعْكَ. فبَسَطَ يمِينَهُ. قال: فَقَبَضتُ يدِي. قال: ما لك يا عَمرُو؟ قال: قلت: أَرَدتُ أنْ أَشتَرِطَ. قال: تَشتَرِطُ بماذَا؟ قلت: أنْ يُغفَرَ لي. قال: أمَا عَلِمتَ أنَّ الإِسْلَامَ يَهدِمُ ما كان قَبلَهُ، وأَنَّ الهِجْرَةَ تَهدِمُ ما كان قَبلِهَا؟»[1].

وهذا من عفو اللّـه عن عباده، ولذلك اعف عن نفسك صاحبة المأساة، سواء كان ذنبًا كبيرًا حدث منك أو تجربة صعبة مرت عليك؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: 40]، فاعف عمن ظلمك، وأول مَن تعفو عنه وتُصالحه هو نفسك، فاعف وانسَ وأصلح في حياتك.

---

(1) رواه مسلم.

1 فك الارتباط وعُدْ للماضي الذي به المأساة **وأعد نظرتك** للتجربة: انقلها من ارتباطها بالأحزان والمآسي، **لارتباطها** بموقف كوّن فيك شيئًا مهمًّا وأعطاك خبرة كبيرة في الحياة، فاليوم الذي فصلك فيه مديرك من العمل كان **مأساة وصدمة** بالنسبة لك، لكن هذا الحدث علمك كيف تكون **جادًّا في حياتك**، وتفهم أن هناك في الدنيا أشياء كثيرة يجب أن تكون على قدرها مثل سوق العمل، والجرح الكبير الذي كان بحياتك من علاقة تم خيانتك فيها، **هذا الجرح علّمك كيف تختار شريك الحياة ولا تتسرع.**

والله في القرآن كأنه يُغيّر للصحابة رؤيتهم من الذي حدث في غزوة أحد، حيث قُتل سبعون شخصًا بسبب أخطاء عدد من الرماة، فقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [آل عمران: 139، 140]، **فالذي حدث كان يجب أن يحدث حتى يتعلم كل الصحابة، وحتى يُصطفوا شهداء عند اللّـه، فارجع لغزوة أحد واجعلها أكبر درس في تاريخ الصحابة مع النبي ﷺ بدلًا من أن تكون مأساة قُتِل فيها سبعون شخصًا.**

سيدنا وحشي بن حرب عندما قتل سيدنا حمزة، وأراد بعدها أن يدخل في الإسلام، لكنه قتل عم النبي وسيد الشهداء، فعندما فتح النبي مكة هرب إلى الشام، وقالوا له: إنَّ محمدًا لا يقتل مَن أسلم. فذهب للنبي وحكى له كيف قتل سيدنا حمزة، وظل سيدنا وحشي يتذكر هذه المأساة، ثم خرج في معركة اليمامة التي ادعى فيها مسيلمة الكذاب أنه نبي وقتل بنفس الحربة مَن ادعى النبوة، وقال: شرفني في هذه الدنيا أن قتلت بنفس الحربة من كان يؤذي اللَّـه ورسوله.

2 خذ المعلومة واحذف الملف بعد ذلك: سيدنا محمد علمنا هذا.

عن أبي هرَيْرَةَ قال: قال رسول اللّهِ: «من حسْنِ إسْلَامِ المَرْءِ تَرْكهُ مالا يَعْنيهِ».[1]

فأنت لا يعنيك أن تظل حزينًا على المأساة الماضية؛ لأن الذي لا يعنيك يُدمرك، فتعلم من هذه التجربة ثم أغلق الملف نهائيًا، واجعل قلبك يردد مع كل فكرة مؤلمة من الماضي ﴿ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق 1]، فلا تعلم ما الذي سيأتي في المستقبل تحتاج فيه الخبرة التي أخذتها من مآسي الماضي.

(1) سنن الترمذي.

قرر الآن!

- هيا امسح الماضي وسمِّ اللَّـه وابدأ من جديد.
- تخلّص من سيطرة حال مأساة الماضي، وتصالح معه.
- فُك الارتباط ما بين تجربة الماضي والأحزان.

فهذه التجربة بصمة جميلة حتى لو كانت تعيسة لكنها علّمتك.

الخلاصة :

- **لماذا نعيش فى مأساة الماضي؟**

تكرار المأساة.. عندما **يتكرر الفشل في حياتك فتُصبح خائفًا وقلقًا** باستمرار فتخاف أن تُظلم مرة أخرى.

- **هل تعيش في مأساة ماضيك؟**

إذا كنت **تستدعي المآسي** كثيرًا في الكلام مع الغير بغرض الاستشهاد بها دون فائدة، فاعرف أن هذا الحال بدأ **يُسيطر عليك**.

- **نتائج العيش في مأساة ماضيك:**

قتل الإرادة فيك والأمل في بناء حياة جديدة.

- **كيف أرادك اللّـه؟**

أرادك اللّـه متصالحًا مع الماضي.

- **كيف تُصبح إنسانًا جديدًا مُتخلّصًا من حال مأساة الماضي؟**

1. فُك الارتباط وعُذْ للماضي الذي به المأساة وأعد نظرتك للتجربة.
2. خذ المعلومة واحذف الملف بعد ذلك.

*** كلما تذكرت شيئًا من الماضي آلمك، فهون عليك أمرك، وخذ ما تعلمته منها، وابدأ حياتك بنظرة مختلفة تُصلح فيها ما مضى، وتُقدم لنفسك شيئًا جديدًا...**

لَفت الأنظار

من أقوى أدوات التعبير عند بني آدم، بل من أقوى الأسلحة، العينان؛ فبها تُرسل إشارات القبول، وبها تُعلن أعلى درجات الرفض، فهو يبكي بعينيه، وإذا فرح تظهر الفرحة في صورة بريق فيهما، وإذا اطمأن يعطيك لفتة سكون منها، وإذا استشاط غضبًا نظر إليك نظر الشذر، وكأن الشرار يخرج منها، ولكن كم من نظرة جرحت وكم من إيماءة بالعين فتحت أبوابًا كانت مغلقة، وقالوا قديمًا: إن فرعون كانت له نظرة من خلالها يفهم حراسه بأنها تعني القتل، فكان يقتل بالنظرة، كما أن كتب الشعراء مليئةٌ بآلاف الأبيات التي تتكلم عن سحر العيون، لكن العجيب أن هذا السحر صار غاية عند الكثيرين، حتى صار السواد الأعظم لا يتحرك ولا يتكلم إلا وقلبه يراقب العيون..أراضية أم ساخطة؟، بل قد يتجرأ البعض منا على التبري من قيم ظل يدافع عنها لسنوات من أجل استجلاب استحسان العيون. **لذا فلا تتعجب عندما يعاتب المولى العباد «لم جعلتني أهون الناظرين إليك؟»**.

عبدي!.. لمَ جعلتني أهون الناظرين إليك؟!

فالثابت المستقر في العقول أن عيون الناس وأهواءهم تتغير. فما كان بالأمس يرسلون بسببه نظرات الإعجاب والرضا، صاروا اليوم ينظرون إليه بمقت وازدراء شديد.

1 فاستغنِ بنظر الرحمن، فقطرة من فيض جوده تملأ الأرض ريًّا، ونظرة بعين رضاه تجعل الكافر وليًّا.

2 وتوجه بقلب ممتلئ بالتوحيد لمن لا يصرف نظره عنك نائمًا أو يقظًا.

3 واطمئن أنه لو أذن لك بإقبال قلوب وأنظار العباد عليك فما بينك وبين ذلك إلا قوله: كن، فقلوبهم جميعًا بين أصابعه يقلبها كيف يشاء.

4 ولا تلتفت يمينًا ويسارًا تترقب أعين من التفتوا إليك وأعاروك اهتمامًا، فالعمر محدود لا بد أن تستغله في تحقيق أهداف حياتك.

5 فانزل من على خشبة المسرح، ولا تقم إلا بدورك في الحياة، لا بدور من أجل الناس وكسب تقديرهم ولفت انتباههم لك.

متى يبدأ حب لفت أنظار الناس إلينا؟

- عندما ترى انبهار الناس بشخصٍ منافس لك في أي مجال، سواء في العمل أو بين الأصدقاء، فتبدأ تشعر بأنك أيضًا تريد أن تتوجه إليك الأنظار.

وهذا ما حذرنا منه رسولنا الكريم ﷺ، عن عمْرو بن عوْفٍ قال: قال ﷺ: «فواللّـه ما الفَقْرَ أَخشَى عَلَيْكمْ وَلَكنِّي أَخشَى أنْ تُبْسَطَ عَلَيْكمْ الدّنْيَا كما بُسِطَتْ على من كان قَبْلَكمْ فَتَنَافَسوهَا كما تَنَافَسوهَا وَتهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهمْ».[1]

فأصبحنا نتنافس على الشنطة الماركة، الحذاء الماركة، والساعة الماركة، فجميع هذه الأشياء من الجميل أن تكون موجودة، ولكن عندما يكون الشيء الذي يسعدك هو فقط أن ينظر الناس إلى هذه الماركات التي تملكها وتحزن عندما لا ينتبهون لها، فعندئذٍ تتكون المشكلة، وبدأ أيضًا التنافس على الشهادات العلمية، وحتى العلم في الدين فبدأنا ننظر ونقارن من الذي يقول الكلمة الأصح والأحاديث الأصح والأقاويل الأصح، ونحن نجلس مع بعضنا في المجالس الدينية! فانتبه؛ لأن هذا الحال يصرف الإنسان بالكلية عن رب العالمين.

- تصور الإنسان أن رؤية الناس له هى التى تحدد قيمته وحسب عددهم تزداد قيمته في المجتمع، والله - سبحانه وتعالى - نفى ذلك على لسان حبيبه المصطفى؛ عن أبي هُريْرَةَ قال:

---

(1) رواه البخاري.

قال رسول اللهِ ﷺ : «إنَّ اللّهَ لا ينْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكنْ ينْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[1].

وكأنه يقول إنه - سبحانه وتعالى - لا ينظر إلى نوع الماركات التي ترتديها، ولكنه ينظر إلى قلبك وما به، وأخلاقك وقيمك واحترامك ورجولتك، والمواقف التي كنت فيها عونًا للناس، فليس بالنظرة تزداد قيمتك، ولكن قيمتك تكون بمبادئك التي تملأ قلبك.

علامات سيطرة حال لفت الأنظار:

1. الاستغراق في الشيء الغريب أو الطريف؛ فيكون فكر الإنسان مستغرقًا في الشيء المختلف والغريب حتى ولو أن هذا الشيء يثير اشمئزاز الناس، فهذا لا يهمه ولكن ما يهمه هو أن يعلن عن وجوده، ويلفت انتباههم إليه، وقد قرأت عن شخص تبول في بئر زمزم، وعندَما سألوه: لماذا فعلت هذا؟ قال: «أردت أن يذكرني الناس ولو باللعنات»، أي أن يذكره الناس أنه مَرَّ من هذه المنطقة وفعل هذا.

(1) رواه مسلم.

ورسولنا الكريم ﷺ نهى أن يُفضي رجل إلى زوجته، وتُفضي إليه، ثم يُفشي سرَّها، فعن أبي سَعيدٍ الْخُدْرِي يقول: قال رسول اللّهِ ﷺ : «إنَّ من أشَرِّ الناسِ عنْدَ اللّهِ مَنْزِلَةً يوم الْقِيَامَةِ الرّجُلَ يُفْضي إلى امْرَأَتِهِ وَتُفْضي إليه ثمَّ يَنْشُرُ سرَّهَا»[1].

أي قد يحكي بعض الأشخاص لأصحابه عن أسرار علاقة الفراش بينه وبين زوجته للفت أنظارهم في مجالسهم حتى يتعجب منه أصحابه على أفعاله الغريبة، والتي تعتبر من العيب أن يتحدث بها. فهذا يعد من علامات سيطرة لفت الأنظار.

2 الانزعاج الشديد من النقد؛ فيكون الشخص منزعجًا جدًّا من توجيه النقد له؛ لأن هذا بالنسبة له يدل على فشله في تحقيق هدفه، وهو لفت أنظار الآخرين وجذبهم.

كيف يُشكل حال لفت الأنظار عبئًا على الإنسان؟

تعرف أن لفت الأنظار عندك في حالة

1
وجود لهفة مستمرة لجذب الأنظار فيفقد سكونه

2
يعرض نفسه لإعراض الملك - سبحانه وتعالى

---

(1) رواه مسلم.

1 وجود لهفة مستمرة لجذب الأنظار فيفقد سكونه: فتجد أن هذا الشخص يلهث دائمًا حتى ينظر إليه من حوله، ويلتفتون له، لدرجة أنك عندما تتأمل في بعض أحاديث السُّنة تجد أن سيدنا محمدًا ﷺ يقول مثل هذا.

فعن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «من جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لم يَنْظُرِ اللَّـهُ إليه يوم الْقِيَامَةِ»[1].

فقديمًا كان أحد أساليب لفت أنظار الناس إلى أنه غني مثلًا: أن يُطوّل ثوبه؛ فيجره وراءه عندما يمشي، برغم من أن هذا الطول يؤذيه ويجمع قاذورات فيه، ولكنه يلهث لمجرد أن يعرف الناس أنه غني، فقد يكون هذا الملبس غير مريح له، وتلك المشية لا تعبر عنه، ولكنه يفعلها فقط ليدرك الناس أنه غني يجلس بطريقة معينة أو يتحدث بطريقة معينة وقلبه متعلق بأن يترك انطباعًا في قلوب الناس، فيفقد سكونه الداخلي لانشغاله بظنون الناس.

2 يعرض نفسه لإعراض الملك - سبحانه وتعالى -: وهذا واضح من الحديث السابق « لم ينظر اللّـه إليه» فيكون هدفك هو جذب أنظار الناس وليس تركيزك مع اللَّـه، والله - سبحانه وتعالى - لا يحب الشريك، وقد أعرض - سبحانه وتعالى - عن الإنسان الذي فعل شيئًا يدل على الكبر ولفت

(1) رواه البخاري.

الأنظار، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18]، ومعنى (مختال) أي أنه يفعل تصرفات معينة مضمونها أنه يريد لفت الانتباه، فإذا كنت تريد أن يكون مظهرك به جمال فافعل ذلك، ولكن دون أن يكون هدفك فقط هو أن تبعث رسائل عن مستواك الاجتماعي أو المادي، فالله - سبحانه وتعالى - لا يُحب هذه النوعية من النوايا والتعلق القلبي بها والتركيز عليها، فمن المفروض أن يكون التركيز مع اللَّـه - عزَّ وجلَّ - على القيم والأخلاق، فوقتها فعلًا ستنقلب إليك جميع الأنظار، ولكن التفات به احترام، وليس الالتفات الذي لا ينفع ولا يضر من دون اللَّـه.

ماذا أراد اللَّه منك أيها الإنسان الجديد؟

أرادك اللَّـه - سبحانه وتعالى - مُستغنيًا به، أي: يكفيك نظرته جلَّ في علاه، ونظرته هي التي تنفع وتضر، وهي التي ترفعك لسابع سماء، وهي النظرة التي بها مغفرة الذنب وفيها التوفيق والإعانة على نجاحات الدنيا والآخرة، فربنا - سبحانه وتعالى - يُحبك مستغنيًا به حتى عندما تجلس بمفردك فلا تكون مفتقرًا لأحد، يعتني بك أو ينظر إليك نظرة رضا أو ينبهر بصفاتك وآرائك، فهو - سبحانه وتعالى - يريدك غنيًا بنفسك، ومكتفيًا بالله - سبحانه وتعالى -

فرسولنا الكريم ﷺ يقول: «إِنَّ اللّهَ - عزَّ وجلَّ - يُباهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ»[1].

فتكون في موقف أطعمت فيه مسكينًا أو جلست تذكر اللَّه يأتي اللَّه بالملائكة ويكلمهم عنك، وهذا يجب أن يملأ قلبك، ولا أقول لك: املأ حياتك فقط بالطاعات النسكية مثل الصلاة مثلًا، ولكن عش حياتك كما تريد ما دمت لا تُغضب اللَّه، واكتفِ بأنه - سبحانه وتعالى - يراك ويشاهدك.

اكتفى بشهرته عند اللَّه - سبحانه وتعالى -:

وهناك قصة لرجل قصد آخر ليبني له مسجدًا، فأخذ الثاني المال وبنى المسجد، وسماه باسمه هو، وليس باسم صاحب المال، وقال له: إنه بذلك لم يُصبح باسمه، ولا يعلم أحد أنه هو الذي بناه؛ فرد عليه صاحب المال: بأن اللَّه يعلم، فاكتفى بأن اللَّه يعلم نيته في بناء المسجد واكتفى بشهرته عند اللَّه - سبحانه وتعالى -.

فالله - سبحانه وتعالى - يضحك إلى ثلاث: إلى القوم إذا اصطفّوا في الصلاة، وإلى الرجل يُقاتل من وراء أصحابه، وإلى الرجل يقوم ويصف قدمه في جنح الليل، فالله يضحك عندما نقوم ونصلي ونقف في الصلاة، أكتافنا في أكتاف بعضنا، ويضحك عندما

(1) رواه مسلم.

يكون هناك رجل شجاع يدافع عن أصحابه في الجهاد، ويضحك إلى الرجل أو المرأة اللذين يقومان في وسط الليل وجميع الناس نيام؛ ليصليا له - سبحانه وتعالى - **فاستغنِ واستكفِ بنظر اللّه،** فهو يريدك مُستغنيًا به أيها الإنسان الجديد.

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا مُتخلصًا من حال لفت الأنظار؟

2 أيقظ وعيك	1 خالف هواك

1 خالف هواك: فإذا كان هواك هو أن تُبهر من حولك دائمًا فخالف هواك، واصمت حين تريد الكلام؛ لأنك بذلك تعالج نفسك من رغبة لفت الأنظار، مثل: الشخص المُصاب بمرض معين، فيأخذ أدوية معينة لعلاج هذا المرض، فعندما تريد الكلام، حتى إذا كان عن شيء مفيد بالنسبة لك، فاصمت حتى تُعالج نفسك أولًا من هذا الحال.

عن سهْلِ بن مُعاذِ بن أنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عن أبيه، أنَّ رسُولَ اللّهِ ﷺ قال: «من تـرَكَ اللّبَاسَ تـوَاضُعًا للّهِ وهو يَقْدرُ عليه دعَاهُ اللّـه يوم القِيَامَةِ على رءوس الخَلَائِقِ حتى يُخيِّرَهُ من أيِّ حُللِ الإِيمَانِ شاءَ يَلبَسُهَا»[1].

أي من كان عنده ملابس قيمة ولكنه تركها وارتدى ملابس بسيطة

(1) سنن الترمذي.

تواضعًا؛ فسيكافئه اللّـه على ذلك يوم القيامة، حتى لو فعل ذلك مرة واحدة وكأنه - سبحانه وتعالى - يقول له: إنك كنت تراقبني وتركت شيئًا كان يشغل بالك؛ حتى تنشغل بي وحدي «جل في علاه» فأنت تركت من أجل تصفية قلبك لربك فسوف يُسَر قلبك غدًا في القيامة بمكافأتك بأفضل الثياب.

«امشِ خلف الناس إن أردت قيادتهم»

الفيلسوف الصيني «لاوتسو»

فلا يهم أن تكون في الأمام، فالمشي خلف الناس كناية عن الخدمة والمساعدة والدعم والعون، وكأنه يقول: إنك إن أردت أن تكون النجم الساطع الذي ينظر إليه الجميع، فكن الشخص الشهم والمعين لغيرك، ووقتها ستتعلق بك القلوب؛ لأن القلوب تتعلق بمن يُحسن إليها وليس بالملبس أو الحذاء أو غيره، فمن الممكن أن يُعجب الناس بهذه الأشياء مرة أو اثنتين أو حتى مائة مرة، ولكن حبيبك الذي تفديه بروحك هو الذى سيكون جانبك في النهاية.

2 أيقظ وعيك: فاسأل نفسك: لماذا قلت هذه الكلمة مثلًا؟ فالصالحون كانوا كذلك دائمًا يقولون: ماذا أردت بهذه الكلمة؟ ماذا أردت بهذا الفعل؟

فسيدنا عبدالله بن عمر ذات مرة كان راكبًا ناقته الضخمة، فكانت الناس مُنبهرة به جدًّا؛ فلما رأى منهم ذلك نزل من على هذه الناقة، وأدخلها في إبل الصدقة التي تُذبح وتُفرق على الناس، فعل

ذلك من أجل أن يُربي نفسه على شيءٍ، وكأنه يقول: يا نفسي، أنا لا أريد أن ألتفت عن اللَّـه ولو للحظة واحدة. فكن أنت أيضًا بجانب الناس بالمساعدة والعون أفضل من أن تخطف أنظار العيون بالمباهاة فقط، يكفي أن اللَّـه يراك؛ فخالف هواك وأيقظ وعيك.

كان نبينا ﷺ يكلم الناس ذات مرة عن المسيح الدجال، وعن فتن يوم القيامة؛ فتأثروا؛

فقال لهم: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هو أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي من الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قال: قُلْنَا: بَلَى. فقال: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى من نَظَرِ رَجُلٍ»[1].

فيزيد الشخص من خشوعه في الصلاة حتى يلفت انتباه الناس إلى حُسن صلاته وخشوعه، فهذا أخوف عند رسول اللَّـه علينا من المسيح الدجال ومن الفتن؛ لأن فيه التفاتًا عن اللَّـه، ونحن لا نستطيع أن نثبت في الدنيا أمام أي تحدٍّ أو فتنة أو حتى أمام المسيح الدجال إلا بالله، فكيف يصل إلى اللَّـه من التفت عنه - سبحانه وتعالى؟ فيا أيها الإنسان الجديد، لا تلتفت عن اللَّـه؛ لأن الملتفت لا يصل، فالإنسان الجديد مُستغنٍ ومكتفٍ بالله.

يا رب، اجعل قلوبنا متجهة إليك يارب العالمين، وانزع من قلوبنا كل الالتفات إلى الخلق، واجعل قلوبنا مُتعلقة بك وحدك يا مالك المُلك.

(1) سنن ابن ماجه.



الخلاصة:

- **متى يبدأ حب لفت أنظار الناس إلينا؟**

1. عندما ترى انبهار الناس بشخصٍ منافس لك.
2. تصور الإنسان أن رؤية الناس له تجعل له قيمة.

- **علامات سيطرة حال لفت الأنظار:**

1. الاستغراق في الشيء الغريب أو الطريف.
2. الانزعاج الشديد من النقد.

- **كيف يُشكل حال لفت الأنظار عبئًا على الإنسان؟**

1. وجود لهفة مستمرة لجذب الأنظار فيفقد سكونه.
2. إعراض الملك، سبحانه وتعالى.

- **ماذا أراد اللّـه منك أيها الإنسان الجديد؟**

أرادكِ اللّـه - سبحانه وتعالى - مُستغنيًا به، أي: يكفيك نظرته جلَّ في علاه

- **كيف تُصبح إنسانًا جديدًا مُتخلصًا من حال لفت الأنظار؟**

1. خالف هواك.
2. أيقظ وعيك.

*** تحتاج دائمًا وأنت تعامل من حولك أن تراقب نفسك وسلوكك؛ فإذا غلب عليك لفت الأنظار، فخالف هواك وكن واعيًا أنه يُوقع أكثر من أن يزيدك عزًّا وكرمًا.**

توقع الأسوأ

عماد الحياة هو الأمل، وكلما تأسس قلب الإنسان على أساس متين من الأمل ثبت بنيانه أمام عواصف الحياة، فأصل العلاقة الروحانية بين العبد والرب تُبنى على الأمل في قبول الرب لأعمال العبد حتى ولو كانت لا تليق بمقام الرب، فتصفو وترتقي المحبة عندما يتمكن حسن الظن بالله من قلب العبد وتوقع الخير من يديه في كل حين، حتى الصحة البدنية مبنية على قاعدة أرساها أبو الطب ابن سينا، وهي :

> قال: **الوهم نصف الداء، والاطمئنان نصف الدواء، والصبر أولى خطوات الشفاء.**

ولا يحمي بيوت العشاق من الانهدام إلا توقعهم أن نهر الحب الجاري بينهم قادرعلى إطفاء لهيب مشاكل الحياة المتكررة، فإذا توقع الرياضي الانهزام في المنافسة فمن الممكن أن تخونه عضلات جسده بسبب قلبه المهزوم المُنهك، ولولا الأمل ما استطاع المجتهدون إتمام العمل؛ لذلك كثرت الآيات الشريفة التي تؤكد عدم ضياع المعروف عند اللّـه؛ حتى يصطنعه أهله وهم يتوقعون دائمًا الرد بالمكافأة ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾

[الرحمن: 60].

فلا تقلق من تدابير البشر، فأقصى ما يستطيعون فعله معك هو تنفيذ إرادة اللّـه.

«الإمام الشعراوي[1]».

أما الهزيمة النفسية المسبقة، والتي تجتاح خيالات الإنسان، وتعمل مفعول السم الجاري في الدم، فتقضي وتوهن من روح الإنسان، ولا يستطيع الاستمتاع بالنعمة بسبب مخاوفه، ولا يقدر على الصمود أمام بلية؛ لأنه ألقى سلاحه قبل بداية المعركة.

1. فحرر نفسك من توقع الأسوأ دائمًا.
2. وكن على يقين أن المولى يخبئ لك ما يسرك؛ فادعوه بقلب مطمئن لحمايته.
3. ولا تُسوِّد المستقبل قبل وروده عليك اعتقادًا منك أنك تحمي نفسك من صدمات لا بد أنها ستحدث لك.
4. ولا تنتظر المحنة بعد النعمة، فالله لا يعاملنا بهذه الفكرة، فهو من حدثنا في كتابه الكريم عن أقوام يحملون هذه الصفات، فيدفعهم ذلك لقتل أبنائهم خوفًا من الفقر، حيث قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء:31].

---

(1) محمد متولي الشعراوي عالم دين ووزير أوقاف مصري سابق. يعد من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث؛ حيث عمل على تفسير القرآن الكريم بطرق مبسطة وعامية ولد 1911 وتوفي 1998م.

- **توقع الصدمات من اللـه بعد النعم:**

فيظن أنه لا بد أن يكون هناك ابتلاء قادم مقابل ما يجده من نعم أو رغد في العيش، فعندما يدخل الإنسان في محنة لفترة طويلة يحكم على اللـه أنه قرر عدم التوسعة عليه، وأنه تركه، وانشغل عنه بالآخرين، وكلها **أفكار شيطانية تتصارع بداخله، يطلقون عليها الصوت الخفي للحال.**

هل أنت ممن يتوقعون الأسوأ؟

فإذا كنت صاحبًا لهذا العقل؛ فأنت بالتأكيد ممن يتوقعون الأسوأ دائمًا:

السخرية من المتفائل:

> يقول سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «وَالّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَا يَظُنُّ أَحَدٌ بِاللهِ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ ظَنَّهُ؛ لِأَنَّ الخَيْرَ كُلَّهُ بِيَدَيْهِ».

فالتفاؤل من حسن الظن بالله - عزَّ وجلَّ - ففي غزوة الأحزاب كان الصحابة - رضوان اللـه عليهم - في كرب شديد، حين تجمع عليهم عشرة آلاف مقاتل، فأخذ ﷺ **يبشرهم بالنصر القريب** وفتح فارس والروم؛ ليبعث فيهم روح التفاؤل، وحدثنا القرآن الكريم عن الساخرين من استبشار الرسول وأصحابه: ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ**

﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12]، فالمنافقون وقتها كانوا هم المتشائمين الذين يتوقعون الأسوأ.

- **الفرق بين الحذر وتوقع الأسوأ:**

> **في**
> أيهما أنت؟ حذر أم تتوقع الأسوأ؟

الفرق بين توقع الأسوأ والحذر كبير جدًّا؛ **فالحذر شيء مطلوب وإيجابي**، ويشجع على الاستعداد لما قد يأتي من تحديات في الحياة، ***أما توقع الأسوأ فيجلب الهم والخوف*** الدائم والحزن على ما في اليد.

الضغوط النفسية التي يسببها حال توقع الأسوأ:

1. الهم المجهول
2. فقدان متعة اللحظة

1- الهم المجهول: أي تكون دائمًا في هم من الغد، وتكون متوقعًا اختفاء اللطف الرباني من مستقبلك، ولا تستعد أو تفكر وتخطط وتستعين بالله وتأخذ بالأسباب؛ لمواجهة التحديات التي ستقابلك؛ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: 5 : 7]، فالقادم سيكون أفضل لو أصلحت من حالك، فقط، ***احمِل هَمّ أفعالك، ولا تحمل هم أقدار وألطاف اللّـه، اجتهد وخذ بالأسباب ولا تؤذِ أحدًا، ولا تحمل هم المجهول.***

2 فقدان متعة اللحظة: فقدان متعة الموجود ونعم اللّـه التي أعطاها لك، وكأن الأصل أن الزمن غادر وأن السعادة لا تدوم؛ فتفقد بذلك استمتاعك بالحياة وبالنعم التي بين يديك، وتكون في توقع دائم لصدمة أو ابتلاء سيحل بك لا محالة، لذا

قال - عزَّ وجلَّ - في الحديث القدسي: «يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ، وأَنَا الدَّهْرُ، أَقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ»[1].

ومعنى الحديث أن هناك من هو دائمًا في لعنٍ للظروف والزمان الذي يعيش فيه..مع أن كل أحداث الليل والنهار بيد الرحمن، سبحانه وتعالى.

كيف أرادك اللَّه أيها الإنسان الجديد؟

- أرادك متوكلًا: أي تتخلص من حال توقع الأسوأ وتصبح متوكلًا معتمدًا بقلبك عليه، ولن تستطيع التوكل على اللّـه إلا بعد أن تطمئن له وتشعر أنه يخبئ لك الأحسن، ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: 123]، ولن تتمكن من ذلك إلا إذا شعرت بالاطمئنان مع اللّـه - سبحانه وتعالى - وأنه لطيف بك، يقول تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ ﴾ [النساء: 28]، كما أخبرنا نبينا ﷺ أن التفكير في معانٍ سيئة بشأن المستقبل هو التَّطيُّر،

(1) رواه البخاري.

قال ﷺ: «إذَا تَطَيَّرْتُمْ فَامْضُوا وَعَلَى اللهِ تَوَكَّلُوا»[1]. وقال ﷺ: «كَفَّارَةُ الطِّيَرَةِ التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ»[2].

وكأن توقع الأسوأ ذنب لا بد من التكفير عنه؛ **لما يحمله من** سوء ظن بالله.

- **لا تعتقد أنك لو افتقدت شخصًا ما أو تخلى عنك أحدهم فسوف تنهار**، ولن تتمكن من مواصلة الحياة، بل إن حياتك تمضي بلطفه سبحانه وصدق توكلك عليه، يقول تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [التوبة: 129]. فإذا كان لديك علاقة أصابها شرخ ما وتتمنى لو زال وعادت العلاقة كما كانت، فخذ بالأسباب وحاول أن تعيد تلك العلاقة، فقط توكل على اللّـه ولا تتوقع الأسوأ لاسيما لو وجدت الطرف الآخر لديه الرغبة في ذلك، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: 61]. أما لو خفت من ظلم أحدهم لك، فاطمئن، وتذكر قوله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: 160].

---

(1) أخرجه ابن عدي.

(2) أدب الدنيا والدين للماوردي.

- اقطع الافتراضات:

لذا يُقال: «**لا تفترض الأسوأ؛ فالأنبياء رعوا الغنم، ثم قادوا الأمم**».

فتأمل مثلًا: قصة سيدنا موسى عليه السلام عندما خرج من المدينة طريدًا، وكان قد نشأ في قصر فرعون حيث النعيم ورغد العيش، **فأصبح** لا يجد ما يأكله؛ فدعا اللَّـه ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24]، لقد كان واثقًا من ربه؛ فأصبح كليم اللَّـه، وأوحى اللَّـه له بالرسالة، بل صار من أُولي العزم من الرسل، وقاد بني إسرائيل.

وتخيل لو كنت بجوار الباب الذي فتح ودخل منه سيدنا يوسف عليه السلام ونسوة المدينة قد انبهرن بجماله، وهو يدعو اللَّـه في تضرع قائلًا: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 33]، فهل كنت تتصور أنه سيكون بعد ذلك عزيز مصر؟

الغرق خضة وشرقة:

أحمد ناصف السباح المصري الذي عبر المانش، عندما سألته: كيف فعلت ذلك؟ فأجابني قائلًا: «*الغرق خضَّة وشرْقة*»، أي أن الموج عندما يعلو تشعر بالهول والفزع، فيصيبك شرقة؛ لأنك تتوقع الأسوأ وأنك ستغرق لا محالة مع أنك لم تغرق بعد، ولو

أنك فكرت للحظة فستدرك أن الموج في صعود وهبوط، وكل ما عليك فعله فقط أن تستسلم له وتترك جسدك ينساب معه، **فيقذفك** هو من تلقاء نفسه في اتجاه الشاطئ. **فمهما علت أمواج الحياة فلا بد أن تعلم أن هناك ربًّا هو من يسيِّر أمواج الحياة، فقط توكل عليه وفوض أمرك إليه.**

- اقطع الصوت السلبي:

فعن عُرْوَةَ بن عَامِرٍ، قال أَحْمَدُ الْقُرَشِيُّ، قال: ذُكِرَتْ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النبي ﷺ فقال: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، ولا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فإذا رَأَى أحدكم ما يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللهم لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إلا أنت، ولا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إلا أنت، ولاحول ولاقوة إلا بِكَ»[1].

وقــال تعالــى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴾ [البقرة: 268].

«لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ سِلاحٌ عَلَى بَنِي آدَمَ أَقْوَى مِنْ تَخْوِيفِهِمْ مِنَ الفَقْرِ، فَإِنَّهُمْ إذا خَافُوا مِنَ الفَقْرِ تكَلَّمُوا بِالهَوَى، وأسَاءوا الظَّنَّ بِرَبِّهِم». سفيان الثوري

فالفقر لا يعني قلة المال فقط، بل يشمل الشعور بالفقد والاحتياج للحنان أو الحب أو الاهتمام أو الأمان إلى غير ذلك.

---

(1) سنن أبي داود.

فيا رب مهما علت أمواج الحياة اجعلنا مستبشرين بك، مطمئنين إليك، متوكلين عليك، وقد أخبرتنا في قرآنك: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: 185]، اجعلنا يا رب مصدقين بوعدك، واثقين من لطفك ورحمتك بنا، وانزع من قلوبنا سوء الظن.

الخلاصة:

- **لماذا نلجأ لتوقع الأسوأ؟**

توقع الصدمات من اللَّـه بعد النعم.

- **هل أنت ممن يتوقعون الأسوأ؟**

السخرية من المتفائل.

- **الضغوط النفسية التي يسببها حال توقع الأسوأ:**

1. الهم المجهول.
2. فقدان متعة اللحظة.

- **كيف أرادك اللَّـه أيها الإنسان الجديد؟**

أرادك متوكلًا.

- **كيف تصبح متوكلًا على اللَّـه؟**

1. اقطع الافتراضات.
2. اقطع الصوت السلبي.

*** انظر إلى ما يحركك وما يقود تصرفاتك وأفعالك .. واجتهد أَلَّا يكون وراءهم صوت سلبي يصدُر من أعماقك..**

الكراهية

- إن الحب هو أصل الوجود، فقد أحب الرب أن يعرفه عباده فأوجدهم وتعرف إليهم بالعطايا والهدايا. فعندما تبدأ قصة حب جديدة يتحول القلب إلى روضة غنَّاء مليئة بالأزهار وألحان الطيور، ولم تستنشق الشعوب الغربية عبير الحضارة إلا بعد أن محت وبشكل تام الكراهية المستشرية بين السود والبيض، والتي قضت على أجيال بأكملها.
- لم تقم دولة المسلمين في المدينة إلا بعد تأليف الرسول الكريم ﷺ بين القبائل المتنافرة والعائلات المتباغضة؛ ليوفر بيئة صحية لنمو بذرة الإسلام. أما ثمن الجنة فهو نزع الكراهية،

> فعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللّهِ ﷺ «لا تدْخُلُونَ الْجنَّةَ حتى تُؤْمنُوا ولا تُؤْمنُوا حتى تحَابُّوا»[1].

لكن الواقع يشهد بِكَمٍّ لا يُحصى من مظالم البشر التى أفرزها التنافس والجشع على جمع حطام الدنيا الزائل، فتتفاقم المحنة عندما لا يجد القلب مكانًا للمسامحة بسبب عجزه عن استيعاب حجم الظلم والإيذاء الواقع عليه، وهنا يجب تدخُّل العقل؛ ليتسلم زمام القيادة من المشاعر وإلا بدأت المشاعر دائرةً من الانتقام المتبادل والمتوارث؛ ليجد الإنسان نفسه - لا محالة -

(1) رواه مسلم.

أمام مفترق الطرق، إما أن يمتطي جواد النبل ليسترد حقه دون المساس بحرم العدل، أو يدخل محراب الدعاء لربٍّ حقٍّ يُعيد المظالم لأهلها في دار الحق، أو يتحول لوحش غايته الانتقام من غريمه.

- بركان الكراهية دفع شجرة الدر لقتل زوجها أيبك بعد أن صدمها بنيّته للزواج عليها، لتكتمل دائرة الانتقام بمقتل شجرة الدر ضربًا بالنعال من قِبل زوجة أيبك الأولى. فقم بإزاحة *ما على كتفك من حمل الكراهية الثقيل؛ لتنطلق مسرعًا نحو أحلامك وآمالك المنتظرة، واعلم جيدًا أن آلام سيف الكراهية تؤذيك مثلما تؤذي غريمك، وأنك عندما تصفح فأنت قد لا تغير الماضي، لكنك حتمًا ستغير المستقبل؛ لأنك ببساطة تكون قد غيرت روحك وقلبك نحو الحياة والبشر من حولك.*

معنى الكراهية:

هل علمت يومًا ما معنى الكراهية؟

هي حالة من الرفض والتجنب والرغبة العارمة في الانتقام والإيذاء، وسيطرة البغض على القلب تجاه شخص آخر، كشخص ظلمك ظلمًا شديدًا أو قسا عليك، أو شخص حطم مستقبلك، وهذا الحال مؤذٍ جدًّا لدرجة أن العلماء أطلقوا عليه اسم «السجن»، ومن يتحرر منه، فكأنه تحرر من سجن كان يعيش فيه.

أسباب الكراهية:

2	1
التنافس	الظلم الشديد

1 الظلم الشديد: كشخص ظلمك مثلًا فيمن تحب، فمراكز الكراهية عند الإنسان في العقل هي ذاتها مراكز الحب، لذلك قال سقراط: إن الكراهية العظيمة تأتي من الرغبة العارمة، فعندما يؤذيك شخص تحبه جدًّا، فمن الممكن أن ينقلب الحب إلى كراهية، وهذا شيء قاسٍ جدًّا عند الإنسان، والله -عزَّ وجلَّ- قال: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: 159]، والنبي ﷺ صاحب أرق القلوب.

2 التنافس: فعندما تكون مشاعر التنافس لديك غير منضبطة تجعلك تشعر بأنك فاشل عندما يفوز عليك المنافس، وهذا شعور يجعلك تكره نفسك وبالتالي تكره هذا الشخص،

لذلك سأل النبي الصحابة: «إذا فُتحَتْ علَيْكُمْ فَارسُ والرُّومُ أيُّ قوْمٍ أَنتُمْ؟ قال عبد الرحمن بن عَوفٍ: نقُولُ كما أَمَرَنا اللّـه. قال رسول اللّهِ: أَوَ غيرُ ذلكَ تتَنَافَسُونَ ثمَّ تتَحَاسَدُونَ ثمَّ تتَدَابَرُونَ ثمَّ تتَبَاغَضُونَ» [1]

(1) رواه مسلم.

أي تتنافسون على الأموال والمناصب، ثم تتحاسدون، فمَن يعلو منكم يحسده الآخر، ثم تتدابرون أي تتكلمون على بعضكم، ثم تتباغضون أي يكره بعضكم بعضًا، لذلك هناك ما يسمى بالتنافسية الشريفة التي بها روح معنوية عالية، فانتبه؛ لأنك مُعرَّض لسيطرة هذا الحال.

علامات الكراهية:

- علمنا اللَّه - عزَّ وجلَّ - أن الشماتة دليل الكراهية؛ فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 119، 120]، فهو يغضب عندما يراك من كثرة كراهيته لك، ثم إذا حدث لك شيء جيد يغضب أكثر، وإذا حدث لك شيء سيئ يسعد من داخله، فهذه هي علامة الكراهية الكبرى، فانظر لنفسك من داخلك حتى تكون إنسانًا جديدًا متخلّصًا من هذا السجن، فالشماتة يسميها العلماء بـ «تنافر المشاعر»، بمعنى أن تكون سعيدًا عندما يكون هو حزينًا والعكس.

> **اللهم**
> لا تشمت بنا أحدًا.

عواقب الكراهية:

1	2	3
تتحول إلى إنسان ظالم	تعكر في الروح	محجوب عن الإنصاف

1 تتحول إلى إنسان ظالم: من كثرة كراهيتك لا تأخذ حقك فقط بل تتعدى إلى الظلم، يقول اللّـه في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾ [المائدة: 8]، شنآن: أي كراهية وبغض، فكراهيتك لشخص تجعلك غير عادل، يقول اللّـه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: 40]، **فلا تتجاوز وتأخذ أكثر من حقك.**

فهناك امرأة تحكي أنها كانت تلد طفلها، فمكثت في المستشفى يومين أو ثلاثة، فعلمت أن زوجها تزوج عليها، فتقول: أتيت بأدوية للعقم ووضعتها له في الطعام، فأصبح غير قادر على الإنجاب وأنا بذلك استرحت، لكن هذا تعدٍّ وظلم لا يُرضي اللّـه.

2 تعكر في الروح: **الروح مصدر استقرار الصلة بالله.**

فيقول سيدنا محمد ﷺ: « دبَّ إِلَيكُمْ داءُ الأُمَمِ الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ هيَ الحَالِقَةُ، لا أقُـولُ: تَحلِقُ الشّعَرَ ولَكِنْ تَحلقُ الدّينَ»[1].

وكان هناك تجربة قام بها العلماء؛ حيث كانوا يقومون بقياس أنفاس شخص يكره شخصًا آخر ويأتون به أمامه، فيتنفس بشدة من كثرة الكراهية التي بداخله لهذا الشخص؛ فأخذوا هذه الأنفاس؛ فوجدوا أن بها غازات سامة، فوضعوها داخل صندوق به فئران التجارب فماتت، تخيل كمّ الطاقة السلبية التي خرجت من زفير هذا الشخص الذي لديه كراهية، فما بالك بما في داخله؟!

3. محجوب عن الإنصاف: أنت تكره هذا الشخص فلا ترى أي خير فيه؛ لذلك قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾. فإذا كنت غاضبًا من زوجتك أو أنتِ غاضبة من زوجك بسبب شيء معين، فمن الممكن أن يكون فيه خير كثير لا تعلمه، ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19]، فتُحجب عن رؤية الخير في الشخص الذي تكرهه.

كيف أرادك الله؟

- أرادك مُتجاوزًا، أي تستطيع أن تتجاوز مشاعر الكراهية.

(1) سنن الترمذي.

يقول العلماء: إن الناس عندما يكرهون **ثلاثة أصناف:**

1	2	3
لا يُسامح	**لا يسمح**	**يتجاوز**

- **الأول: لا يُسامح،** أي يكره من يضايقه، ويُريد الانتقام ودائمًا يظلم مَن حوله، فهذا لا يُسامح إطلاقًا.
- **الثاني: لا يسمح،** أي لا يسمح للكراهية أن تدخل قلبه، ويُسامح كل الناس، ويسير في الحياة شاعرًا بالصفاء.
- **الثالث: يتجاوز،** فهو يستطيع أن يُسامح أناسًا كثيرين أغضبته، لكن هناك موقفًا معينًا أو شخصًا معينًا آذاه في رزقه أو دمّر مستقبله، فيقول: أنا لا أستطيع أن أسامح، فلا تجعل الكراهية التي بداخلك تدمر حياتك، وتجعلك تكرّس حياتك **للانتقام** من هذا الشخص، تجاوز وأكمل حياتك لعل اللّـه **يشرح** صدرك وتسامح، أو يرد لك حقك، يقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16].

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا متخلّصًا من حال الكراهية؟

1	2	3	4
اعفُ	**اسع بكل ما أوتيت من قوة لأخذ حقك بالطرق المشروعة**	**فوض أمرك لرب العالمين**	**تخلص من مشاعر الكراهية**

1. **اعفُ:** فهناك بعض المشاكل في حياتك إذا تأملت فيها، واستعنت بالله تستطيع أن تُسامح؛ لأن سعة صدرك أوسع من الموقف، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43]. قال لي شخص ذات مرة: أنا لا أستطيع

أن أسامح أخي؛ لأنه أخذ ميراثي الذي هو رزق أولادي، فلا أستطيع أن أسامحه. فأخوه آذاه في مستقبل أولاده، ولكن الذي يُساعده على التسامح أن يشكر اللّـه أنه المظلوم وليس الظالم، والذي يساعدك على التسامح أيضًا ألّا تظن أنك ضحية الموقف، بل كن تلميذًا للموقف، وتعلم منه في حياتك.

والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين «آل عمران»

2 اسع بكل ما أوتيت من قوة لأخذ حقك بالطرق المشروعة:
قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء: 35]، فإذا **ظلمتك زوجتك أو ظلمك** زوجك، فارجعا إلى الأهل حتى يضعوا الحدود بينكما، هذا سعي بالطرق المشروعة، وكأنها إشارة لأي شخص مظلوم كيف يلجأ للطرق المشروعة السليمة في الحصول على حقه، حتى لا يُصبح الوضع كالثأر، فإذا سعيت لحقك فاسع بطريقة مشروعة حتى لا تكون ظالمًا آثمًا.

3 فوض أمرك لرب العالمين:

سيدنا النبي ﷺ عندما قال: «واتَّقِ دَعوةَ الْمَظْلومِ فإن دَعوةَ الْمَظْلومِ مستجابة»[1].

(1) رواه البخاري.

كانَ يعلمُ أن هناك شخصًا يدعو على الإنسان الذي **قطع رزقه**، أو على الذي آذاه في إنسان يُحبه، أو الذي **دمَّر أحلامه وأهانه** أمام الناس ولم يستطع أن يأخذ حقه، **لذلك شرعت «حسبي اللَّـه ونعم الوكيل»**، فحسبي اللَّـه: **ليست دعاء بل هذا تفويض** الأمر لله بأنك ضعيف، وإذا فوضت أمرك لربك العدل الحنَّان؛ فاعلم أنه لا تضيع عنده الحقوق ولو بعد حين.

قال أبو العتاهية[1]:

أمَـــا واللهِ إن الظلـــمَ لـــؤمٌ — وما زال المسيءُ هو الظلومُ

إلى ديانِ يوم الدِّين نمضي — وعند اللَّـه تجتمعُ الخصومُ

4. تخلص من مشاعر الكراهية؛ لأنها تؤذي الكاره أكثر من المكروه؛ فتملأ قلبه بالهم والحزن، وتجعل الحياة ضغطًا نفسيًّا، فحاول أن تتخلص بالعفو إذا استطعت أو بالسعي، وخذ الحق إذا استطعت، أو بالتفويض لله، وأكمل حياتك في سكينة وسلام ونفس مطمئنة.

يا رب، نسألك أن تُبدل مشاعر الكراهية التي ملأت بعض القلوب بمشاعر السلام والسكينة والطمأنينة، واجعل كُلًّا منَّا إنسانًا جديدًا.

---

(1) إسماعيل بن القاسم بن سويد العنيزي، أبو إسحاق، ولد في عين التمر سنة 130هـ/ 747م، ثم انتقل إلى الكوفة، كان بائعًا للجِرار، مال إلى العلم والأدب ونظم الشعر حتى نبغ فيه، من أهم أعماله ديوان أبي العتاهية، شرح ديوان أبي العتاهية.



الخلاصة:

- **معنى الكراهية:**
  - هي حالة من الرفض والتجنب والرغبة العارمة في الانتقام والإيذاء.
- **أسباب الكراهية:**

1. الظلم الشديد   2. التنافس

- **علامات الكراهية:**

علمنا اللّـه - عزَّ وجلَّ - أن الشماتة دليل الكراهية.

- **عواقب الكراهية:**

1. تتحول إلى إنسان ظالم.   2. تعكر في الروح.
3. محجوب عن الإنصاف.

- **كيف أرادك اللّـه؟**
  - أرادك مُتجاوزًا، أي تستطيع أن تتجاوز مشاعر الكراهية.
- **كيف تُصبح إنسانًا جديدًا متخلّصًا من حال الكراهية؟**

1. اعفُ.
2. اسع بكل ما أوتيت من قوة لأخذ حقك بالطرق المشروعة.
3. فوض أمرك لرب العالمين.

*** لا تكره ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، ودع زمام قلبك للملك الحق يُعِدْ لك ما سُلب منك.. فتلقاه وأنت صافِي القلب، نقي السريرة متوكل عليه، صبور في رحلتك إليه.**

جلد الذات

أخطر سلاح يهدم به الإنسان بناء ذاته هو سلاح المبالغة في تأنيب الضمير، فلا يُصلح هذه النفس الجامحة؛ مثلُ المكافأة عندما تحسن، والعتاب والتقويم إذا أخطأت، لكن العتاب إذا زاد عن الحد انقلب إلى تدمير.

فلم يكن كلام سيدنا النبي ﷺ : «كلُّ ابن آدمَ خطَّاءٌ، وخَيْرُ الْخطَّائِينَ التَّوَّابُونَ..»[1]

دعوة تشجيع على الذنب، إنما كانت دعوة لتقبُّل الذات الخطّاءة والبحث عن دواء يصلحها؛ لتكمل طريق الحياة، لا عن سلاح يقتلها ويدفنها في قبر اليأس، كما حدث في قصة المُصوّر المغامر «كيفن كارتر»، حصل على جائزة صورة العام لطفلة في المجاعة تحبو للوصول للطعام، ثم بعد الجائزة قتل نفسه؛ لعجزه عن احتمال سياط التأنيب من ضميره على اهتمامه بتصوير الفتاة دون أن يساعدها، وكان الأولى من أن يقتل نفسه وينهيها أن يرتقي بها، ويفنيها في خدمة المشردين إصلاحًا وتقويمًا لهذه النفس الطامعة.

---

(1) سنن الترمذي.

فلو لجأ الإنسان دائمًا لإهانة نفسه عند الخطأ لصار كالفارس الطموح الضارب جواده بقسوة؛ حتى يشجعه على الفوز، فجاءت الضربة في مقتل الحصان وسقوطه في وسط السباق، لذا عليك أن:

1. تحاسب نفسك ولا تهملها، فقد يقسو الأب الحازم عندما يحاسب ابنه المستهتر لكنْ بوعي وحكمة، فعاتبها عتاب العاشق الحريص على دوام المحبة كي تساعد نفسك على النهوض إذا سقطت.
2. ادفعها إلى الأمام إذا تأخرت.
3. املأها بالأمل في صلاح الحال والقدرة على عبور الصعاب ولو كانت أمثال الجبال.
4. واستعن عليها بربك.
5. وثق في شفائه لعيوبك، فداؤك فيك، ودواؤك منك، فخذ من دواء جلد الذات ما يعينك على إصلاحها.
6. ولا تزد من الجرعة فتنقلب إلى يأس وقنوط، وفي النهاية الوفاة كشأن أي دواء إن زاد عن حده..
7. فلا تنظر إلى نفسك أنها غير مستحقة للنجاح ولا للغفران. اللّـه لا يعاملنا بمعايير البشر العبيد، ولكنه هو الإله الواحد القيوم صاحب السلطان والخزائن الممتلئة والرحمات المتتالية.

مفهوم جلد الذات:

ما الفرق بين محاسبة النفس وجلد الذات؟ وأيهما تفعل؟

هو إهانة النفس عند التقصير، وهو في حد ذاته **خطأ كبير في حق النفس**، والاتزان هنا هو **الوسطية ما بين اللامبالاة وجلد الذات**، وهو محاسبة النفس، **والفرق ما بين محاسبة النفس وجلد الذات هو أن محاسبة النفس تستهدف مصدر الخطأ وتصلحه، أما جلد الذات** فيستهدف النفس ويدمرها بدلًا من الخطأ!

فكرة للتخلص من جلد الذات:

تقوم هذه الفكرة على الاتزان بين «اللامبالاة»، بمعنى عدم التفكير في الذنب نهائيًا وبين «**جلد الذات**»، بمعنى المحاسبة الشديدة المبالغ فيها للنفس عندما تُذنب، فهذا خطأ وهذا خطأ. فكن في الوسط، **واقبل أن تُخطئ لأنك بشر**، وفكر في كيفية معالجة هذا الخطأ والتعلم منه، بدلًا من أن تجلد نفسك؛ لأن جلد النفس شيء سام جدًّا، يمحو كل بهاء وجمال فيها،

> وقال عنه النبي ﷺ: «شرُّ الرعاةِ الحُطمة»[1].

أي: راعي الغنم الذي كلما أخطأتْ غنمة ضربها وحطمها حتى الموت، وندم بعد ذلك؛ لأنه لم يقصد موتها، بل كان يُريد محاسبتها فقط.

---

(1) شعب الإيمان.

وفي هذا الحديث إشارة إلى **«احترام الذات»؛ لذلك نهانا** الإسلام عند المصائب عن شق الجيوب ولطم الخدود لما فيهما من إهانة للنفس، فيجب عليك أن تتخلص من هذا الحال؛ كي تعيش مُحترِمًا لذاتك، ومُقدِّرًا لها بدلًا من تدميرها كلما أخطأت.

راقب نفسك.. هل أنت جلاد لذاتك؟

إذا توافرت فيك هذه الصفات، فأنت بالتأكيد ممن يحملون السلاح دومًا في وجه أنفسهم حتى يكادوا يقتلونها:

1	2
رفض فكرة «حصل خير»	كثرة الاعتذار مع الإحساس بالتخاذل لكثرة الخطأ

1 رفض فكرة «حصل خير»: كأن يعتقد أحدهم مثلًا: أن اللّـه لم يكتب له السعادة مطلقًا؛ مثل: شخص لم يُصلِّ الفجر بالرغم من استعداده للاستيقاظ وضبط المنبه، ولكنه لم يستيقظ فتراوده الوساوس بأن اللّـه لا يريده، وأنه لم يخلقه للجنة، وأنه سيظل يفعل ذنوب أهل النار حتى يدخلها، ولم يتذكر أنه إنسان، وأنه «حصل خير»...

عن أَنَس بن مَالكٍ قال قال نَبيُّ اللّهِ ﷺ: «من نَسيَ صلَاةً أو نامَ عنها فَكَفَّارَتهَا أنْ يصَلِّيَهَا إذا ذكرها»[1].

(1) رواه مسلم.

وكـأن اللَّـه - سبحانه وتعالى - يُعطينا إشارات لقول «حصل خير»، فعن أبي هريرةَ

> عن رسول اللَّـه ﷺ قال: «من نَسِيَ فأكلَ أو شَرِبَ وهو صائمٌ، فليُتِمَّ صيامَهُ فإنما هو اللَّـه عزوجل أَطعَمَهُ وسَقَاه».[1]

فاحترم حق نفسك كبشر؛ لأن من لا ينسى هو اللَّـه، سبحانه وتعالى: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: 52].

2 كثرة الاعتذار مع الإحساس بالتخاذل لكثرة الخطأ: هناك من يعتذر وهو يعي أنه على خطأ، فمثلًا: إذا تشاجر زوجان فتجد أن الزوج يبدأ في الاعتذار وتلطيف الجو؛ ليُحافظ على العلاقة، فيكون بذلك متسامحًا، وله قلبٌ كبير. ولكن من يُسيطر عليه حال جلد الذات يشعر دائمًا أنه في الأسفل، وأنه يُخطئ باستمرار، ولا يفهم شيئًا؛ فتجده دائم الاعتذار وبطريقة فيها حالة من التخاذل والتحقير دون وعيٍ وليس من باب التسامح، فانتبه! فإذا وجدت في شخصيتكَ هاتين العلامتين فاعلم أن هذا الحال بدأ يُسيطر على قلبك.

أعباء سيطرة جلد الذات:

«عشق السخط»: وهو أن تكون مدمنًا للمشاعر المؤلمة، وترى نفسك سيئًا، وتبدأ تشكو من نفسك أمام الناس، وتقول كلامًا على

---

(1) المعجم الأوسط للطبراني.

اللَّـه - سبحانه وتعالى - وكأن اللَّـه قسم لك أن تكون من أهل الشر والنكد.

المرض الأول في العالم الآن هو «**الاكتئاب**»، وبين كل عشرة أشخاص مكتئبين تسعة منهم يشعرون **بالاكتئاب**؛ بسبب احتقارهم لأنفسهم وإحساسهم بأنهم لا يستحقون السعادة؛ بسبب تكرارهم للأخطاء.

على الرغم من أن رسولنا ﷺ أخبرنا أن «كلُّ ابن آدمَ خطَّاءٌ»[1].

ولكنهم بسبب تكرارهم للأخطاء شعروا بأنهم أصبحوا من أهل الخطأ، ولم يستطيعوا أن يُفرّقوا بين أنفسهم وبين الخطأ، فأقنعوا أنفسهم بأنهم هم الخطأ نفسه، ولكن في الحقيقة أن الخطأ حدث وأنك إنسان مكرم،

حيث قال رسول اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عن أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وما اسْتُكْرِهُوا عليه»[2].

فالله - سبحانه وتعالى - يتجاوز عنك؛ فلا تُشدد أنت على نفسك، وتقول إنك خُلقت للتعاسة، وتتهم نفسك بالفشل.

(1) سنن الترمذي.

(2) سنن ابن ماجه.

ما هو التنافر الإدراكي؟

فجلدك لذاتك قد يصيبك بمرض سماه العلماء «التنافر الإدراكي»، وهو أن تكون صالحًا ولديك طاقات ومهارات، ولكنك الوحيد الذي لا تراها؛ فلا تستطيع أن تُدرك حقيقة نفسك، فكما قال المتنبي[1]:

إذا جهل المرء قدر نفسه　　رأى منه غيره ما لا يرى

وسيد البشرية كان يوظف ذوي الاحتياجات الخاصة في المناصب القيادية؛ لأنه كان يرى فيهم مهارات وصفات تؤهلهم لذلك على الرغم من إعاقتهم، فكان النبي ﷺ إذا خرج إلى غزوة من الغزوات ترك سيدنا عبدالله بن أُم مكتوم الكفيف قائدًا للمدينة، فكان هو الذي يُؤذن للناس، ويجمعهم على الصلوات، ويراعي شئونهم؛ حتى يُشعره النبي ﷺ بقيمة نفسه، وحتى لا يرى نفسه بلا قيمة بالرغم من احترام الناس وتعظيمهم له. فالإنسان الجديد باحث عن الأحوال الشريفة النورانية الجالبة للنفس المطمئنة، أما *جلد الذات فهو حال يُدمر ويُكسّر النفس.*

كيف أرادك الله أيها الإنسان الجديد؟

أرادك تقدر ذاتك حق قدرها، وتقدير الذات معنى وسط بين «أن تدّعي الكمال» الذي يكون لله وحده، وبين أن تحاسب نفسك

(1) أحد أعظم شعراء العرب.

محاسبة شديدة فتهينها وتحقرها، بل تكون مُقدّرًا للهدية التي أبدع اللّـه - سبحانه وتعالى - في صنعها، وقال عنها في القرآن الكريم: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: 4]، وقال أيضًا: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [غافر: 64]، أي خلقكم في أحسن صورة يظهر فيها بديع صنعه؛

وهل تحسن تقدير ذاتك أم لا؟

وكما قال عمر بن عبد العزيز: «رحم اللّـه امرأ عرف قدر نفسه»[1].

فأنت لك قدر عند اللّـه - سبحانه وتعالى - في الدنيا والآخرة، وهذا القدر هو أن تكون في عين نفسك صغيرًا، وعند اللّـه - إن شاء اللّـه - كبيرًا؛ بمعنى أن تتواضع على الرغم من امتلاكك الكثير من المهارات والصفات الجميلة، فلا ترى نفسك على الخلق، ولا ترى نفسك على اللّـه، ولكن ترى أن هناك شيئًا كبيرًا عندك؛ حيث إن اللّـه - سبحانه وتعالى - أبدع فيه وصوره؛ ولذلك إذا أدرك الإنسان كيف يُقدر ذاته تجده عندما يُخطئ يعود إلى اللّـه، فربنا - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: 30]، والأواب يعني كثير الرجوع إلى اللّـه - سبحانه وتعالى - وهو الذي يحترم نفسه، فعندما يُخطئ يردها إلى خالقها ولا يكسرها ويُدمرها.

(1) تفسير القرطبي، المستطرف في كل فن مستظرف.

- تعرف على معلمك المتنكر:

قال «روبين شارما» مدرب التنمية البشرية المشهور في كتابه «دليل العظمة»: «إن الخطأ هو معلمك المتنكر، فهو يريد أن يعلمك شيئًا، ولكنك لا تنتبه له».

فالأجانب عندهم مثل جميل يقول: sometimes I win sometimes I learn، بمعنى «أحيانًا أربح وأحيانًا أتعلم ولا أخسر»، **فاستبدلوا كلمة خطأ بكلمة تعلم، ونحن عندنا عكس الربح الخسارة، ولكن عندهم عكس الربح هو التعلم من الخطأ. فلا تحقر من نفسك وتكسرها.**

ففي غزوة أُحد استشار سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - الشيوخ الكبار أصحاب الخبرة، فأشاروا عليه بأن يحاربوا من داخل المدينة، أما الشباب فأشاروا بالخروج من المدينة ومقابلة المشركين خارجها عند أُحد، فأخذ سيدنا محمد برأي الأغلبية وهم الشباب، وحارب خارج المدينة، وحدثت المقتلة الشديدة في الصحابة، وقُتل 70 من كبار الصحابة، وبرغم ذلك لم يتهمهم الرسول ﷺ بأنهم من تسببوا في هذه الهزيمة؛ فقال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: 159]. فما حدث في غزوة أُحد لا علاقة له بالشورى، ولكنه كان بسبب خطأ آخر فعله الصحابة.

فافهم! ماذا أراد اللَّـه أن يُعلمك من خطئك، **ولا تُحقر من نفسك وتكسرها**. ولذلك أمر اللَّـه - سبحانه وتعالى - سيدنا محمدًا ﷺ أن يستمر في الشورى، وكأنه يقول إن الخطأ لم يكن في الشورى، ولكن الخطأ كان في نزولهم من على جبل الرماة. **فتعرف على «مُعَلِّمك المتنكر»**؛ لأن بداخل الخطأ توجد رسالة وقصة لتغيرك للأفضل؛ فنفسك راقية لأن اللَّـه - سبحانه وتعالى - هو من خلقها فأحسن خلقتها.

شُدَّ الخُطى: واستمر في السير، ولا تقف عند الخطأ وتبكي، فإذا بكيت فمن الأفضل أن تبكي لله بكاء التوبة وليس بكاء النواح على النفس؛ لأن الموضوع انتهى.

> عن أبي الدَّردَاءِ يَبْلغُ بِهِ النبي ﷺ قال: «من أتى فِرَاشَهُ وهو يَنْوِي أنْ يَقومَ يصَلِّي من اللَّيلِ فَغَلَبَتهُ عَينَاهُ حتى أَصبَحَ كُتِبَ له ما نوَى، وكان نَوْمهُ صدَقَةً عليه من رَبِّهِ، عزَّ وجلَّ»[1].

فإذا غلبك النوم فالله - سبحانه وتعالى - تصدق عليك بساعتين مثلًا وأعطاك الأجر؛ فشد الخطى وانوِ لغدٍ وأنهِ الموضوع. فلا بد للإنسان الجديد أن يعي ذلك جيدًا.

---

(1) سنن النسائي.

فسيدنا محمد ﷺ يقول لسيدنا عبدالله بن رواحة: «يا بنَ رَوَاحَةَ، إنْ عجَزْتَ فلَا تعْجِزَنَّ؛ إنْ أسَأْتَ عشْرًا أنْ تحْسِنَ واحِدَةً»[1].

- فلا تيئس، ولا تكسر نفسك، وابدأ وكن إنسانًا جديدًا. فنبينا ﷺ أخبرنا بأن التوبة بابها مفتوح حتى تُغرغر الروح، فإذا شعر الإنسان بأنه سيموت بعد دقيقة، وبدأت الروح فعلًا في الانسحاب من قدمه، فهو ما زال لديه الفرصة للتوبة ما لم يغرغر؛ أي تنتزع الروح من أعلى جسده، فحينها يُغلق باب التوبة أمامه؛ فهناك أمل لآخر لحظة من عمرك.

فاللهم أعنَّا على التخلص من هذا الحال المؤذي للنفس، وأعنّا على تقدير أنفسنا.

(1) جامع الأحاديث للسيوطي.

الخلاصة:

- **مفهوم جلد الذات:**

هو إهانة النفس عند التقصير.

- **علامات جلاد الذات:**

1. رفض فكرة «حصل خير».
2. كثرة الاعتذار مع الإحساس بالتخاذل لكثرة الخطأ.

- **أعباء سيطرة جلد الذات:**

1. عشق السخط.
2. الإصابة بمرض سماه العلماء بـ «التنافر الإدراكي».

- **كيف أرادك اللّـه أيها الإنسان الجديد؟**

أرادك أن تقدر ذاتك حق قدرها.

- **كيف تصبح إنسانًا جديدًا مُقدرًا لذاته ومحترمًا لها؟**

1. تعرف على مُعلمك المتنكر.
2. شد الخُطَى.
3. لا تيئس، ولا تكسر نفسك، وابدأ وكن إنسانًا جديدًا.

*** أخبر نفسك إنك إذا أكثرت من إهانتها وجلدها محوتَ صورتها، فلن تراها، ويومًا بيوم ستضعف قدرتك على المواجهة والعمل والإنتاج..**

لا تيئس وابنِ كل يوم داخلك شيئًا جديدًا.

الخوض في الأعراض

من أشرس الشهوات التي يحملها الإنسان في طيات نفسه هي شهوة الفضول فهذه الشهوة إذا تزاوجت مع أخرى هي أشرس منها وهي شهوة الشعور بالتميز، شهد هذا الزواج ميلاد أقبح الصفات وهي صفة الخوض في الأعراض، وهي أن يبحث الإنسان بفضوله الشره عن خبايا وأسرار وزلات الآخرين ثم يقوم بنشرها والخوض فيها ليشعر في داخله بنوع من التميز والأفضلية عند نشر قبائح الغير، فيتحول الإنسان وقتها لجاسوس خبيث كثير البحث والتنقيب والسؤال عما لا يخصه، كثير الكلام والثرثرة وإفشاء الأسرار فيما لا يعنيه.

فقد قضت الشريعة المحمدية بـ 80 جلدة على ظهر من قذف المحصنة، وذاقت أشرف البيوت بيت عائشة ﵂ من ويلات هذه الصفة المقيتة في حادثة الإفك الشهيرة، وشاهدنا في التاريخ تعرض الخائض في الأعراض للفضيحة من اللّـه كجزاء من جنس العمل، وعندما فضح النسوة امرأة العزيز وشمتن فيها ﴿ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [يوسف: 30] فتمر أيام ويُبتلين بنفس الفتنة ويفضحن جميعًا،

وكما قال الإمام الشافعي:

إذا شئت أن تحيا سليمًا من الأذى	ودينك موفور وعرضك صينُ
فلا ينطقنْ منكَ اللسانُ بسوأة	فللناس سوآت وللناس ألسنُ
وعينك إن أبدت إليك مساويا	لقوم فقل يا عين للناس أعينُ
فعاشر بإنصافٍ وكن متودّدا	ولا تلقِ إلا بالتي هي أحسنُ

إذًا:

1 احمِ سمعك وبصرك من الأسرار المتناثرة.

2 أفنِ حياتك في كشف نفسك أمام نفسك ومعرفة أسرار عيوبها لتنشغل بإصلاحها.

3 انتصر على شهوتي الفضول وإظهار التميز، فالأفضلية الحقيقية ظهرت في قول الملك: «﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: 13].

4 دع عنك أحوال الناس، فما أتت لك إلا بكل حزن وحسرة، ولم تثمر إلا الهم والفوضى.

ففتش بداخلك عما يحتاج إلى الإصلاح، واترك عيوب ونواقص الناس، فلعل من سترك قد يفضحك بفضيحتك لهم!

سبب نشأة هذا الحال:

1	2	3
عموم البلوى	الشعور بالرضا والأفضلية عند رؤيتك لانبهار من حولك	الاستسلام لشهوة الفضول

1 عموم البلوى: حيث أصبح من الطبيعي في أغلب المجالس الخوض في الأعراض، ولم يعد الأمر بالغريب والمنتقد،

فعن أبي بَكرَةَ أن النبي ﷺ قال: «أَلَا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ»[1].

والخطورة في حرمة العرض أنه أمر معنوي غير ملموس، وبالتالي يمكن أن تقع فيه دون دراية، على عكس حرمة الدماء والأموال، فهما أمران محسوسان يمكن إدراكهما.

2 الشعور بالرضا والأفضلية عند رؤيتك للانبهار في أعين الناس ولما تكشفه من الأسرار والأخبار المثيرة.

3 الاستسلام لشهوة الفضول: تلك الشهوة التي فطرنا اللّـه عليها ليُحفزنا كي نسعى إلى المعرفة والارتقاء في طلب العلوم الجديدة علينا: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، فإذا تحولت هذه الشهوة إلى البحث عن أسرار الخلق صار الإنسان ضعيفًا أمامها.

---

(1) رواه البخاري.

لذا قال ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[1].

«إِنَّ كَثْرَةَ مشَاهَدَةِ أَهْلِ الفِسْقِ وَكَثْرَةَ التَّعَرُّضِ لِهَذِهِ المَعَاصِي يُزِيلُ مِنَ القَلْبِ كَرَاهِيَتهَا»

الإمام الغزالي[2]

ومن هنا كانت خطورة اعتياد حضور مثل هذه المجالس التي يكثر فيها الحديث عن الآخرين والتماس أخبارهم.

علامات سيطرة هذا الحال:

1 **تكرار كشف الأسرار**

2 **الشعور باللذة عند معرفة الأسرار**

1 **تكرار كشف الأسرار:** لاسيما إن كانت هذه الأسرار بسيطة أو فيها نوع من الفضائح التي تبني ضررًا بكشفها وتشين صاحبها،

(1) مسند أحمد بن حنبل.

(2) أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري.

يقول سيدنا عيسى عليه السلام لأصحابه: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ أَخَاكُمْ نَائِمًا، ثُمَّ جَاءَ الرِّيحُ فَكَشَفَ ثَوْبَهُ، مَاذَا تَفْعَلُونَ؟». قَالُوا: نَسْتُرُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ. قَالَ: «بَلْ تَفْضَحُونَهُ». قَالُوا: سُبْحَانَ اللهِ! قَالَ: «يَبْلُغُ أَحَدَكُمْ عَنْ أَخِيهِ كَلِمَةٌ فَيَزِيدُ عَلَيْهَا وَيُشِيعُهَا».[1]

2 **الشعور باللذة عند معرفة الأسرار:** إذا كنت تشعر باللذة عند معرفة أسرار الغير فأنت مُعرض لسيطرة هذا الحال،

عن أبي هرَيْرَةَ عنِ النبي ﷺ قال: «لَا تَجَسَّسوا ولَا تَحَسَّسوا»[2].

والتجسس هو البحث والسؤال عن الأسرار، **والتحسس** هو استخدام الحواس في معرفة بواطن الأمور وأسرار الخلق.

لماذا يؤذيك الخوض في الأعراض؟

لأنه يؤدي إلى:

1- ثِقَل الكتف بالخطايا: فيأتي يوم القيامة وهو في قمة الندم بين يدي اللَّـه، عزَّ وجلَّ.

(1) إحياء علوم الدين « محمد بن محمد الغزالي».

(2) مسند أحمد بن حنبل.

يقول سيدنا محمد بن سيرين - التابعي المعروف -: **«كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ خَطَايَا، أَفْرَغُهُمْ لِذِكْرِ خَطَايَا النَّاسِ»**.

فالعمر يمضي دون أن تُطور من نفسك، **لأنك مشغول بخطايا** الخلق، قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: 15]، ومن يعتقد أن هذا الأمر هين لا يتوب عنه **فيُبعث** يوم القيامة **مُثقلًا** بالخطايا.

2- التعرض لأزمة الثقة في الآخرين: فتعرضك المستمر للخوض في أعراض الناس وما تجده من انبهار في أعينهم وشغف لمعرفة الأخبار، يجعلك توقن أن الناس بالمثل يخوضون فيك ويسعون لمعرفة أحوالك، ومن هنا تفقد الثقة فيهم، لذا

يقول ﷺ: «إِنَّكَ إن اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدتهُم أَوْ كِدت تُفْسِدهُمْ».[1]

من يَفضح لا بد أن يُفضح، وقد ذكرت الشريعة الإسلامية ذلك، من حديث أبي برزة الأسلمي

(1) جامع الأحاديث للإمام السيوطي.

يقول سيدنا محمد ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وِلَمْ يَدْخُلِ الإيمَانُ قَلْبَهُ، لا تَغْتَابُوا المُسْلِمِينَ، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَفَضَحَهُ وَلَوْ فِي دَاخِلِ بَيْتِهِ»[1]

فالسِّتير - سبحانه وتعالى - يمكنه كشف أسرارك كما تكشف أسرار الناس.

«لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانَتْ لَهُمْ عُيُوبٌ، فَسَكَتُوا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، فَشَفَى اللهُ عُيُوبَهُمْ، وَأَدْرَكْتُ أَقْوَامًا لَمْ تكُنْ لَهُمْ عُيُوبٌ، فَتَحَدَّثوا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، فَأَحْدَثَ اللهُ لَهُمْ عُيُوبًا»

الحسن البصري[2]

كيف أرادك اللّه أيها الإنسان الجديد؟

أرادك اللّـه تعالـى أن تكـون **مفتاحًا للخير مغلاقًا للـشر**، وفي

(1) سنن أبي داود.

(2) إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة.

حديث أنس بن مالك يقول ﷺ: «إنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَغَالِيقَ لِلْخَيرِ، مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، فَطُوبَى (شجرة في الجنة) لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ فِي يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ فِي يَدَيْهِ»[1].

فأوصيك ألاَّ تكون مفتاحًا للشر تسعى لكشف أسرار الخلق والحديث عن أحوالهم وبواطنهم مما يحبون أن يُستر عليهم.

والناس صنفان:

1. صالحون أبرار
2. أهل معاصٍ

1 صالحون أبرار: غير أنهم بشر يخطئون ولديهم ما لا يحبون أن يكشف عنهم، وهؤلاء قالت عائشة،

قال النبي ﷺ فيهم: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم»[2].

أي يسامحون ويسترون أهل الخير إذا أخطئوا، فإذا كنت ترى إنسانًا صالحًا يفعل شيئًا خطأً فلا تتعجب؛ لأنه بشر مثلك وكلنا

(1) سنن ابن ماجه.

(2) الأدب المفرد للبخاري.

خطّاءون، ومن هنا كان لزامًا عليك العمل بوصية الحبيب ﷺ في الستر على إخوانك الطيبين.

2 أهل المعاصي: الذين يسعون لإثارة الفاحشة في المجتمع، هؤلاء أيضًا لا ينبغي لك أبدًا أن تنشر فضائحهم، فهذا ليس دورك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: 19]، يقول العلماء في تفسير هذه الآية: «لا تنشر قبائح أهل المعاصي» ولا تقل هم أهل للفضيحة، كن أنت أهلًا للستر.

كيف تتخلص من هذا الحال؟

- كُن قبرًا للفضائح: اجعل الفضائح تقف عندك، ولا تكن فردًا في شبكات نقل هذه الفضائح، حتى ورد حديث عن عقبة بن عامر

للنبي ﷺ يقول: «مَنْ رَأى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا، كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً فِي قَبْرِهَا»[1].

فأجر من ستر عورة كأجر من أحيا نفسًا.

- احمِ نفسك من نفسك: فالنفس بطبيعتها لديها فضول وشراهة لمعرفة أسرار الآخرين، وفي حادثة الإفك التي اتُّهمت فيها

(1) الأدب المفرد للبخاري.

أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها في عرضها مع الصحابي الجليل صفوان بن المعطل رضي الله عنه موقفان يوضحان ذلك:

أحدهما: الحديث الذي دار بين أبي أيوب الأنصاري وزوجته، قال أبو أيوب لامرأته أم أيوب: أرأيت ما قال الناس في عائشة؟ قالت: نعم وهو كذب. ثم قالت له: لو كنت مكان صفوان بن المعطل أكنت تظن سوءًا بزوج رسول اللَّـه؟قال :لا. قالت: ولو كنت أنا مكان عائشة والله ما خنت رسول اللَّـه ﷺ، وصفوان خير منك وعائشة خير مني. فانظر كيف دار الموضوع فى بيوت الصحابة الشريفة الطاهرة.

الموقف الثاني: تقول السيدة عائشة إنه عندما سأل الرسول ﷺ السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها: فقال: «يا زيْنَبُ، ماذا رأيت وه سمعت يا زينب؟» فقالت: يا رسُولَ اللّهِ أَحْمي سَمْعي وَبَصَري[1]. تقول السيدة عائشة :وكانت زينب هي التي تساميني فعصمها اللَّـه من الورع.

وسُئل الربيع بن خُثَيْم التابعي الجليل: «لا نَرَاكَ تَخُوضُ فِي أمُورِ النَّاسِ؟ فقال: لَمْ أرْضَ عَنْ نَفْسِي حَتَّى أتَفَرَّغَ لِذَمِّ أحْوَالِ النَّاسِ».

---

(1) رواه البخاري.

فاستعن بالله واحرص أيها الإنسان الجديد على:

- أن تكون قبرًا للفضائح.
- وأن تحمي نفسك من نفسك حتى يصدق فيك يوم القيامة قوله ﷺ: «مَنْ عَلِم مِنْ أخِيهِ سيئةً فَسَتَرَهَا، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة»[1].
- ولا تكن ممن قال فيهم: «وَمَنْ رَأى عَوْرَةً فَفَضَحَهَا فَضَحَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة». فكل ابن آدم خطّاء، أما فضح العورات فلا طاقة لأحدٍ منا به.

(1) المعجم الكبير للطبراني.

الخلاصة:

- **الخوض في أعراض الآخرين هو نِتاج تزاوج خصلتي الفضول مع شهوة الشعور بالتميز.**
- **سبب نشأة هذا الحال:**

1. عموم البلوى.
2. الشعور بالرضا والأفضلية عند رؤيتك للانبهار في أعين الناس.
3. الاستسلام لشهوة الفضول.

- **علامات سيطرة هذا الحال:**

تكرار كشف الأسرار.

- **لماذا يؤذيك الخوض في الأعراض؟**

لأنه يؤدي إلى:

1. ثِقَل الكتف بالخطايا.
2. التعرض لأزمة الثقة في الآخرين.

- **كيف تتخلص من هذا الحال؟**

1. كُن قبرًا للفضائح.
2. احمِ نفسك من نفسك.

*** احمِ نفسك من أخطر شهوة قد تمتلك قلبك، وكلما شدَّتك نحوها فابتعد عنها أميالًا وأميالًا..**

مقاومة التغيير

إن الشيء الثابت الوحيد في هذا الكون الكبير هو مفهوم التغيير المستمر. فهذه الحقيقة شاهدها كل من خبر الحياة ورأى نفسه وكل ما حوله يعتريه الزيادة أو النقصان، أما النمو والتطوير فما هما إلا القدرة على التفاعل البناء مع تغيرات الأحداث.

من أولى لحظات خروجك للكون تتغير درجة حرارة لبن الأم ليأتيك باردًا في الصيف دافئًا في الشتاء، كما تقطع مليارات الطيور والحيوانات آلاف الأميال مهاجرة في استجابة للتغيرات المناخية كل عام بحثًا عن مقومات البقاء، إما للتكيف مع التغييرات أو الموت، فملايين الاختراعات أنتجتها الأمم المتحضرة لتواكب متغيرات احتياج الإنسان.

كما يعد فشل **إسحق نيوتن**، رائد الثورة العلمية، في إدارة مزرعة أسرته واستجابته لاقتراح خاله بترك الزراعة والانتقال لجامعة كامبريدج سببًا في تغيير وجه التاريخ وبداية الثورة العلمية باكتشافه للجاذبية!

فلو لم ينحن غصن الشجرة برفق لكسرته تغيرات سرعة الرياح.

فقد استفاق اليابانيون بين عشية وضحاها على بلد دمرتها القنبلة النووية، وما هم عليه الآن من علم وتطور إلا نتيجة الاستجابة لهذا التغيير الضخم وتحويله من تدمير إلى تطوير، كما فارق الصحابة الكرام الديار وملاعب الصبا بعد يقينهم بالقضاء

عليهم إن لم يستجيبوا لداعي الهجرة فرارًا بعقيدتهم رغم صعوبة هذا التغيير، **فما يقاوِم على الحقيقة هو الانتكاس والتدهور، وهو أنْ** تنفرط قيمك انفراطَ **حبات العِقد لتتلون مع ما أو من يتغير حولك،**

1 فقيِّم ما يحدث من حولك واستجب كل يوم لمستجدات الأقدار التي توصلك إلى أحلامك، ولو من طرق مختلفة لم تجرب السير فيها من قبل.

2 واستعن بالهادي.

3 وأدرك السنن الكونية في نفسك ومن حولك؛ لتدرك أن لله سننًا ونظمًا دقيقة جعلها تسير وتنظم حركة الروح وحركة الجسد وحركة الأكوان من حولك،

وهذه السنن هي:

1	2	3
سنة التدافع	**سنة التدرج**	**سنة التغيير المستمر**

1 سنة التدافع: أي تدافع الخير والشر إلى يوم القيامة.

2 سنة التدرج: أي أن كل ما يحدث في هذا الكون يكون تدريجيًّا، بداية من خلق السماوات والأرض مرورًا بكل ما يحدث في هذا الكون من تغييرٍ.

3 سنة التغيير المستمر: فكل ما في الكون يتغير باستمرار، كهيئة الإنسان التي تتغير مع الزيادة في العمر، وكذلك العوامل التي تؤثر في المناخ، إلى غير ذلك. فمِن الصعب

أن يُسيطر على الإنسان حالٌ يتعارض مع هذه السنن الربانية، مثل: حال «مقاومة التغيير».

ما معنى مقاومة التغيير؟

هو عدم القدرة على التأقلم مع التغيرات المستمرة، والخوف المستمر من التجاوب مع كل ما هو خارج إطار معلوماتك؛ بالرغم من التغيرات التي تحدث كل يوم، كتغيير في العمل، أو اضطرارك للعيش في مجتمع آخر، فكل هذه المتغيرات تحدث باستمرار، وينبغي لك أن تتأقلم معها.

لماذا نتجمد ونقاوم التغييرات من حولنا؟

أهم سبب هو «التخوف من فقدان مزايا الوضع الحالي»، فدائمًا الثبات على الوضع الحالي يُشعرك بالارتياح والأمان؛ لأنك اعتدت عليه وصرت متكيفًا معه بصورة أو بأخرى، لكن أن تفقد هذا الوضع وتتحول إلى وضع آخر، فهذا يشعرك بالخوف الشديد، رغم أن التغيير هو أمر حتمي ينبغي عليك أن تسعى للتأقلم معه لا أن تخاف منه.

قال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ بِأَطْرُقِ ابْنِ آدَمَ، فَقَعَدَ فِي طَرِيقِ الإِسْلامِ، وَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَدَعُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ؟ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، قال: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ وَإِنَّ الْمُهَاجِرَ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ - أي الصحراءُ الطويلة-؟ فَعَصَاهُ؛ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، قَالَ: تُجَاهِدُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُوَزَّعُ الْمَالُ؟ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ»[1].

كأن الرسول ﷺ يلفت انتباهك إلى أن الخوف من التغيير سببه **وساوس الشيطان** التي تدفعك لمقاومة هذا التغيير. فإن اضطررت إلى ترك العمل والالتحاق بعمل آخر، فإن كان العمل السابق فيه مزايا تخشى فقدانها، فما أدراك! لعل اللّـه - عزَّ وجلَّ - قد يفتح لك بابًا للرزق في عملك الجديد أوسع منه؟ وقد تكون في حياتك بعيدًا عن اللّـه - سبحانه وتعالى - وتسيطر عليك عادات سيئة اعتدتها ويصعُب عليك تركها، فيجب عليك أن تسعى للتخلص منها لتسير على طريق اللّـه، وتذكر دائمًا: **أن من ترك شيئًا لله عوّضه اللّـه خيرًا منه في دينه ودنياه.**

(1) سنن النسائي.

هل أنت شخص جامد يقاوم كل تغيير من حوله؟

أهم علامات مقاومة التغيير هي **تفضيل الاستقرار على التطور**، سواء كان هذا التطور روحانيًا في علاقتك مع اللّـه - عزَّ وجلَّ - أوماديًا كفرصة عمل جديدة، أو **اجتماعيًا في علاقات مع ناس لم** تعرفهم من قبل، وقد كان هذا هو الحال مع بني إسرائيل الذين أصروا على تناول ما اعتادوه من الأطعمة من الفول والعدس وما شاكل ذلك، يقول تعالى على لسانهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: 61]، في حين أن اللّـه - عزَّ وجلَّ - أخبرهم بأنه منزلٌ عليهم ما هو أفضل منه، يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ [البقرة: 57]، إلا أنهم أصروا على تناول ما اعتادوا عليه، فقال لهم سيدنا موسى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61]، **فكان الاستقرار بالنسبة لهم أهم من التطور.**

تأثير مقاومتك للتغيير على حياتك:

«توقف عن النمو والتطور»: فتمر السنة بعد السنة وأنت ملازم لما أنت فيه بلا أي تغيير يُذكر، بسبب **مقاومتك للتغيير**، فتترك فرصًا كان يمكن أن تُحدث قفزات في حياتك، ولاشك أن الهداية هي أكبر فرصة يمكن أن تغير حياتك للأفضل، ويحدثنا القرآن الكريم عن أقوام عاشوا في زمان بُعث فيه نبي من عند اللّـه، إلا أنهم لم ينتفعوا بنور الهدى الذي جاء به، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ

لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة: 104]، فتركوا فرصة أن يكونوا من أصحاب نبي من الأنبياء في أعلى الجنان، وفضلوا الاستقرار على أي تطور،

وفي ذلك يقول ابن عطاء اللَّـه السكندري: «كَيْفَ تُخْرَقُ لَكَ العَوَائِدُ وَأَنْتَ لَمْ تَخْرِقْ مِنْ نَفْسِكَ العَوَائِدَ؟!».

أي كيف تطلب نجاحًا ساحقًا أو قفزة كبيرة في حياتك وأنت لم تغير من عاداتك؟!

كيف أرادك اللّه أيها الإنسان الجديد؟

أرادك اللَّـه - عزَّ وجلَّ - «متأقلمًا»، راضيًا بأقداره التي يسوقها إليك، وخاصة تلك التي تُرشدك إلى طريق اللَّـه، والتي تسمى بـ«الهداية الربانية»، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ [الليل: 12]، فالله يرسل لك ما يهديك من أحداث، فتقبل أقدار اللَّـه التي قد تغير من أحوالك، كتغيير العمل أو المكان الذي تعيش فيه أو الناس الذين تتعامل معهم، لتكون متأقلمًا قادرًا على تفهم رسالة اللَّـه من كل تغيير يحدث لك.

تأمل كيف كان رد فعل الصحابة عندما طُلب منهم ترك ديارهم والهجرة من مكة إلى المدينة، وقد شبّه اللَّـه ترك الديار هذا بقتل الواحد لنفسه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ

أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [النساء: 66]، فانظر! كيف كان تأقلمهم مع هذا الوضع الجديد، ورضاهم به، واستسلامهم له، وكيف أنهم انصهروا مع إخوانهم الأنصار، يقول تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الحديد: 10]، فالكل له أجر عند اللَّـه، إلا أن للذين تحملوا عبء التكيف مع الوضع الجديد، وهاجروا، وجاهدوا الكفار، قبل فتح مكة، أعظم درجة وأعلى منزلة.

فعرَّف أينشتاين الجنون بأنه «أنْ تُكَرِّرَ نَفسَ الفِعْلِ، ثُمَّ تَطْلُبَ نَتَائِجَ مُخْتَلِفةً»، فلا بد أن تغير رد فعلك؛ حتى تتوقع نتائج أفضل.

والذي لا بد أن تسعى لمقاومته ليس التغيير وإنما «**التدهور**»، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم: 28]، أي يستخدم الإنسان نعمة اللَّـه عليه في معصيته - جل في علاه - بدلًا من أن يشكره عليها، ويضرب اللَّـه مثلًا لذلك بقوله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: 112]، فالله أسبغ عليك نعمه في الدنيا؛ لتسعد بها وتتطور للأحسن، فإذا جعلت من هذه النعم سببًا لفسادك فهذا هو التدهور، **فانتبه إلى لسانك الذي تذكر به اللَّـه ألَّا يلفظ قبحًا،** وعينك التي تنظر بها

في كتاب اللّـه لا تنظر بها إلى الفواحش، ورجلك التي مشيت بها لنصرة الضعفاء وقضاء حوائج الآخرين لا تسر بها لتؤذي خلق اللّـه.

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا متأقلمًا؟

يكون ذلك «بطلب المساعدة»، إذا شعرت أنك في حيرة من أمرك، وهذا يعد أيضًا من صفات القائد الناجح، الذي يستطيع أن يحدد متى يطلب المساعدة.

من راعٍ للغنم إلى نبي من أولي العزم من الرسل!

فسيدنا موسى عليه السلام كان تائهًا مع زوجته في صحراء مظلمة، فظل لعشر سنوات مضت يرعى الغنم لسيدنا شعيب عليه السلام وعندما أوفى الأجل وأتمه وأراد العودة لديار آبائه تاه في الصحراء، حتى وجد وهج نار يلوح من بعيد، يقول تعالى: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [طه: 10]، وفي آية أخرى: ﴿.... بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص: 29]، ففي هذه اللحظة أرسله اللّـه نبيًّا لفرعون، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [طه: 11: 12]، فتأمل هذا التغيير الهائل الذي حدث في حياة سيدنا موسى، **فمن راعٍ للغنم إلى نبي من أولي العزم من الرسل** يقود بني إسرائيل.

يقول اللّـه تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِۦ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ [طه: 24 : 32]، فبالرغم من تحمل موسى للمسئولية منذ أن كان صغيرًا، فإنه احتاج مُعينًا له من أهله على هذا التغيير الذي هو بصدده، فبادر إلى طلب ذلك.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴾ [الشعراء: 10 : 13]، فليس عيبًا أن تطلب العون من المقربين إليك إذا أقبلت على اتخاذ قرار أو خطوة جديدة في حياتك، خصوصًا إذا كان ذلك في سبيل التطور وليس انحدارًا أو تدهورًا.

وصية لنفسي وإياك:

لا تخشَ أي تغيير في حياتك إذا جاءتك فرصة للارتقاء والقرب من اللّـه - سبحانه وتعالى - فالكثير من الشباب قد يتردد في التوبة خوفًا من فقدان مزايا أو لذة لمعصية كان ملازمًا لها، كأنه لا يتصور أنه يمكن أن يجد في العلاقة مع اللّـه - عزَّ وجلَّ - لذة أعظم من تلك التي يجدها في المعصية، لعدم إدراكه طعم القرب من اللّـه تعالى، وأقسم لك إني لم أعرف أحدًا تقرب من اللّـه، ثم لم يجد في الأمر لذةً أكبر.

فإذا جاءتك فرصة للارتقاء ونادى عليك اللَّـه فاستجب، ولا تخف، ولا تقاوم هذا التغير، يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: 17]، فإذا ما جاءتك تلك الرسالة الربانية واستجبت لها، فاعلم أن اللَّـه سيجذبك إليه جذبة قوية، ويذيقك من اللذة فتحس معها كما لو أنك في الجنة، حتى قال الصالحون: «لَوْ يَعْلَمُ المُلُوكُ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ اللَّذَّةِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهَا بِالسُّيُوفِ». فلا تقاوم هذا الارتقاء، وامنح نفسك فرصة التغيير في القرب من اللَّـه - عزَّ وجلَّ - خصوصًا الذي يأتي في أيام النفحات ومواسم الطاعات، وأعطِ قلبك الفرصة ليتذوق طعم القرب من اللَّـه الذي سيكون عليه مدار دنياك وآخرتك.

نسألك يا رب، أن تأخذ بأيدينا للتأقلم مع أي تغيير تسوقه إلينا أقدارك، وارزقنا الرضا به، واجعلنا لا نقاومه أبدًا.



الخلاصة:

- **ما معنى مقاومة التغيير؟**

هو عدم القدرة على التأقلم مع التغيرات المستمرة، والخوف المستمر من التجاوب مع كل ما هو خارج إطار معلوماتك.

- **لماذا نتجمد ونقاوم التغييرات من حولنا؟**

أهم سبب هو «**التخوف من فقدان مزايا الوضع الحالي**».

- **هل أنت شخص جامد يقاوم كل تغيير من حوله؟**

أهم علامات مقاومة التغيير هي **تفضيل الاستقرار على التطور**.

- **تأثير مقاومتك للتغيير على حياتك:**

توقف عن النمو والتطور.

- **كيف أرادك اللَّـه أيها الإنسان الجديد؟**

أرادك اللَّـه - عزَّ وجلَّ - «**متأقلمًا**»، **راضيًا بأقداره التي يسوقها إليك**.

- **كيف تُصبح إنسانًا جديدًا متأقلمًا؟**

يكون ذلك **بطلب المساعدة إذا شعرت أنك في حيرة من أمرك**.

*** التغيير أصل الحياة، ووراء كل تغيير خبرة مكتسبة، ودرس مستفاد، فإذا احترت فاطلب العون، ولا تقاوم التغيير، فقد تكون أفضل بكثير في ذات الوقت الذي ترى فيه الاستقرار إذا سعيت للتغيير، ولكنك لم تفعل.**

التسرُّع

قالوا في الحكمة: إن نصف الخطايا ينبع من التسرع؛ **فوظيفة العقل أو القلب هي إدراك الأحداث، ثم عرضها على القيم والإمكانيات، ثم يصدر قرار الفعل بعد ذلك. والحكيم يدرك تمامًا هل تستغرق هذه العملية أيامًا أم تستغرق ثواني حسب مجريات كل حدث. لكن الخطيئة الكبرى كثيرًا ما تنتج جراء التسرع في صدور الأقوال والأفعال دون تعرضها للانصهار مع القيم والبدائل في أفران العقل. ويقع الندم الحقيقي عند مَن يحلل عواقب فعله بعد أن يزلف لسانه أو تتسرع يده بالتصرف، وهو بمثابة إبقاء الإنسان نفسه في التهلكة، ثم البكاء على الأطلال وبقايا اللبن المسكوب، لذلك تعلمنا أن:**

التسرع أعمى؛ لأن المتسرع مرر أفعاله دون أن ينظر إليها بعيون القلب، والحكيم من رأى رد الفعل وتأمل في العواقب قبل التصرف.

ولقد كانت وصايا الحكماء بالتسرع في الغفران - إن أمكن - حتى لا يحيا الإنسان بآلام يستطيع التخلص منها، أما في أزمنة الفتن، فكانت الوصية النبوية «**أمسك عليك لسانك**»، حتى لا يتسرع الإنسان بالحكم عند غياب المنطق أو اختفاء المعلومة. وهذه عين الحكمة.

1. كن ممن تأمل قبل أن يتكلم.
2. وكن ممن تدبر في المآل قبل صدور الأفعال.

3 واعلم أن في التأني السلامة وفي العجلة كل الندامة.

4 واجعل قلبك دائمًا قاضيًا على كل أفعالك وأقوالك؛ ففي داخلك تتواجد الغرائز التي قد تستخدم في مصلحتك أو تقف ضدك، كحب المال والجاه فهي غريزة قد تدفعك إلى الطموح أو الطمع والجشع، والسكن للجنس الآخر غريزة أيضًا قد تدفعك للفواحش أو لبناء أسرة غير سليمة، و«العجلة»غريزة؛ حيث قال اللّه عنها: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: 37]، فهي للمسارعة في الخيرات وعلو الهمم والحماس نحو الأعمال، وليس في التسرع دون تفكير أو مراعاة لعواقب الأمور!

معنى التسرع:

هو الاستعجال في اتخاذ القرارات دون إتقان ودراسة العواقب، وهو خلاف «الحزم»، وهو السرعة المدروسة، لكن يعقبها وقت قليل من الحكمة.

ولذلك قال نبينا: «**الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ**»[1]، فكون اللّه - سبحانه وتعالى - تحدث في القرآن عن العجلة وكذلك ذكرها نبينا الكريم، فلا بد لنا من التوقف والتأمل والنظر في هذا الحال، ولماذا يسعى الشيطان ليُلبسه ابن آدم؟

(1) سنن الترمذي.

ما عدد قراراتك في اليوم؟

في إحدى الدراسات العلمية التي أُجريت على عدد كبير من الناس، سألوا فيها عن عدد ما يتخذونه من القرارات في اليوم، فتراوحت إجاباتهم ما بين 10 : 14 قرارًا، وفي اليوم التالي طُلب من كل منهم أن يقوم بتدوين كل ما يتخذه من القرارات، فوجد أن متوسط القرارات التي يتخذها الإنسان يوميًّا 200 قرارٍ، وهذا يعني أن الإنسان يمكن أن يتخذ قرارات سريعة دون وعي.

وإليك بعض صور التسرع، فقسها على نفسك:

1. **التسرع في الحكم على الآخرين.**
2. **التسرع في كلمة خرجت من فمك، ولم تستطع الرجوع فيها؛ فآذيت بها شخصًا آخر.**
3. **التسرع في اختيار أبسط الأشياء والمقتنيات، وحتى اختيار شريك الحياة.**
4. **التسرع في وعد ليس بإمكانك تحقيقه.**

الأعباء التي يُشكلها حال التسرع على الإنسان:

1. **التسرع هو أقصر طريق للخسارة**
2. **كثرة الندم**

1 التسرع هو أقصر طريق للخسارة: فالكثير يخرج من بيته مسرعًا ثم يُفاجأ بأنه قد نسي أشياء ضرورية؛ فيعود ليحضرها؛ فيخسر في ذلك وقتًا، ومن هذه الأشياء البسيطة إلى أمور أخطر من ذلك،

تأمل قوله ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَتَعَجَّلْ، يَقُولُ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»[1].

فيتوقف عن الدعاء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ وصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ له النبيُّ: ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّك لَمْ تُصَلِّ. فَرَجَعَ فَصَلَّى كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ له: ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّك لَمْ تُصَلِّ - ثَلاثًا - فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي. فَقَالَ: إذَا قُمْتَ إلَى الصَّلاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ معك مِنْ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاتِكَ كُلِّهَا»[2].

فتأمل صلاتك!

---

(1) مسند أحمد بن حنبل.

(2) رواه البخاري.

2 كثرة الندم: نتيجة لكثرة الخسائر. فعند قراءتي لبعض الإحصاءات وجدت إحصائية تقول: إن كل ست دقائق في بلادنا تحدث حالة طلاق، نصفها بسبب التسرع، والنصف الآخر بسبب العصبية، والحالات التي سببها التسرع يكون أغلبها في السنة الأولى من الزواج، وجزء آخر يحدث في أول نصف ساعة من عودة الزوج من العمل، إضافة إلى أن أغلب حالات الطلاق يكون سببها الأساسي هو التسرع في اختيار شريك الحياة؛ حيث يفاجأ الطرفان بأن طباع كل منهما لا تتماشى مع الآخر، فأين التأني في الاختيار قبل الشروع في الزواج؟! فجزء كبير جدًّا من انهدام البيوت سببه التسرع، قال تعالى: ﴿ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [الذاريات: 14].

تذكر!! كم مرة ندمت بسبب حكمك الخاطئ على أحدهم؛ لأنك سمعت عنه ما ليس فيه؛ فسيطرت عليك حالة من النفور التام منه، إضافة إلى الوساوس التي ملأت قلبك تجاهه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: 6]. لكن الندم الأكبر عندما يختار الإنسان الدنيا ويفضلها على الآخرة قال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: 18]، فأي ندم أعظم من أن يندم

الإنسان على حياته كلها بسبب انشغاله بالدنيا ونسيان الوقوف في الآخرة بين يدي اللّـه تبارك وتعالى!

من هو الإنسان الجديد؟

هو «المُتأني»، فكما

قال - عليه الصلاة والسلام -: «التَأَنّي مِنَ اللهِ، والْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»[1].

والله - جلَّ في علاه - أخبرنا في القرآن أنه لا يعجل، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف: 58]،

وفي بعض الروايات التي ذُكرت عن أبي بكر رضي الله عنه: «إنَّ اللهَ لَا يَعْجَلُ كَعَجَلَةِ أَحَدِكُمْ»[2].

فالله - سبحانه وتعالى - رحمته سبقت غضبه.

جاء وفد إلى المدينة لمبايعة النبي ﷺ فسارعوا نحوه مبادرين إلا واحدًا يُقال له أشج عبد القيس، أقام عند رحالهم فجمعها وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه.

---

(1) سنن الترمذي.

(2) مختصر تاريخ دمشق.

ثم أقبل إلى النبي ﷺ؛ فقربه النبي ﷺ، وقال له: «إنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْم والأَنَاة»[1].

فقراراتك لا بد أن تعرضها أولًا على عقلك وقيمك ومعتقداتك وعلى قدراتك، هل بإمكانك إنجاز هذا الشيء أم لا؟ بل وتعرضها على مشاعرك أيضًا، ومدى ارتياحك لاتخاذ هذا القرار، فكن متأنيًا أيها الإنسان الجديد!

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا متأنيًا؟

أولًا: اتبع نظرية السيناريو الأسوأ:

بمعنى «ما هي أسوأ العواقب للقرار الذي تنوي اتخاذه؟» فإن وجدت أنه بإمكانك تحملها فامضِ قُدُمًا، فمثلًا: إن كنت ستقول كلمة ما؛ فانظر! هل تستحي أن تُسأل عنها أمام اللّـه - عزَّ وجلَّ - يوم القيامة؟

وتذكر قوله ﷺ: «إذا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[2].

وعند اتخاذك قرارًا يمكنك تدوين إيجابيات وسلبيات هذا القرار في ورقة، فإن وجدت أن الإيجابيات تفوق السلبيات، وأنه

(1) رواه مسلم.

(2) رواه البخاري.

بإمكانك تحمل هذه السلبيات؛ **فتوكل على اللَّـه وخذ القرار،** وتذكر دومًا أن: **أسوأ الناس ندمًا هو مَن يُقَيِّم بعد اتخاذ القرار وليس قبله.**

الكرم الحاتمي:

وأضرب لك مثلًا بقصة عن فكرة احتمال السيناريو الأسوأ: قيل إن أحد قياصرة الروم سمع عن كرم شخص اسمه حاتم الطائي؛ فاستغربه، وبلغه أن لحاتم فرسًا من كرام الخيل عزيزة عنده؛ فأرسل إليه بعض حجابه يطلبون الفرس، فلما دخل الحاجب دار حاتم، استقبله أحسن استقبال، ورحب به وهو لا يعلم أنه حاجب القيصر، وكانت المواشي في المرعى، فلم يجد ما يقدمه لضيفه؛ فنحر الفرس، وأضرم النار، ثم دخل إلى ضيفه يحادثه؛ فأعلمه أنه رسول القيصر قد حضر يستميحه الفرس؛ فاستاء حاتم، وقال: هلا أعلمتني قبل الآن فإني قد نحرتها لك إذ لم أجد جزورًا غيرها. فعجب الرسول من سخائه وقال: والله، لقد رأينا منك أكثر مما سمعنا. فإن كان السيناريو الأسوأ هو ذبح أعز فرس عنده فبإمكانه تحمله في سبيل ألا يذهب ضيفه دون طعام، فأصبح بذلك أكرم العرب حتى ضُرب به المثل في الكرم، كما يقولون «الكرم الحاتمي».

ولتعلم يا صديقي! أن **عقلك له قيمة كبيرة**، وأن اللَّـه - عزَّ وجلَّ - قد أودع فيه مليارات الخلايا، ولهذا كان العلماء، وما زالوا، يبحثون مدى إعجاز هذا العقل البشري، ليس هذا فحسب، بل

إن الآلاف يدخلون في الإسلام فقط؛ لأنهم استخدموا عقولهم للوصول إلى الحق وإلى وحدانيته تبارك وتعالى.

ثانيًا: فصل المشاعر:

يقول تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[الشورى: 43]، **يقول العلماء في مسألة الغفران إنها تأتي بالتريُّث والتفكير في مدى العواقب التي ستنتج من النطق بكلمة يمكن أن تؤذي مشاعر الآخرين،** فكلمة الطلاق مثلًا، انظر! كيف يمكن في لحظة أن يفقد الزوج شريكة حياته وأم أبنائه، **فاصبر قليلًا وفكر قبل أن تتفوه بأي كلمة أو تقدم على** أي عمل.

ومما تعلمناه من مشايخنا قولهم:

«لا تقرر وأنت غضبان، ولا تَعِد وأنت في نشوة الفرح، ولا تعاتب وأنت حزين».

فالإنسان وهو غضبان قد يتخذ قرارات ترضي نفسه، لكنها لا تتوافق مع المصلحة، كذلك إن وعدت وأنت في نشوة الفرح قد تحمل نفسك فوق طاقتها، ثم لا تتمكن من الوفاء بعد ذلك، أما إن عاتبت أحدًا وأنت حزين فقد تعاتب بألفاظ جارحة بسبب مشاعر الحزن التي تسيطر عليك.

فتذكر دائمًا أن بإمكانك اتخاذ القرار الحكيم، ولكن فقط أعطِ نفسك فرصة للتريث والتفكير، ولا تندفع في كلامك، بل أعمِل

عقلك وقلبك أولًا، وكل ذلك لن يأتي إلا بالتأني، فالتأني من اللَّـه، والعجلة من الشيطان.

الخلاصة:

- **معنى التسرع:**

هو الاستعجال في اتخاذ القرارات دون إتقان ودراسة العواقب.

- **الأعباء التي يُشكلها حال التسرع على الإنسان:**

1. التسرع هو أقصر طريق للخسارة.
2. كثرة الندم.

- **من هو الإنسان الجديد؟**

هو «المُتأني».

- **كيف تُصبح إنسانًا جديدًا متأنيًا؟**

1. اتبع نظرية السيناريو الأسوأ.
2. فصل المشاعر.

*** قبل أن تأخذ أي قرار، وخاصة لو كان قرارًا مصيريًّا، اكتب ما تراه مناسبًا فيه، وما تخاف منه، وتوقع كل الاحتمالات، فحين تضعها نصب عينيك، تستطيع أن تصل إلى قرار أفضل من التسرع.**

قال غاندي الأب الروحي للمقاومة السلمية في الهند: «**لا يمكننا قيادة النتائج، يمكننا فقط السعي جاهدين**».

وقال الرسول الأمين - عليه الصلاة والسلام -: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسانَ على كل شيْءٍ»[1].

فقد نقل الاجتهاد من مجرد فضيلة يتسم بها الناجحون إلى فريضة مكتوبة يسأل عنها الرب يوم القيامة. **فهذا هو دور الإنسان الذي يتوقف هنا، ثم النتائج تدخل في حيز الأقدار والأرزاق والعطايا التي هي من تقدير الرب كامل الأوصاف.**

عندما طلب المشركون من الرسول ﷺ **أن يفعل أفعال الرب** من التحكم في أرزاق الأرض والسماء، وتسيير الملائكة، والتحليق في الجو، قال لهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: 93]. فالكمال المطلق لله وحده، والمطلوب من البشر هو الاجتهاد والإتقان وليس الوصول للكمال. **أما الإتقان، وهو الفريضة، فهو شيء آخر، وهو استفراغ الوسع والمجهود؛ لتحقيق أعلى النتائج الممكنة، وهذا هو المفروض.**

(1) رواه مسلم.

لم ينتصر قائد بارع عبر التاريخ في كل المعارك، ولم ينجح طبيب ماهر عبر العصور في كل العمليات الجراحية، ولم يحصل أن حقق فريق هدفًا من كل هجمة على المرمى، بل ليست كل بذرة يزرعها المزارع تنبت إلى شجرة عظيمة، ***فالنجاح والكمال الحقيقي هو ألا يبخل الإنسان على نفسه بالمحاولة المضنية، ثم يمارس بعد ذلك الرضا بالنقص المقسوم.***

1 فاطرح عنك أوهام الكمال.

2 وابحث عما هو مطلوب منك.

3 وأدِّهِ على أحسن حال.

4 واقبل بعد ذلك ما يقسمه الرب واطمئن.

فالعناية الإلهية لديها ساعة مضبوطة لكل شيء، فاشكر ربك، وحارب حال قلبك في الوصول لكل ما هو مرهق لروحك.

معنى البحث عن الكمال:

هو عدم قبول النقص بعد بذل المجهود المطلوب، بمعنى أن تبحث عن المثالية الزائدة في جميع نتائج أفعالك وجميع جوانب حياتك، وإذا رأيت نقصًا معينًا بعدما بذلت مجهودًا لتُحقق نتائج معينة تُصاب بهمٍّ شديد جدًّا؛ حيث قال «لويزماركيه»: «فالبحث عن الكمال هو أكثر الأمراض المؤذية التي أصابت الإنسان الحديث».

أسباب البحث عن الكمال:

1 البحث عن النجاح والتميز: وهو هدف نبيل ولكن عندما ينقلب لهمٍّ وحسرة بسبب عدم الوصول للكمال يُصبح عبئًا على صاحبه.

2 عندما لا يستطيع الإنسان التفرقة بين الكمال والإتقان والاجتهاد، فالكمال عكسه النقصان، والنقصُ أمر بشري طبيعي، أما الإتقان والاجتهاد فعكسهما التقصير وهو ما نهانا اللّـه عنه، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن: 16]، وقال أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ومعناها أن حق التقوى الاجتهاد وبذل ما في الوسع وليس الكمال!

علامات سيطرة حال البحث عن الكمال:

1	2
رفض أي خطأ	كل شيء أو لا شيء

1 رفض أي خطأ: وأخطاء البشر تكون لسببين أولهما: التقصير، وثانيهما: النقص البشري، فعندما تنسى شيئًا فهذا نقص بشري، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما سمي الإنسان إنسانًا؛ لأن اللّـه تعالى عهد إليه فنسي، وقد يخطئ الإنسان، وهذا أمر طبيعي، أما عندما يتكرر الخطأ فهذا يعتبر تقصيرًا.

يقول رسول اللّـه ﷺ: «رُفِعَ عن أمَّتي الخطأُ والنِّسيانُ، وما استُكرِهوا عليهِ»[1].

وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة: 286]، ورد في بعض نصوص السيرة: عن كعب بن عجرة رضي الله عنه

قالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَضْربُوا إمَاءَكُمْ على كسْرِ إنَائِكُم فإنَّ لهَا آجالًا كَآجَالكُمْ»[2].

فتجنب الخطأ، ولا تبحث عن الكمال.

2 كل شيء أو لا شيء: فتريد أن تفعل كل شيء بطريقة كاملة أو لا تفعل شيئًا على الإطلاق، فمثلًا: عندما تُريد أن تتزوج فتاة جميلة جدًّا وأنيقة جدًّا ولديها حياء ونسب، فمن الممكن أن تجد فتاة يتوافر فيها قدر كبير من هذه الصفات فلا تتزوجها؛ لأنك ترى الجزء غير المتواجد، وكذلك الفتاة تضع تفاصيل كاملة لشريك حياتها، وكذلك تركك للصلاة بسبب عدم إحساسك بالخشوع، فابدأ درجة درجة، فإذا كنت اليوم غير

(1) الحاوي الكبير للماوردي.

(2) جامع الأحاديث للسيوطي.

خاشع فغدًا ستخشع، ورفضك لذكر اللّـه لأنك عندما تذكره تُفكر بأشياء أخرى.

وسيدنا محمَّد ﷺ قال: «لا يزالُ لسانُك رطبًا بذكرِ اللَّهِ»[1].

لأنه يعلم أن قلبك لا يكون مُستحضرًا دائمًا، اذكر بلسانِك وقلبُك سيحضر بعد ذلك.

عواقب حال البحث عن الكمال:

- **الباحث عن الكمال لا يتذوق طعم النجاح:** فيشعر الكل بنجاحه إلا هو، ولا يشعر بالفرحة أو النعمة بسبب إحساسه بالنقص وعدم إدراك الكمال، فهو يشعر دائمًا بالتقصير، عَنْ أَنَسٍ قَالَ:

قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَأَيْنَا مِنْ أَنْفُسِنَا مَا نُحِبُّ، فَإِذَا رَجَعْنَا إِلى أَهَالِينَا فَخَالَطْنَاهُمْ أَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي فِي الْحَالِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُظِلَّكُمْ بِأَجْنِحَتِهَا وَلَكِنْ سَاعَةً وَسَاعَةً»[2].

(1) مسند أحمد بن حنبل.

(2) رواه ابن حبان.

لذلك من الطبيعي أن تكون في درس العلم لديك خشوع ورهبة، وفي البيت تضحك وتلهو مع أولادك وزوجتك. وقال بعض العلماء: «إن النقص أمر طبيعي في البشر».

لذلك يقول النبي ﷺ: «لا يَفرَكْ مُؤمِنٌ مؤمنةً، إن كرِهَ منها خلُقًا رَضِيَ منها آخرَ»[1].

فلا تكره زوجتك، وإن كان بها عيبٌ فأنت أيضًا بك عيب، وأنتِ لا تكرهي زوجك واقبلا بعضكما بغير كمال؛ لأن الكمال لله، عزَّ وجلَّ.

ماذا أراد اللَّه منك أيها الإنسان الجديد؟

أراد منك السعي مع التقبل، وأن تحاول دائمًا أن تُحقق اتزانًا ما بين بذل أقصى مجهود في تحقيق أفضل النتائج، وبين تقبّل كل هذه النتائج التي هي من قدر اللّـه، ويتوقف هنا عمل الإنسان عند بذل المجهود، ثم يأتي العطاء من اللّـه كما يُقدّر.

لذلك قال النبي ﷺ: «سَدِّدوا وَقَارِبوا وَأَبْشِروا»[2].

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

أي حاول أن تصل إلى أقصى شيء تستطيعه، (سددوا) أي: كن مُسددًا، ففكر وابذل مجهودًا في التفكير؛ لتكن مسدد الرأي، وكأن النبي ﷺ يوصيك بالإتقان.

ثم قال النبي ﷺ: « فإنه لنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ أحَدًا عَمَلُه. قالوا: ولا أنت يا رَسولَ اللّه؟ قال: ولا أنا إلا أنْ يَتَغَمَّدَنيَ اللَّهُ منه برَحْمَةٍ، وَاعْلَموا أنَّ أَحَبَّ العَمَلِ إلى اللّهِ أَدْوَمهُ وَإنْ قلَّ». [1]

وكأن سيد البشرية يقول: ابذل المجهود وارضَ بالنتائج، لذلك فالسعي الحقيقي للإنسان في الحياة أن يجتهد ليخرج من الدنيا وهو غير مُقصّر ليس وهو كامل.

اللّه يُريدك أن تجتهد وتسعى مع التقبّل:

فعن عَائِشَةَ أن الْحَوْلَاءَ بِنْتَ تُوَيْتٍ مَرَّتْ عليها، وَعِنْدَهَا رسول اللَّهِ ﷺ، قالت: فقلت يا رَسُولَ اللَّـه، هذه الْحَوْلَاءُ وَزَعَمُوا أنها لَا تَنَامُ اللَّيْلَ، فقال: لَا تَنَامُ اللَّيْلَ؟ خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ ما تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَسْأم اللَّـه حتى تَسْأَمُوا»[2].

(1) رواه مسلم.

(2) مسند أحمد بن حنبل.

وكأنه شعر بمشاعر الحولاء بنت تويت التي تعتقد أنها إذا نامت ستكون بذلك مُقصرة، فالله يُريدك أن تجتهد وتسعى مع التقبُّل؛ لأن البحث عن الكمال من مهلكات الرجال.

جاء رجل للإمام محمَّد بن كعب القرظي يقول له: إني عاهدت اللَّـه ألا أُغضبه أبدًا، فقال له: ومَن أعظم جرمًا منك! تتألى على اللَّـه ألا ينفذ فيك قضاؤه وقدره؟ أي أنت تحلف على اللَّـه ألا ينفُذ فيك قضاؤه عليك، لأن قضاء اللَّـه أن الإنسان ناقص، ومن الممكن أن يخطئ، فأنت إذا عاهدت اللَّـه أنك لن تعصيه هذه عصمة الأنبياء وأنت لست منهم، ثم قال الإمام لهذا الرجل: إن شئت أن تُعاهد اللَّـه فعاهده على التوبة إذا أذنبت. هذا هو الكمال الذي به نقص الاجتهاد، وإذا أخطأت تتوب إلى اللَّـه، فأنت غير معصومٍ من الذنوب والخطأ.

كل البشر خطاء، وخير الخطائين التوابون

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا؟

*أن تنظر للحياة على أنها عبارة عن مجهود ونتائج، **فأنت تبذل المجهود وعلى قدر إخلاصك تأتي النتائج من اللَّـه** - عزَّ وجلَّ - ويُسمى **هذا بالنظرة الشمولية للحياة**.*

ففي غزوة مؤتة كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، والغساسنة من الرومان مئتي ألف، وسبب هذه الغزوة أن الغساسنة قتلوا أحد رُسل النبي ﷺ الذي أرسله حتى يُحدثهم عن رب العالمين، فأخرج النبي ﷺ جيشًا من المسلمين، على رأسه سيدنا

خالد بن الوليد، وانتصر وقتها المسلمون على المئتي ألف من الغساسنة بخطة حربية مُحكمة تُدرّس في جامعات العالم الآن، ثم بعد هذا الانتصار أراد المسلمون أن يعودوا إلى بيوتهم، لكنهم لم يستطيعوا أن يفنوا المئتي ألف كلهم، فقرر خالد بن الوليد أن يرجع قبل أن تنتهي الحرب؛ لأنهم بذلك أخذوا حق الرسول الذي قُتل، فرجعوا والناس يقولون لهم كما حكت كتب السير: «يا فُرَّارُ، فَرَرْتُمْ في سبيل اللَّـه». فقال النبي ﷺ: «ليسوا بالفرَّارِ، ولَكِنَّهم الكُرَّار إن شاء الله تعالى»[1] (المُهاجمون)، فهم بذلوا ما بوسعهم، وكأن النبي ﷺ يقول ألا تطلب نتائج فوق الكمال. فلذلك يقولون:

اقبل من الناس ما تيسَّر ودع من الناس ما تعسَّر

فإنما الناس من زجاجٍ إن لم ترفَّق به تكسَّر

فإذا طلبت المثالية من كل المحيطين بك في كل وقتٍ فأنت بذلك تكسرهم.

وهناك مثل أجنبي يقول: إذا لم تتوقع المثالية من أحبابك تستطيع بذلك أن تُحبهم.

لأنك تطلب المثالية، والشخص الآخر لا يستطيع أن يكون مثاليًا، فتشعر بأنه مُقصر في حقك، والحب يأتي عندما يقبل الإنسان الآخر كما هو، فاجعل نظرتك شمولية.

---

(١) تاريخ الطبري.

كان النبي ﷺ ذاهبًا لغزوة من الغزوات في رمضان، وكان الصحابة يُريدون الصيام، فقال لهم النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطِرُوا»[1]، وكأن النبي ﷺ يقول لهم: كيف ستصومون وهو شيءٌ فوق قدرات البشر! وكأن الصحابة كانوا يُريدون أن يأخذوا كل الخير؛ يُحاربون في سبيل اللّـه، وأيضًا يصومون، فوجههم النبي ﷺ أن يفطروا، وعزم عليهم؛ أي أكد عليهم أن يُفطروا.

قال النبي ﷺ: «من أتى فِرَاشَهُ وهو يَنْوي أنْ يَقومَ يصَلِّي من اللَّيلِ فَغَلَبَتْهُ عَيناهُ حتى أَصبَحَ كتِبَ له ما نوَى وكان نَوْمهُ صدَقَةً عليه من رَبِّهِ - عزَّ وجلَّ»[2].

فالله قد تصدق عليك وأنت نائم على الرغم من أنك لم تُصلِّ، ولكنك فعلت ما عليك، فلا تبحث عن الكمال، ولا تُحمّل نفسك فوق طاقتها، وارفق بنفسك؛ فإن الناس مثل الزجاج إن لم ترفق به تكسر.

نسألك يا ألله، أن تعلِّمنا الاجتهاد والسعي، وأن تطرد عنّا البحث الدائم عن الكمال؛ لأنه من مهلكات الرجال، وقدرنا يا رب، أن نُفرق بين الاجتهاد والكمال.

---

(1) رواه مسلم.

(2) سنن النسائي.



الخلاصة

- **معنى البحث عن الكمال:**

هو عدم قبول النقص بعد بذل المجهود المطلوب.

- **أسباب البحث عن الكمال:**

1. البحث عن النجاح والتميز.
2. عندما لا يستطيع الإنسان التفرقة بين الكمال والإتقان والاجتهاد.

- **علامات سيطرة حال البحث عن الكمال:**

1. رفض أي خطأ.
2. كل شيء أو لا شيء.

- **عواقب حال البحث عن الكمال:** الباحث عن الكمال لا يتذوق طعم النجاح.
- **ماذا أراد اللّـه منك أيها الإنسان الجديد؟** أراد منك السعي مع التقبل.
- **كيف تُصبح إنسانًا جديدًا؟** أن تنظر للحياة على أنها عبارة عن مجهود ونتائج.

*** البحث عن الكمال يزيد النقص.. إذا وضعت هذه المقولة أمام عينيك زاد تركيزك على إتمام ما تفعله بأفضل ما يمكنك وبإحسان دون النظر للكمال، وحينها ستزيد قيمة ما تفعل.**

التكاسل والاعتمادية

قديمًا قالوا في الحكمة: الدماغ الكسول بيت الشيطان؛ ذلك لأن الشيطان يحب أن يسكن حيث الفراغ والملل؛ ليشهد بنفسه ميلاد الرذيلة والأفكار الشريرة، فبالسكون والخمول تتوقف حياة الإنسان، ويصاب بشيخوخة مبكرة، وبالكسل انهزمت شعوب واحتلت أراضيها، وبالكسل خفت موازين يوم القيامة، وسُمعت هناك صرخات الندامة. فالإنسان كنز هائل من الطاقات الفريدة من نوعها، عندما أَعمل عقله استطاع أن ينير العالم بعد عصور عاشها أجداده في الظلام، وعندما عبَّر عن مشاعره خطف وجدان الجميع بأعذب الكلمات وأرق الألحان، وفي الوقت الذي تحرك فيه من سباته قام بتحويل الصحاري إلى جنة خضراء وسكن فوق أعالي قمم الجبال، فالإنسان مصنع عظيم ضخم مليء بالآلات العملاقة المنتجة لشتى أنواع الإبداع، وقوده الإصرار والجدية، ولو تغلب عليه الكسل، كأنك قد قمت بفصل التيار الكهربائي عنه؛ فأصبح المصنع العملاق ساكنًا ساكتًا مهجورًا، وسرعان ما يمتلئ بالحيات السامة.

فالعمل الجاد هو سر الحياة، وهو مفتاح الجنة ودأب الأنبياء، وبالمثابرة عاش نوح عليه السلام عشرة قرون يدعو أهل الأرض، وبالجدية رفع إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام قواعد البيت الحرام؛ لأن بالحركة

الدءوب يحقق الإنسان ما كان يظنه مستحيلًا، فالكروان لا يأكل بصوته الجميل إنما صوته تسليةٌ له أثناء كدِّه وتعبِه على رزقه وقوته.

1 فانفض عن نفسك غبار الكسل والتراخي.

2 وتحرك بخُطًى سريعة واثقة نحو أحلامك ومستقبلك.

3 وتأكد أن السماء لا تمطر ذهبًا.

4 وثق برب لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

5 واستعذ مما استعاذ منه نبيك.

فعن أَنَس بن مَالكٍ ﷺ كان نَبيُّ اللّهِ يقول: اللهم إني أَعوذُ بكَ من العَجْزِ وَالكَسَلِ وَالْجبْنِ وَالهَرَم وَأَعوذُ بكَ من عذَابِ القَبْرِ وَأَعوذُ بكَ من فتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ.[1]

وتذكر دومًا أن العجز قد لا يكون قرارًا اختياريًّا، أما الكسل فهو قرار تأخذه بكامل إرادتك واختيارك.

ما هو الكسل؟

هو أن يكون لديك نية وطموحٌ أن تُحقق أفضل النتائج دون مجهودٍ يُذكر.

1 **ومن الممكن أن يكون الكسل عقليًّا**؛ بمعنى أن تكون غير مهتمٍّ بأن تتعلم وتُفكر وتفهم.

(1) رواه البخاري.

2 ومن الممكن أن يكون بدنيًا؛ فيكون لديك أمانٍ عظيمة جدًا لكنك لا تتحرك ولا تتخذ خطوات لتحققها، لذلك أمرنا اللَّـه بالتحرك؛ فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، فيجب أن تعمل لتنال تلك الأماني ولا تتكاسل، والله يقول: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: 176]، أي أراد أن يستريح ولا يبذل أي مجهودٍ واتبع هواه، فانتبه من هذا الحال لأنه مؤذٍ جدًا، ويُحدث ضغطًا وعبئًا نفسيًا شديدًا، ويُعطل أممًا كاملة عن مُراد اللَّـه.

علامات حال الكسل والاعتمادية:

1	2	3
التعامل مع الأمور الضخمة بمنتهى التراخي	كثرة أوقات الفراغ	ضمور في العزيمة

1 التعامل مع الأمور الضخمة بمنتهى التراخي: أي يكون لديك مهام كبيرة تتعامل معها بمنتهى البطء، وهذا دليل على أن حال الكسل متمكن منك، فانظر قول اللَّـه تعالى في حال المنافقين: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: 54]، فهم يعلمون أن اللَّـه هو مَن يناديهم

للصلاة ولكنهم لا يستجيبون إلا وهم كسالى، ومشكلة أيضًا عندما تكون جالسًا في منزلك لمدة طويلة دون أن تبحث عن وظيفة فقط تجلس وتبحث على الإنترنت، أو تقرأ في الجرائد، وتأتيك وظيفة رائعة لكنها تحتاج إلى أكثر من ركوبة؛ فتفكر ألا تذهب؛ لأنك تريد وظيفة قريبةً منك، فأنت بذلك تتعامل مع موضوع ضخم جدًّا بتراخٍ شديد.

ومن الأمور التي يجب ألا تُؤخذ بتراخٍ هي تحقيق الاتزان بين وظيفتك وتربية أولادك، حتى لا تجتهد في عملك، وتنسى متابعة أولادك في مدارسهم وواجباتهم... وفي ذلك قال أحمد شوقي[1]:

لَيسَ اليَتيمُ مَنِ انتَهى أَبَواهُ مِن	هَـمِّ الحَياةِ وَخَلَّفـاهُ ذَليـلا
إِنَّ اليَتيمَ هُـوَ الَّـذي تَلقـى لَـهُ	أُمًّـا تَـخَلَّت أَو أَبـا مَشغـولا

2 كثرة أوقات الفراغ: الحقيقة التي يعرفها العالم كله أن أوقات الإنسان أقل بكثير من الواجبات التي عليه، وفي عصرنا هذا بدأ التحدث عن كيفية ترتيب وقتك على الواجبات المطلوبة منك سواء في الحياة العملية أو عبادات بينك وبين اللَّـه، أو مطلوبات اجتماعية في علاقاتك.

(1) أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك (16 أكتوبر 1868 - 14 أكتوبر 1932)، كاتب وشاعر مصري، يعد من أعظم وأشهر شعراء العربية في العصور الحديثة، يلقب بـ«أمير الشعراء».

لذلك يقول سيدنا عبدالله بن مسعود: «إني لأُبغض الرجل الذي أراه فارغًا ليس في شيءٍ من الدنيا وليس في شيءٍ من الآخرة».

والنبي ﷺ استعاذ بالله من الكسل. فادعُ اللّـه أن يحميك من كسل النفوس؛ لأنه يُسبب فقرًا في الإنجازات والأرزاق، وهناك قاعدة تقول: إن الكسل هو السبب الأول لخسارة الإنسان، فأغلب الخسارات الموجودة في العالم بسبب عدم إعطاء المجهود الكافي في الحياة، وهنا «ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **نِعْمتَانِ مغْبُونٌ فِيهما كثِيرٌ من الناس الصِّحَّةُ والْفَرَاغ**»[1]. فخسارة الإنجازات وخسارة الأرزاق بسبب الكسل، لذلك هناك من يُفصَلون من أعمالهم بسبب أنهم غير ملتزمين بوقتهم وبتحقيق المستهدفات، وفي بعض الأحيان يحدث طلاق بسبب الكسل عن قضاء الواجبات الأسرية، وأحيانًا رسوب في الامتحانات بسبب الكسل عن المذاكرة، وبعض طلبة كلية الهندسة عندما يُطلب منهم مشروعٌ به رسومات يبحثون عن رسومات قديمة؛ حتى يقلدوها ويقدموها، فهم بذلك لم يتعلموا شيئًا صحيحًا؛ لأنهم لم يُضيفوا شيئًا جديدًا.

3 ضمور في العزيمة: حسب *قول العلماء فإن عزيمة الإنسان وقوته وطموحه مثل العضلة، إذا لم يستخدمها كثيرًا قلَّت وضعفت*، وكان في زمن النبي ﷺ المنافقون لديهم كسل بأن

(1) رواه البخاري.

يخرجوا مع النبي في الغزوات والحروب، بل ولديهم كسل بأن يسمعوا نداء اللّـه ولا يذهبون للصلاة. وغزوة تبوك نزلت فيها سورة التوبة وسُميت أيضًا بالفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، وكان المسلمون فيها عشرين ألفًا والرومان مئتي ألف، فقال اللّـه: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ [التوبة: 86 ، 87]، الطَّوْل: القدرة، أي مع أنهم لديهم القدرة والقوة لكنهم تكاسلوا عن الخروج مع الرسول لينصروا اللّـه.

وعن ثَوبَانَ، قال: قال رسول اللّهِ ﷺ: يوشِكُ الأُمَمُ أنْ تدَاعَى عَلَيكُمْ كما تدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصعَتِهَا. فقال قائِلٌ: ومِنْ قِلّةٍ نَحنُ يومَئِذٍ؟ قال: بلْ، أَنتُمْ يومَئِذٍ كثِيرٌ ولَكِنّكُمْ غُثاءٌ»[1].

فلا توجد قوة ولا همة، كمثل القش الذي يسير فوق الماء، فالله لا يريدك أن تكون كالغثاء، بل يريدك أن تكون رجلًا، حيث ينظر اللّـه إليك، فيجدك تفعل شيئًا يرضى عنه في بيتك أو عملك أو بلدك، لكن سيطرة حال الكسل والاعتمادية ثمنها غالٍ جدًّا.

(1) سنن أبي داود.

أرادك عالي الهمة، عن حسَيْنِ بن عَليٍّ قال:

قال رسول اللّهِ ﷺ : «إنَّ اللّهَ يحِبُّ مَعَاليَ الأمُورِ ويَكرَهُ سفسافَها»[1].

اللَّـه يحب العبد النشيط القوي الذي لديه أهداف، والذي يُفكر فيما أراد اللَّـه منه، و(سفسافها) أي الأشياء التافهة التي تضيِّع الوقت، وخلق اللَّـه بداخلنا ثلاث قوى؛ حتى يُشجعنا على النشاط:

1	2	3
قوة شهوانية	قوة غضبية	قوة فكرية

1 قوة شهوانية: تجعلك تفكر في تحقيق المال والإنجازات، وتريد أن تتزوج، شهوانية الجمع خلقها اللَّـه في الإنسان.

2 قوة غضبية: تجعل لديك كرامة، ولا تحب أن تُهان ولا تُذل.

3 قوة فكرية: تجعل عندك نَهَمًا لجمع المعلومات ونهمًا لأن تتعلّم.

والكسل يأتي فيقضى على كل هذه القوى، فلا تترك مجالًا للكسل، وكن عالي الهمة، وانظر دائمًا، واعلم أن اللَّـه عونك وسندك.

(1) المعجم الكبير للطبراني.

فعن المِقْدَام ﵁ عن رسول اللّهِ ﷺ قال: «ما أكَلَ أحَدٌ طعَامًا قطُّ خَيرًا من أنْ يَأكُلَ من عمَلِ يدِه»[1].

وسيدنا داود ﵇ كان من الأغنياء، ففي البداية كان إنسانًا بسيطًا، ثم أعطاه اللَّـه عملًا ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: 10]، جعل اللَّـه الحديد يلين في يده، فبدأ بتصنيع الدروع، فكسى الجيوش بالدروع واغتنى، حتى قال اللَّـه عنه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾ [النمل:15 : 16]، فالحداد البسيط ورث منه ابنه حكم العالم، ومع ذلك كان سيدنا داود ﵇ يأكل من عمل يده.

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا عالي الهمة؟

1	2
اربط الأمنية بالعمل	عظِّم الخيال

1 اربط الأمنية بالعمل:

يقول ابن عطاء اللَّـه السكندري: **«الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية»**.

(1) رواه البخاري.

فماذا عملت لأمنيتك؟ إذا كانت الإجابة: لا شيء؛ فستظل مجرد أمنية، ويجب أن تعمل باستمرار حتى تنالها، يقول اللّـه تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: 110].

عن أَنَس بن مَالِكٍ، «أَنَّ رَجلًا من الأَنْصَارِ أتى النبي ﷺ يَسْأَلُهُ؛ فقَالَ: أَمَا في بَيْتِكَ شَيءٌ؟ قال: بلَى، حلْسٌ نَلبَسُ بَعضَهُ وَنَبْسطُ بَعضَهُ، وَقَعبٌ نَشرَبُ فيه من المَاءِ، قال: ائْتِنِي بهِمَا. فأَتَاهُ بهِمَا؛ فَأَخَذَهمَا رسول اللّهِ ﷺ بيده، وقال: من يَشْتَري هذين؟ قال رَجلٌ: أنا آخِذُهُمَا بدِرْهَـم، قال: من يَزِيدُ على دِرْهَمٍ مَرَّتَينِ أو ثلاثًا؟ قال رَجلٌ: أنا آخذُهُمَا بدرْهَمَيْن. فَأَعْطَاهمَا إيَّاهُ، وأَخَذَ الدّرْهَمَيْن وَأَعْطَاهمَا الأَنْصَارِيَّ، وقال: اشتَرِ بأَحَدِهِمَا طعَامًا؛ فَانْبذْهُ إلى أَهْلكَ، وَاشتَرِ بالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بهِ. فأَتَاهُ بهِ؛ فشَدَّ فيه رسول اللّهِ ﷺ عودًا بيده، ثمَّ قال له: اذْهبْ فَاحْتَطبْ وَبعْ ولا أرَيَنَّكَ خمْسَةَ عشَرَ يوْمًا. فذهب الرّجُلُ يَحْتَطبُ وَيَبيعُ؛ فجاءَ وقد أَصَابَ عشْرَةَ دَرَاهمَ؛ فاشْتَرَى ببَعْضِهَا ثوْبًا وَببَعْضهَا طعَامًا، فقال رسول اللّهِ ﷺ: هذا خيْرٌ لك من أنْ تجيء الْمسْأَلَةُ نُكْتةً في وَجْهكَ يوم الْقِيَامَةِ»[1].

فمسألتك الناس أن يعطوك شيئًا ستأتي يوم القيامة وفي وجهك نقطة سوداء.

---

(1) سنن أبي داود.

وعن أبي كَبْشَةَ الْأَنمَاريِّ، أَنَّهُ سمع رسُولَ اللّهِ ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن، منها: وما فتحَ عبدٌ بابَ مسألةٍ (وهو لا يستحقُّ) إلا وفتحَ اللَّهُ عليهِ بابَ فقرٍ»(١).

فالنبي ﷺ يُريدك أن تعمل وتربط الأمنية بالعمل.

2 عظِّم الخيال: تخيل جمال الإنجاز، اللَّـه - عزَّ وجلَّ - جعلنا نُعظم الخيال عندما قال: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 133]، فدفعك لتتخيل منظر الجنة وهي بعرض السماوات والأرض، وهناك مئات الآيات التي تتحدث عن نعيم المجتهدين، قال ابن إسحاق الحربي: وقد أدرك جميع عقلاء الأمة أن النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأن مَن فضَّل الراحة فاتته الراحة.

والطيار الأمريكي المشهور الذي أُسِر في حرب فيتنام، ومكث سبع سنواتٍ في سجن مغلق مُظلم، وحتى لا يحدث له جنون ظلَّ يتخيل أنه يلعب جولف مع أصحابه، فظلَّ طوال السنوات السبع يتخيل حتى لا يموت من الوحدة، وبعدما خرج من السجن دخل بعدها بطولة جولف، وفاز بمركزٍ متقدم، فالخيال يُغير أشياء كثيرة بداخلك، فالله تعالى جعلك تتخيل منظَر الجنة ونعيم الآخرة حتى تعمل صالحًا من أجل هذا النعيم، وعلماء النفس

(١) سنن الترمذي - بتصرف.

يؤكدون هذا، وتحدث اللَّـه عن الكسالى، فقال: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: 42]، فحين يأمرك اللَّـه بأن تصلي، وأنت تقول: لا أستطيع، يوم القيامة يقول اللَّـه لك: أتتذكر عندما قلت لك: صلِّ وأنت قادر وكنت لا تصلي؟! فلا تدع للكسل مجالًا ليُسيطر عليك؛ لأن اللَّـه يُحبك ويقول لك: حي على الصلاة، حي على الفلاح، ولك أن تتخيل هذا المشهد العظيم...

نسألك يا ألله أن تبث الحياة في أركاننا ونفوسنا وأرواحنا؛ حتى نصير كما تحب وترضى.



الخلاصة:

- **ما هو الكسل؟**

هو أن يكون لديك نية وطموحٌ أن تُحقق أفضل النتائج دون مجهودٍ يُذكر.

- **علامات حال الكسل والاعتمادية:**

1. التعامل مع الأمور الضخمة بمنتهى التراخي.
2. كثرة أوقات الفراغ.
3. ضمور في العزيمة.

- **كيف أرادك اللّـه؟**

أرادك عالي الهمة.

- **كيف تُصبح إنسانًا جديدًا عالي الهمة؟**

1. اربط الأمنية بالعمل.
2. عظِّم الخيال.

*** إذا أوجدت من عملك حلمًا لك فحينها لن تصاب بالكسل، وادع بدعاء النبي ﷺ أن يعيذك من الكسل والعجز.**

النقمة على الحياة

من أجمل الكنوز التي يحويها عقل الإنسان كنز الذكريات، وكلما كانت للإنسان ذكريات مبهجة في أماكن محددة اشتاق لهذه الأماكن التي تسطع عليه بأجمل المعاني، ويُبغض الإنسان ويَنفُر من كل مكان يلقي بظلال الجراح والآلام عليه.

فكلما تواجد في هذا المكان المشئوم تذكر جراحه ومعاناته؛ فيشعر وكأنه مسجون في غرفة ضيقة مظلمة أوشك الهواء أن ينتهي منها، يستغيث ولا أحد يسمعه، لكن ما أشد ويلات إنسان ذكرياته مؤلمة مع الحياة كلها! فإذا ثقل على كتفه حمل البلاء سيطرت عليه مشاعر النقمة على هذا المكان الذي هو الحياة بأسرها، التي كانت ساحة لهذا البلاء ومضماره، فعندها تصغر في عينه كل نعمة وكأن البلاء صار ثقلًا على كتفه، فيُحني ظهره، وينظر تحت قدميه، ولا يرى الفرج أمامه ولو كان على بُعد خطوات.

كرستينا أوناسيس بنت أغنى رجال العالم اجتاحت مشكلتها العاطفية - بعد أكثر من طلاق - جميع جوانب حياتها المزدهرة، وكان جرحها العاطفي كفيلًا بإسدال الستار على ملياراتها الطائلة والخدم والحشم وأساطيل السيارات، بل وإسدال الستار على حياتها بالانتحار، **وكم من إنسان انتحر معنويًّا لفقدانه الأمل** فيما يمتلك من إمكانيات وأن تكون هي حبله الذي ينقذه من هذه البئر العميقة! والأصعب هو فقدانه الأمل في الخالق بأنه ما زال يريد أن يعتني به.

والأمل وحسن الظن في رحمة المولى وفضله هو حبل اللّه المتين، وهو الصراط المستقيم الذي يسير عليه من أيقن الهلاك؛ حتى يعبر من فوق نيران البلاء.

ولولاه ما احتمل أي مريض ويلات المرض، ولا استطاع من فقد حبيبًا أن يخرج من آلام الفراق، ولا قاوم أي فقير اعتصار أزماته المالية.

1 فأنقذ نفسك من كراهية الحياة.

2 **وتأكد أن مفاتيح الفرج بيد من هو أرحم بك من نفسك.**

3 وابحث فيمَا هو متاح أمامك، لعل ربك أرادك أن تسلك طريقًا آخر، **فالتغيير أصل الحياة، والأزمات من أقوى مسارات التغيير في الحياة**، ولكنه طريق إما أن يذهب بك إلى القوة وإما إلى الضعف والمقارنة والنقمة في النهاية لما أصابك، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ [هود: 9].

أسباب سيطرة هذا الحال:

- الشك في انفراج الأزمة على المدى القريب: ففي غزوة الأحزاب كان عدد المشركين تقريبًا عشرة أضعاف المسلمين، واستمر الحصار لمدة 45 يومًا، ولا يوجد أيُّ طعام يدخل المدينة، لأنها كانت محاصرة، فقال تعالى: **﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾** [الأحزاب: 10 : 11]. **فعندما يشك الإنسان في انفراج المحنة على**

المدى القريب تحدث له هزة شديدة في حياته كلها خصوصًا لو كان الابتلاء في جزءٍ أساسي من حياته، كأن يكون في الصحة أو المال أو تأخر في الزواج.

علامات سيطرة هذا الحال:

- الانزعاج الشديد والعصبية الشديدة بسبب أتفه الأمور؛ لأن الإنسان لديه قدر محدد من الإرادة، مثل كوب الماء المملوء، فإذا استهلك هذه الإرادة في الصبر والتفكير في الأمر السلبي في حياته فسوف يُصاب بالعصبية الشديدة لأتفه الأسباب! وأنا لا أجعل من نفسي أُستاذًا على شخص مُبتلى وحزين إطلاقًا، ولكني أريد أن أشاركه، وأوصيه بأن يضع هذه المحنة في حجمها الطبيعي حتى وإن كان حجمها كبيرًا، ولا يجعلها تُدمّر بقية حياته. فالعرب تقول:

وطعن كفم الزق غذًا والزق ملآن

والزق هو الجراب الجلد الذي كانوا يضعون فيه الماء قديمًا، فإذا كان الزق مملوءًا على آخره ولمسته لمسة صغيرة يفور الماء من فمه، فكذلك الإنسان (مش مستحمل لمسة.. ينفجر). وصدق قول رب العالمين: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ [المعارج: 19، 20]. وعندما تجد أن العصبية الشديدة والجزع الشديد أصابك فاعرف أن هذا الحال بدأ يُسيطر عليك.

الأعباء التي يُسببها حال النقمة على الحياة:

- انطفاء الصلة بين العبد وربه: فالعبد يستمد سعادته في الدنيا عندما تكون روحه موصولة بالله - سبحانه وتعالى - يقول ابن القيم عن هذا الحال: «قلوب ميتة في قبور متحركة..». فالقلب يخفت تمامًا، ويكون الجسم كأنه قبرٌ للقلب؛ فيتحرك الإنسان وهو لا يستمد السعادة من ربِّ العالمين، فتبدأ تنطفئ السعادات الجميلة، فلا يستطيع حينها الإنسان أن يضحك من قلبه، أو يحمد اللَّـه، ولا أن يدعوه بصدق وخشوع.

ابن عطاء اللَّـه السكندري يقول في كتابه «إسقاط التدبير»: **«أعانهم على تحمل أقداره شهودهم حسن اختياره».**

فعندما يفقد الإنسان الصلة بينه وبين اللَّـه - سبحانه وتعالى - تحدث له حالة من غياب اللطف الرباني؛ فيشعر بأنه لا يجد اللَّـه معه - سبحانه وتعالى - وهو ما يؤدي إلى هزيمة في الروح، روح الإبداع والنشاط والاحتمال والإنتاج والتفكير والتطوير.

كيف أرادك اللَّه أيها الإنسان الجديد؟

أرادك - سبحانه وتعالى - ساكنًا مع الأقدار، قال، عزَّ وجلَّ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [التغابن: 11]. فهذه الآية تُشعرك بحب اللَّـه لك، وكأنه يُذكرك بمَن وضع هذه المحنة في حياتك، فعندما تعلم أن

اللّـه - سبحانه وتعالى - هو واضعُها تطمئن؛ لأنه رحيم بك، فتأكد أن من وراء هذه المحنة فتحًا وخيرًا كبيرًا حتى وإن لم تنتبه له، وقال أيضًا: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: 19]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد: 22]. فجميع هذه الآيات في حسن بديع تقدير اللّـه - سبحانه وتعالى - لجميع الخلق، فقط اصبر.

قال ابن عطاء اللّـه السكندري: «الصالحون ساكنون مع أقدار اللّـه قبل أن يروا العواقب».

انخلع قلبي!

عندما أخطأ أحمد بن طولون الحاكم المشهور، ذهب إليه الإمام «أبو جعفر الدينوري» لينصحه؛ فاستشاط ابن طولون غضبًا وعاقبه؛ فوضعه في ساحة حولها شُرُفات، وأطلق عليه أسدًا جائعًا، فوقف ابن طولون وبعض أفراد الحاشية ينظرون إلى المشهد، فدخل الأسد وإذا بأبي جعفر ساكنًا، فاقترب منه الأسد وظلَّ يتمسح فيه، ثم جلس بجانبه ولم يفعل له شيئًا، فقال ابن طولون[1]: «انخلع قلبي». وبدأ الناس من حوله يتكلمون عن الإمام، ويتعجبون من

(1) أبو العباس أحمد بن طولون. هو أمير مصر ومؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام، كان والي الدولة العباسية على مصر، ثم استقل بمصر عن الخلافة العباسية، فكان أول من يستقل بمصر.

سكونه؛ فمنهم من قال: «لعله ينطق الشهادتين». ومنهم من قال: «لعل جن جنونه». فظل الأسد يشمه لبعض الوقت، ثم عاد إلى مكانه مرة أخرى ولم يؤذه بشيء، وبعد ذلك أفرج ابن طولون عن الإمام الكبير وجعله يذهب، وبعد هذا المشهد سأله تلاميذه عن سبب سكونه في هذا الموقف، وفيم كان يُفكر وقتها، فرد عليهم بأنه كان يفكر: هل لُعاب الأسد طاهر أم نجس؟! فكان ساكنًا مع اللَّـه - سبحانه وتعالى - فاسكن.. سكَّنك اللَّـه.

كيف تُصبح إنسانًا جديدًا ساكنًا مع الأقدار؟

- التقط أنفاسك: وضع المحنة في حجمها الحقيقي، وتنفس على مهل، فالعقل يحتاج إلى أن يعمل؛ لأن أحداث الحياة والمحنة الشديدة أحيانًا تتسبب في توقف العقل، فتبدأ المشاعر فقط في التحرك.

يقول أحد الصالحين إنه مر على رجل مُصاب بمرضٍ يُسمى «الفالج» وهو يعني الشلل النصفي، وكان أيضًا هذا الرجل كفيفًا، فسمعه يقول: «الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلًا». فسأله الرجل الصالح عن سبب حمده لله برغم ما به من بلاء وأمراض؛ فرد عليه، وقال له: «إليك عني يا بطال، الحمد لله على لسان أُطلق بذكر اللَّـه وقلبٍ يعرفه».

فالحمد لله أن لساني يقول: يا رب، والحمد لله أن قلبي يشعر به حتى وإن كان حالي هكذا، فالدنيا ستنتهي سريعًا بحجمها. فيا أيها المُبتلى، من حقك أن تحزن، «إنَّ الْعيْنَ تدْمَعُ والْقَلْبَ يحْزَنُ»[1] فهذا كلام حبيبك المصطفى ﷺ.

يقول الإمام الشافعي:

دعِ الأيَّامَ تفْعَلُ ما تشَاءُ .. وطب نفسًا إذا حكمَ القضاءُ

ولا تجْزَعْ لِحادِثة الليالي .. فما لحوادثِ الدنيا بقاءُ

فالأيام تمر سريعًا، وكل شيء سيمر وينتهي، فالتقط أنفاسك، واسكن، وبإذن اللّه ستكون هناك أشياء أخرى جميلة من حولك، وعُدَّ النعم باستمرار واكتبها، فوالله لا تكفي لكتابتها، ولا عشر أوراق، فاجعل عينيك مفتوحتين دائمًا على حقيقة النعم.

اقلب الورقة دائمًا!

هناك قصة عن أحد الكُتّاب المشاهير كتبها في مذكراته، فقال: «في هذه السنة أتممت الستين عامًا، فأول شيء حدث في هذه السنة هو أني تركت وظيفتي الحكومية، وأصبحت على المعاش على الرغم من أنني ظللت ثلاثين عامًا أعمل في هذه الوظيفة،

(1) رواه البخاري.

وبعدها قمت بإجراء عملية المرارة، وبعدها مات والدي، وبعدها رسب ابني في الامتحان؛ لأنه كان في إجازة مرضية؛ بسبب أنه حدثت له حادثة كبيرة، فما أتعسها من سنة! وترك الورقة على المكتب وعندما دخلت زوجته، وقرأت هذه الورقة فما كان منها إلا أنها قامت بقلب الورقة على الجانب الآخر، وقالت:

1 إنك تفرغت بعد رحلة طويلة من العمل للتأليف منفردًا، فبدأ يكون عندك إبداع بدلًا من ضغط العمل.

2 عاش والدك أربعة وثمانين عامًا، ثم ترك الدنيا في سلام بسمعة طيبة.

3 شفاك اللّـه من آلام المرارة التي كنت تعاني منها منذ سنوات.

4 نجّى اللّـه ولدنا الحبيب من حادثة موت، وبعد ذلك كتبت في النهاية ما أجمله من عام نجّانا اللّـه فيه من الهم والمرض والموت!

فانظر إلى النعم، واعلم أن ما حجب اللّـه عنك من البلاء بقدر ما أنزل عليك من العطاء. أي أن اللّـه - سبحانه وتعالى - حماك من بلاءات كثيرة جدًّا، عددها مثل العطاءات التي أعطاك إياها، ففكر في هذه المسألة وتأمل فيها!!

فيا رب، نسألك أن تُسكِّن قلوبنا لأقدارك، وأرنا جميل ألطافك، واجعل قلوبنا وأعيننا ترى كل عطاء حولنا، وترى كل بلاء حجبته عنا يا رب، ولا تجعل الدنيا سوداء في قلوبنا حتى لا نكره الحياة.

الخلاصة

- **أسباب الشعور بالنقمة على الحياة.**

الشك في انفراج الأزمة على المدى القريب.

- **علامات الشعور بالنقمة على الحياة.**

الانزعاج الشديد والعصبية الشديدة بسبب أتفه الأمور.

- **الأعباء التي يُسببها حال النقمة على الحياة.**

انطفاء الصلة بين العبد وربه.

- **كيف أرادك اللَّـه أيها الإنسان الجديد؟**

أرادك - سبحانه وتعالى - ساكنًا مع الأقدار.

- **كيف تُصبح إنسانًا جديدًا ساكنًا مع الأقدار؟**

1. التقط أنفاسك وضع المحنة في حجمها الحقيقي.
2. وتأكد أن مفاتيح الفرج بيد من هو أرحمْ بك من نفسك.
3. وابحث فيما هو متاح أمامك.

معصية السر

لا توجد علاقة خالية من الأسرار، وعلى قدر قوة العلاقة ومتانتها يكون الجزء الخفي في العلاقة هو الأجمل، وكلما كانت العلاقة جافة كانت الأسرار هي أقبح ما يروى في قصة هذه العلاقة.

وأغلى علاقة تمتلكها هي قصة حبك مع ربك، فهي علاقة خالدة بدأت في قديم الأزل؛ حيث لم يكن أحد منا في الوجود، فخلق اللَّـه الكون كله - دنيا وجنة - وأمره بالخضوع لك، ثم جاء بك لتنعم في الدارين، أما أنت إذا تربصت حين تكون وحدك وبارزت اللَّـه بالمعاصي فأنت بذلك تسطر أسوأ ما في علاقات الحب، فأمام الخلق تهابُ المحبوب الرب، وفي السر تجعل الرب أهون الناظرين إليك.

كان الرسول ﷺ يصلي بالناس صلاة الجماعة صلاة خفيفة، فإذا خلا بربه صلى بستة أجزاء، كما كان يواجه الناس بالوجه البشوش، ويبكي وحده شوقًا بين يدي اللَّـه، حتى تبتل الأرض من تحته. أما المنافقون فحكى لنا عنهم القرآن: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ [البقرة: 14]، فهو أمام الناس قديس، وفي سره مع اللَّـه إبليس!!

وقد اعتاد قلبه الجرأة على اللَّـه - سبحانه وتعالى - المُطلع، وتعوّد على هتك ستر الحياء الذي هو بمثابة حامي الحمى للقلوب أمام اللَّـه.

1 فاحـذر أن تكون عدوًّا لإبليس في العلانية صديقًا له في السـر.

2 واستعن بربك أن يقوي قلبك على شهوتك.

3 وثق بقدرته على إنقاذك من أكثر الذنوب المسيطرة عليك.

4 واطمئن، فلو أردته لك حبيبًا قريبًا مؤنسًا، فالزم بابه فقط وسيكون لك فوق ما تريد، وهذه بداية الإنسان الجديد.

حال معصية السر:

عندما يغلب عليك إحساس أنك في أمان ما دُمت لم تُفضَح، أكثر من إحساسك بأنك في أمان ما دام الرحمن يرضى عنك، ويغيب عنك معنى الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: 5]، ويبدأ سلطان الشهوة في السيطرة على سلطان نفسك اللوامة فهذا يعنى سيطرة حال معصية السر.

وهو كل ما خفي عن البشر وتجرأت فيه على اللّه - سبحانه وتعالى - ومعصية السر ليست مرتبطة فقط بالعين ومشاهدة الأفلام الإباحية كما قد يتبادر إلى ذهنك، فعندما تغتاب بلسانك وتكذب فهذه معصية سر، وعندما تسرق ولا يراك أحد فهذه معصية سر، وعندما تتقاضى رشوة فهذه معصية سر.

علامات حال معصية السر:

هناك فقط علامة واحد وهي أنك كلما استترت بعيدًا عن أعين الناس تعصي اللّه، وكأن الشهوة ارتبطت لديك بالبعد عن أعينهم.

بالنظر في القرآن الكريم، وما ورد في السنة إضافة إلى آراء علماء النفس؛ فإن هذا الحال يؤدي إلى «فقدان الاتساق»، فمن أهم الأشياء التي تُشعر الإنسان بالسلام النفسي هو التناسق بين قيمه ومبادئه من جانب وسلوكياته في الحياة من جانب آخر، فإذا فقد الإنسان هذا الاتساق فإنه يتحول إلى شخص محطّم، كما لو كان مصابًا بانفصام في الشخصية، وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنه لقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: 19]، يقول: «الرَّجُلُ يَكُونُ فِي الْقَوْمِ، فَتَمُرُّ الْمَرْأَةُ الحَسْنَاءُ؛ فَيُسَارِقُهَا النَّظَر، فَإِذَا نَظَرُوا إِلَيْهِ غَضَّ طَرْفَهُ». وفي سياقٍ آخر

> عندما اضطر رسول اللّـه ﷺ - بعد فتح مكة - أن يبايع أحدهم؛ فقال له الصحابة: «مَا نَدْري يَا رَسُولَ اللهِ مَا فِي نَفْسِك، أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِك؟»، فقال لهم ﷺ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ أَعْيُن»[1].

فهذا لا يليق بأخلاق الأنبياء، وما ينبغي أن يكونوا عليه من المروءة وشِيم الكرام.

كما أن حال معصية السر يسبب «كسر الرقابة الذاتية»، فالإنسان يكتسب ثقة في النفس مرتفعة حينما يستشعر أنه قوي ومسئول تمامًا عن أفعاله، أما لو غابت تلك الرقابة فيصبح على يقين من أنه لايمكن أن يعيش حسن التصرف إلا في وجود الناس، قال تعالى:

(1) سنن النسائي.

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [النساء: 108]، أي أن اطلاعه - سبحانه وتعالى - عليهم وإحاطته بهم وبأفعالهم لا تكفي عندهم لاستشعار الرقابة الذاتية.

من يصبر.. يَنَلْ!

في أواخر الستينيات حينما أجرى عالمُ نفس يدعى د. ميشيل من جامعة ستانفورد التجربةَ الشهيرة المعروفة «بتجربة حلوى المارشميلّو» على مجموعة من الأطفال، أحضروهم إلى غرفة، وأجلسوهم أمام طاولة عليها «حلوى المارشميلو»، وأخبروهم أن بإمكان كل منهم أكل قطعة واحدة الآن، أو الحصول على قطعتين إذا انتظروا 15 دقيقة، ثم تركوهم بمفردهم، فوجد أن أغلبهم لم يستطيعوا الانتظار، وانهارت عزيمتهم أمام الحلوى، بينما استطاع القليل منهم نحو 30 ٪ فقط الانتظار، ثم تابعوا هؤلاء الأطفال في مراحل التعليم المختلفة فوجدوا أن الأطفال الذين انتظروا للحصول على القطعة الثانية صاروا أكثر نجاحًا وتميزًا وذلك من عدة وجوه:

1 تحقيق أهدافهم في الحياة.

2 مقاومة مغريات الحياة التي قد تحيد بهم بعيدًا عن تحقيق أهدافهم.

3 التكيف مع الضغوط النفسية.

أرادك مُحترمًا لـ «**حضرة الملك**»، وهي حالة تشعر فيها بأنك في حضور مع اللَّـه؛ فتقدسه وتحترمه، فهناك من يعيش في هذه الحالة دائمًا؛ فتجده ينتقي أفضل الألفاظ، ولا ينظر إلى ما حرم اللَّـه، ويتأمل حتى خواطره على الرغم من علمه بأن الرحمن يتجاوز عن خواطر السوء؛ لكنه يستحي من اللَّـه - سبحانه وتعالى - الذي يعلم السر وما أخفى. فلو أنك استشعرت بها وجب عليك احترامها؛ حتى تصبح حالة ملازمة لك؛ فتشعر معها دائمًا أن اللَّـه عليك شهيدٌ، وأنه أقرب إليك من حبل الوريد، قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: 13]، وقال أيضًا جل في علاه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1]، **والرقيب ليس معناه فقط أنه يحصي أعمالك ويسألك عنها، وإنما يعني أيضًا أنه - سبحانه وتعالى - هو الحفيظ الذي يحفظك من كل مكروه قد يصيبك، ومن نفسك الأمارة بالسوء.**

ومن صور استحضار هذه الحضرة القدسية عند ارتدائك ملابس الإحرام؛ حيث تشعر أن اللَّـه رقيب عليك؛ فتبتعد عن كل المحرمات، وكان الصحابة عندما يرتدون ملابس الإحرام تأتيهم أنواع الصيد المختلفة التي كانوا ينالونها من قبل بشق الأنفس، فتصبح ميسورة أمامهم؛ ولكنهم لا يقربونها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ

مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ ﴾ [المائدة: 94]، وقد ورد في حديثه ﷺ: «ثلاثٌ مُنْجِيَاتٌ: أَوَّلُهَا خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالعَلَانِيَة...»[1]، بمعنى أن تحترم رؤية اللّـه لك، ولا تراعي فقط نظر الخلق، لذا يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ [الملك: 12].

كيف تتخلص من حال معصية السر؟

1- عظِّم الألم: فالإنسان عندما يتألم يسعى إلى التغيير ليتخلص من هذا الشعور، وحسب رأي علماء النفس فهناك «عقل بدائي» يحوي الغرائز، و«عقل أعلى» هو الذي يُحلل ويفكر في العواقب، وبالتالي فإن الإنسان إذا عرضت عليه شهوة فصبر وتأنى؛ يبدأ العقل الأعلى في التفكير في عواقب هذه الشهوة فيتألم، ووقتها يمكنك أن تُعظِّم هذا الألم، ولاشك أن مثل هذا الصبر والتأني يحتاج منك إلى شيء من التدريب، ويحضرني بهذا الصدد..

(1) الفتح الكبير للسيوطي.

حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار، فانحدرت صخرة من الجبل فسدته عليهم، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه إلا أن تدعوا اللَّـه بصالح أعمالكم، فقال أحدهم: « اللهم إنه كانت لي ابْنَةُ عمٍّ أُحِبُّها كأَشَدِّ ما يحِبُّ الرِّجالُ النِّساءَ فطَلَبْتُ إليْهَا نفْسَهَا فأَبَتْ حتى آتِيهَا بِمائةِ دِينارٍ فسَعَيْتُ حتى جمَعْتُ مِائةَ دِينارٍ فلَقِيتُهَا بها فلما قعَدْتُ بين رِجْليْهَا قالت يا عبْدَ اللّهِ اتّقِ اللّهَ ولا تفْتَحِ الْخاتَمَ إلا بحقِّه فقُمْتُ عنها، اللهم فإنْ كنْتَ تعْلَمُ أني قد فعَلْتُ ذلك ابْتِغاءَ وجْهِكَ فافْرُجْ لنا منها ففَرَجَ لهم فُرْجةً....»(1)، إذن، فلتعظم هذه اللحظة من الشعور بالحضرة القدسية.

2 املأ السر بالطاعات: في أماكن السر التي تخلو فيها بنفسك **اجعل حولك ما ينقلك من العقل البدائي الذي يدفعك للمعصية إلى العقل الأعلى الذي يُذكرك بالحضرة القدسية،** سواء كانت مسبحة تمسك بها، أو لوحات لآيات قرآنية على الحائط، أو ورقة على جهاز الحاسوب تذكرك بالله. واستعن بالله وكن إنسانًا جديدًا.

في آخر الأمر نسأل اللَّـه، أن يأخذ بأيدينا من الضيق والتشتت والإحساس بالضعف والاستعباد أمام الشهوات، وصغر النفس أمام شيطان الخلوات، وأن يكفينا بحلاله عن حرامه، ويغنينا بفضله عمن سواه.

(1) رواه البخاري (بتصرف).



الخلاصة

- **معنى حال معصية السر.**

هو يعني أنه كلما خَفي الإنسان عن البشر تجرأ على اللَّـه.

- **علامات حال معصية السر.**

وهي أنك كلما استترت بعيدًا عن أعين الناس تعصي اللَّـه.

- **كيف يُشكل عليك حال معصية السر عبئًا؟**

1. يـؤدي إلى «فقـدان الاتسـاق»؛ أي فقدان السـلام الداخلي للنفس.
2. يسبب «كسر الرقابة الذاتية».

- **كيف أرادك اللَّـه أيها الإنسان الجديد؟**

أرادك مُحترِمًا لـ «حضرة الملك».

- **كيف تتخلص من حال معصية السر؟**

1. عظِّـم الألـم.
2. املأ السر بالطاعات.

إيقاظ الوعي

عمر الإنسان لا يبدأ في اللحظة التي يفتح فيها عينيه على الدنيا؛ لكن في اللحظة التي يستيقظ فيها ضميره وتتفتح فيها عيناه على نفسه من الداخل؛ ليبدأ وظيفته الكبرى، وهي الحفاظ على الفطرة الربانية النقية التي أودعها اللّـه - عزَّ وجلَّ - في هذه النفس الشريفة. وتمثل هذه النظرة داخل النفس شارة انطلاق لرحلة التزكية والإصلاح لما علق بها من عيوب أحدثتها منحنيات وصدمات الحياة. وكان الرسول ﷺ يعلم الصحابة عند عودتهم من الحروب الطاحنة أن هناك وظيفة أعظم وأهم من الجهاد.

فقال ﷺ: «قدِمْتُمْ خيْرَ مقْدَم، وقَدِمْتُمْ منَ الْجِهادِ الأصْغَرِ إلى الْجِهادِ الأكْبَرِ مُجاهَدَة الْعبْدِ هوَاهُ»[1].

والنصر المقدس هو انتصار العبد على هواه، والفتح المبين هو دك حصون العيوب المسيطرة على القلب؛ حتى لا يسيطر ملكٌ ولا سيدٌ على هذه النفس إلا الروح الشريفة التي هي السر الإلهي اللطيف. فالإصلاح الحقيقي في العالم المحيط بكل إنسان لا يتحقق إلا إذا اقتنع بأن عالمه يبدأ من داخله.

ولن يحدث هذا إلا عندما يُدير وجهه تجاه عدوه الحقيقي الذي أعطاه ظهره لسنوات طويلة وهو نفسه التي بين جنبيه.

---

(1) جامع الأحاديث للإمام السيوطي.

ليبدأ بزحف جيوش المجاهدة والدعاء والأمل، ليصل بهذا القلب سليمًا إلى مولاه؛ فيسلمه له كما أوصاه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللّـه بقلب سليم. فابدأ باسم ربك هذه الخطوة الفاصلة، واخرج من سجن الغفلة إلى رياض الوعي التام بما يدور في خلدك، ليبدأ اليوم تاريخ ميلاد إنسان جديد.

كيف نتعلم سلوكًا جديدًا؟

> جرب.. تعلم.. افعل.. يتغير عقلك وتتغير نفسك

عندما يُمارس الإنسان شيئًا لأول مرة يحدث له تغييرٌ في عقله، فعندما ترى شخصًا يتعلم القيادة تجد كل شيءٍ في وعيه يعمل، فتجد عينيه تُحدقان في الطريق، ويده حساسة جدًّا على عجلة القيادة، وقدمه حساسة على الفرامل والبنزين، فجميع حواسه تلتقط كل التفاصيل وعيناه كلهما تركيز، وبالتدريج وبعد اعتياده على فعل القيادة تبدأ هذه العادة تنتقل من عقله الواعي إلى عقله اللاواعي، وبعدها بفترة تجد أن نفس الشخص يقود السيارة وهو مُمسك بالهاتف المحمول بيده، ويسند عجلة القيادة بركبته، ويأكل بيده الأخرى، ويفتح الكاسيت، ويتحدث مع من بجانبه، وفجأة يجد نفسه وصل إلى المكان الذي يُريده دون أن يشعر.

ظاهرة التمرس:

تم تفسير ذلك بأن القيادة انتقلت من العقل الواعي إلى العقل اللاواعي، وتُسمى هذه بـ «ظاهرة التمرس». فتخيل إذا دبّت هذه الظاهرة في حياتك كلها، فمثلًا: أنك كنت تُصلي في البداية

بخشوعٍ كبير، وتتدبر في كل آية بل كل حرف وكل ركعة وكل سجدةٍ، ثم تمرّست على الصلاة، فأصبحت تدخل الصلاة، وفجأة تجد نفسك قد انتهيت منها وتُسلّم، ومن الممكن ألا تتذكر حتى الآيات والسور التي قرأتها؛ لأن عقلك اللاواعي كان يقرأ السور السهلة التي تعود عليها مثل: «قل هو اللّـه أحد»، وحتى إذا صلّيت خلف الإمام لا تنتبه للسور التي قرأها.

إيقاظ وعي الإنسان الجديد:

حينما يدخل أحدهم الجامعة في البداية تجد أنه يُركّز في كل التفاصيل، ويُجهّز أدواته من كشكول وأقلام وغيرها، وبمرور الأيام والسنين يجد أن الأيام أصبحت تشبه بعضها، وفجأة يجد نفسه تخرج في الجامعة، ففي هذه الحالة اللاوعي هو الذي قاده. أو فى بداية زواج الولد والبنت والعلاقة الجميلة والحب ومنتهى المشاعر الرائعة، وبعد الزواج نجد أن السنين تمر والمناسبات الجميلة تُنسى، والأيام تتشابه؛ فأصبح اللاوعي هو الذي يُحرك الإنسان. فالله - سبحانه وتعالى - يصف الدنيا كلها بأنها مُجرد ساعة، قال تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: 45].

فما الذي حدث؟

الذي حدث هو أن الإنسان أخذ مجموعة قرارات؛ فعاش وتزوج وتعصَّب وفرح وبكى وضحك، كل هذه الأشياء بسرعة

متتالية، دون أن يعي بأن عمره يمر، وفجأة شعر بنفسه لحظة الموت: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: 19: 22]. فالذي حدث هنا إيقاظ للوعي بعد ترك الدنيا كلها.

فما نريده هو إيقاظ وعي الإنسان الجديد... الآن، وليس بعد أن يترك الدنيا ويقابل ربه - سبحانه وتعالى - يقول العلماء: «إن أغلب البشر يُقيّمون أفعالهم بعد أن يفعلوها، أما الشخص الواعي فهو شخص قرر أن يتصل بعالمه الداخلي، فيتصل بمشاعره وأفكاره»، والله - سبحانه وتعالى - أمرنا بذلك، فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 15: 22]. فمن يُريد أن يصل إلى اليقين الذي يوصله إلى الإحسان يجب أن يسير في الأرض وهو يبحث عن آيات اللّـه الباهرة التي تقوده إلى عظمته - سبحانه وتعالى - في «الأرض، وفي أنفسكم، وفي السماء»، **فابحث عن دورك في عمار الأرض، وفي صلاح نفسك. «وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ»**. فهذا أمر من اللّـه - سبحانه وتعالى - بإدخال البصيرة والبصر داخل النفس.

أرسل إلينا اللّـه - سبحانه وتعالى - نبيه الكريم ليُزكينا؛ فقال: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 151]. فيخبرنا بما يحب رب العالمين، ويُعرّفنا إليه وينزع من طريقنا أكبر عقبة وهي عيوب النفس، لنزكيها ونطهرها كي تستطيع أن تستجيب لكلام اللّـه - سبحانه وتعالى -. فكيف تزكي نفسك؟.. كيف تُنظف بيتًا لم تدخله من قبل؟ قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾؛ فدلَّك وأمرك بأن تنظر داخل نفسك أولًا وتتعرف إليها لتستطيع أن تزكيها.

فالشخص الواعي هو شخص منتبه لكل دوافع أفعاله،

وهناك حديث عن الرسول ﷺ من كثرة تمرُسنا عليه أصبح غير مهم بالنسبة لنا، فكلما سمعناه لا نشعر به، قال عُمرُ بن الْخطَّابِ رضي الله عنه علي الْمِنْبَرِ: سمعت رسُولَ اللّهِ ﷺ يقول: «إنما الْأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لكُلِّ امْرِئٍ ما نوَى...»[1].

فمعنى: **إنما الأعمال بالنيات،** (أي جميع أعمالك التي ستُحاسب عليها يوم القيامة)، وهي أصل وجودك في الدنيا بعد

(1) رواه البخاري.

معرفتك بالله - سبحانه وتعالى - ومتوقفة على شيء يُسمى «الوعي».

أحداث الحياة انعكاس لما بداخلك

الحياة عبارة عن مجموعة من الأحداث التي تواجه الإنسان فيشعر تجاهها بمشاعر مختلفة، وهذه المشاعر تصنع داخله تغيرًا، يُصدر من خلاله تصرفًا كرد فعل. فجميع التصرفات من كُره وفرح وضيق وغيرها، ما هي إلا ردود أفعال لأحداث وغرائز داخل الإنسان؛ فأحداث الحياة تشبه المرآة التي تعكس لك صفاتك، فإذا أرَدت أن تعرف نفسك فانظر إلى ردود أفعالك في الخارج؛ لأن رد الفعل هو خلاصة مشاعرك تجاه الأحداث؛ ولذلك وجهنا اللَّـه - سبحانه وتعالى - لننظر إلى تصرفاتنا في الخارج؛ كي نتعرف على ما بضمائرنا، بسم اللَّـه الرحمن الرحيم: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: 31]. «فنبلونكم» (أي نختبركم)، وكلمة (يعلم) في القرآن عندما تُذكر في حق اللَّـه يكون معناها (يُظهر)، فهو يعلم ويُريد أن يُعلمك أنت أيضًا.

فقلبك ليس مكتوبًا عليه أنه «سيئ الظن»، ولا «أنه يحمل الحب للبشرية»؛ ولكن هذه الصفات تظهر من خلال أفعالك. قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴾، فمعنى «نبلوا أخباركم» (أي نُظهر الصادق منكم والكاذب)، ومعنى «الصابرين» (الحريصون على تنفيذ أمر اللَّـه كرد فعل مع

الأحداث)، فهذا هو تعريف الصبر عند العلماء، وهو «الصبر هو ثبات باعث الدين أمام باعث الشهوة».

ماذا لو لم نشعر بالألم؟

أخبرنا - سبحانه وتعالى - على لسان نبيه الكريم، عن أبي هرَيْرَةَ، قال رسول اللّهِ: «إنَّ أَحَدَكمْ مِرْآةُ أَخيهِ»[1].

فستجد من حولك أشخاصًا أرسلهم اللّـه لك كي يظهروا صفاتك ومميزاتك وعيوبك، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [محمد: 29]، فالضغينة الموجودة بداخلك سيظهرها اللّـه - سبحانه وتعالى - لك لتعالجها. ومشكلة السرطان هذا المرض الخبيث هي أنه يبدأ في الجسم دون أن تشعر به، وممكن ألا تكتشفه إلا بعدما يقضي عليك؛ ولذلك فهناك نعمة (الألم)، لأنك عندما تتألم تذهب إلى الطبيب فتكتشف أسبابه؛ ولكن إذا لم تشعر بالألم يكبر المرض، فتكتشفه في النهاية، ويتسبب في إنهاء حياتك.

النور الذي بداخلك:

كذلك الأحداث فهي التي تبين الشخص الواعي الذي يشعر بالنور الموجود بداخله، وحين تخرج منه تصرفات ومشاعر

---

(1) سنن الترمذي.

ظلمانية بعيدة عن الطريق الذي يوصله إلى اللَّـه، ينبهه قلبه بأنه أخطأ الطريق.

قال عليه الصلاة والسلام: «الْبِرُّ ما اطْمأَنَّ إليه الْقَلْبُ، واطْمَأَنَّتْ إليه النَّفْسُ»[1].

والبر شامل كل شيء نافع يرضي اللَّـه - سبحانه وتعالى - ويُسعد الإنسان ومن حوله. فعندما تفعل شيئًا فيه خير مثلًا كأن تُطعم قطة، إلى أن تصل إلى أعلى مراتب الإسلام ستشعر حينها براحة تملأ قلبك.

وقال ﷺ: «وَالإِثْمُ ما حاكَ في الْقَلْبِ، وتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ»[2].

فالله - سبحانه وتعالى - خلق نفسك بها وعي يُذكرّك كي لا تكون مُساقًا، وتجد نفسك فجأة ممن قال الله - عز وجل - فيهم: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: 47]. وفجأة تكتشف أن مقامك سيئ عند اللَّـه يوم القيامة، وأنت لم تتوقع ذلك؛ لذلك لا بد أن تظل على وعي دائم بما تفعل.

من الصعب أن يكون لدى الإنسان الوعي، دون الرغبة في إيقاظه. وقد وصف لنا سيدنا عيسى المنساقين بأنهم يقعون في

(1) مسند أحمد بن حنبل.

(2) مسند أحمد بن حنبل.

الشهوات الحاضرة بسبب اللاوعي، والشخص الصالح هو الذي شغله حب اللَّـه عن تلك الشهوات،

فقال عيسى عليه السلام: «طوبى لمن شغله موعود غائب عن شهوة حاضرة».

وأوصى الصالحون بضرورة مراقبة الداخل أولًا لإيقاظ الوعي.

وروى عن سعد بن أنس عن النبي قال: «لَيْسَ عَدُوُّكَ الَّذِي يَقْتُلُكَ فَيُدْخِلَكَ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِنْ قَتَلْتَهُ كَانَ لَكَ نورًا، ولَكِنْ أَعْدَى الأَعْدَاءِ لَكَ نَفْسُكَ الَّتِي بيْنَ جَنْبَيْكَ»[1].

فلا بد أن تركّز مع نفسك، وتصلح عيوبها، وسيدنا عبدالله بن عمر قال له صاحبه: «**أوصني عن الجهاد**»؛ فقال له: «**نفسك فجاهدها، ونفسك فاغزُها**». فابدأ بنفسك واغزُها، فالغزو الحقيقي عندما يُسيطر الإنسان على حصون الشر الموجودة في داخله.

وعندما كان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينتقل إلى الرفيق الأعلى، وبدأ يستخلف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال له: «**أستخلفك يا عمر، وأوصيك بنفسك التي بين جنبيك**».

(1) جامع الأحاديث.

فالأول نفسه يُصلحها، وبعد ذلك حكم الدولة الإسلامية؛ لأنه لن ينتصر خارج الحياة إن لم ينتصر على الداخل.

فعندما يسيطر عليك حال (اشتهاء ما فى أيدي الآخرين، حال الكراهية، حال سوء الظن، حال الخوف، حال العيش في مأساة الماضي، حال جلد الذات،.....). فجميع هذه الأحوال هي أحوال ظلمانية، إذا لم تدخل إلى نفسك لتتخلص منها، فلن تستطيع أن تكون إنسانًا جديدًا لديه وعي!

فلا بد لنا أن ندخل لننزع هذه الأحوال، ونستعين بالله - سبحانه وتعالى - أن يشفي صدورنا وقلوبنا من هذه الأحوال التي تسلب الإنسان نفسه المطمئنة، وتحرمه من رؤية الجمال فيمن حوله.

فهذه هي الرحلة الحقيقية لبناء الإنسان الجديد.



الخلاصة

العمر الحقيقي يبدأ عندما يستيقظ الضمير وتفتح العينان على النفس من الداخل.

كيف يحدث التغيير للأحسن ؟

من خلال التمرس على الأفكار والعادات الجديدة.

كيف تُصلح نفسك؟

- **أن تكون واعيًا ومنتبهًا لكل دوافع أفعالك.**
- **لا بد أن يكون لديك الرغبة في أن تنظر داخلك.**

الفهـرس